الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

إصدارات
وزارة المجاهدين وذوي الحقوق
المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية
والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

أعمال الملتقى الوطني الأوّل الموسوم بـ:

الذّاكرة وإشكاليّة كتابة التّاريخ الوطنيّ

بشعار | للأمجاد أعلامٌ وللتّاريخ أقلامٌ

6-7 مارس بالنّادي الوطني للجيش بني مسوس

الجزء الأوّل

وزارة المجاهدين وذوي الحقوق
المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
الجزء الأول
6-7 مارس بالنادي الوطني للجيش بني مسوس

إصدارات

وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

أشغـال الملتقى الوطني الأول الموسوم:

الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني
تحت شعار
للأمجاد أعلام وللتاريخ أقلام

النـادي الوطني للجيش - بني مسوس

06 و07 مارس 2024م ردمك: 978-9947-60-450-2

الجـزء الأول

- تقديم وتنسيق:

- الدكتور: حسين عبد الستار - الأســـتاذ: نســـيم نـــوار

يصدر هذا الكتـاب وهو الجزء الأول

من أشغـال الملتقى الوطني الأول الموسوم:

الذاكرة وإشكـالية كتـابة التـاريخ الوطني

بإشراف من وزير المجـاهدين وذوي الحقوق

السيد: العيد ربيقة

- الرئيس الشرفي للملتقى :

وزير المجـاهدين وذوي الحقوق

- السيد: العيد ربيقة

- رئيس الملتقى :

- الأستـاذ الدكتور: بوعزة بوضرسـاية

مدير جـامعة برج بوعريريج

- رئيس اللجنة العلمية للملتقى :

- الدكتور: حسين عبد الستار

مدير المركز الوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

- المراجعة والتدقيق:

- الأستـاذ الدكتور: بشير سعدوني - الأستـاذ الدكتور: علال بيتور

- الإعداد والإخراج:

- الأستـاذ: نسيم نوار

- أعضاء اللجنة العلمية للملتقى :

د/ حسين عبد الستار	المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية
أ.د/ بوعزة بوضرساية	جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج
أ.د/ بشير سعدوني	جامعة الجزائر 2
أ.د/ علال بيتور	جامعة الجزائر 2
أ.د/ لياس نايت قاسي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ يوسف مناصرية	جامعة باتنة
أ.د/ قويسم محمد	جامعة سكيكدة
أ.د/ منادي عثمان	جامعة سوق أهراس
أ.د/ أحمد بن جابو	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ ودوع محمد	المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة
أ.د/ عباس كحول	جامعة بسكرة
أ.د/ شايب قدادرة	جامعة قالمة
أ.د/ حنيفي هلايلي	جامعة سيدي بلعباس
أ.د/ حميد آيت حبوش	جامعة وهران
أ.د/ شايب قدادرة	جامعة قالمة
أ.د/ كريمي خديجة	جامعة الجزائر 2
د/ مصطفى سعداوي	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة
د/ محمد مبارك كديدة	جامعة تمنراست
د/ بومدين كعبوش	جامعة الأغواط
د/ عبد الحفيظ عبد الحي	جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة
د/ دحمان تواتي	المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة
د/ فضيلة علاوي	جامعة الجزائر 2
د/ بلقاضي مليكة	جامعة برج بوعريريج
د/ عبد الرحمن بن بوزيان	جامعة تلمسان
د/ حشلاف يونس	جامعة تيزي وزو
أ/ نسيم نوار	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ/ يوسف أمير	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

- فهرس المحتويات:

۞ الافتتاحية ✍ الدكتور: حسين عبد الستار (مدير المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954)	11
۞ كلمة الرئيس الشرفي للملتقى وزير المجاهدين وذوي الحقوق والإعلان عن افتتاح فعاليات الملتقى ✍ السيد: العيد ربيقة	15
۞ كلمة رئيس الملتقى ✍ الأستاذ الدكتور: بوعزة بوضرساية (مدير جامعة برج بوعريريج)	21
۞ كلمة منسق اللجنة المشتركة الجزائرية - الفرنسية للتاريخ والذاكرة ✍ الأستاذ الدكتور: محمد لحسن زغيدي	27
۞ المداخلات العلمية	
۞ الأستوغيوغرافيا الجزائرية المعاصرة بين خطاب الذاكرة والتاريخ الأكاديمي ✍ الأستاذ: مصطفى سعداوي (جامعة محند أكلي أولحاج - البويرة)	31

61	الوثيقة والرواية الشفوية وإشكالية كتابة الذاكرة الوطنية الأستاذ: عبد الله مقلاتي (جامعة محمد بوضياف - المسيلة)
79	إشكالية المصطلح والتحقيب في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية الأستاذ: مولود قرين (جامعة الدكتور يحي فارس - المدية)
101	التاريخ والذاكرة لدى المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني أنموذجا الأستاذ: بوبكر صماري (جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج)
117	الذاكرة الوطنية والذاكرة المحلية جدلية التكامل والتعارض الأستاذ: حاج عيسى إلياس (المدرسة العليا للأساتذة - الأغواط)
131	المخزون التاريخي بمنطقة عين تموشنت ودوره في تأصيل الذاكرة الوطنية الأستاذ: محمد قنانش (جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت)
161	توظيف التاريخ المحلي لبنة من لبنات بناء التاريخ الوطني الأستاذ: سمير بن سعدي (جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج)

179	دور الرّواية الشفوية في كتابة التاريخ الوطني -تاريخ مدينة المنيعة أنموذجا- الأستاذ: عبد الرحمان نواصر (جامعة أمين العقال الحاج موسى أق خموك - تامنغست)
197	صراع الذاكرات بين الجزائر وفرنسا (صراع ذاكرة الأرشيف نموذجا) الأستاذ: أحمد شقرون (المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954)
209	علم التاريخ من القوالب الموسوعية إلى البينية الأستاذ: توفيق بن زردة (جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي)
223	البيان الختامي مع التوصيات الدكتور: حسين عبد الستار
227	كلمة الرئيس الشرفي للملتقى وزير المجاهدين وذوي الحقوق والإعلان عن اختتام فعاليات الملتقى السيد: العيد ربيقة
231	ألبوم الصور

المواد المنشورة في هذا الكتـاب لا تعبر إلا عن آراء أصحابها
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر القـائمين على الملتقى
ولا تلزم بأي حال من الأحوال
المركز الوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة
الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

للمركز الـوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية
والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954
- العنوان: 63 شارع انتصار 23 نوفمبر 1836 الأبيار (الجزائر)
- الهاتف: 023.05.10.73
- الموقع الإلكتروني: www.cnerh-nov54.dz
- البريد الإلكتروني: cnerh@cnerh-nov54.dz

الافتتـاحية

✍ الدكتور: حسين عبد الستار

تتأصل سرديات الأمة على تاريخها الوطني، ما امتدت أواصره إلى الماضي العريق، فأبقى على أثره بالهوية ومرتكزاتها والأحداث بعظمتها والرموز بعبقريتها والأجيال بذاكرتها المستديمة، والجزائر فارهة التاريخ وعميقة الوجود في طيات زمنه، تركت أثرها في أمجاد أحداثه التأسيسية لن يحفظ هذا الخزان الضارب في عمق الزمن إلا الذاكرة، فالذاكرة حارسة الزمن، وهي وعاء التاريخ وهذه العلاقة التجسيرية بينهما يتزايد أثرها ودورها بتوالي الأزمنة وتسارعها، وهجانة التهديدات وتكاثرها، وتداخل وسائلها وتشعبها، لتأمين توريثها ونقلها حفاظا على الإرث التاريخي للمجتمع الجزائري الخلاق.

إنّ واجب الذاكرة يقتضي أن نبقى على قيد الأمل والحذر والمسؤولية تجاه التثمين البلاغي والرمزي والحكائي والتواتري لها تعزيزا للشعور بالانتماء للأمة وهويتها الوطنية والحفاظ على قيمها وثقافتها وتقاليدها.

عملا بهذه التوليفة الثنائية بين ماضي التاريخ وحاضر الذاكرة، تأتي إشكالية كتابة التاريخ الوطني ناقلة مشاريعها الابتسيمولوجية إلى عمق تخصص التاريخ، خاصة بعد الجيل الأيديولوجي الرقمي، والمخاوف من الخطر على كتابة التاريخ بالمؤرخ الرقمي المضلل بالذكاء الاصطناعي (CHAT GPT HISTORY)، القابل للتلاعب والتزييف والتضليل، هنا تصبح مسؤولية واجب الذاكرة أعمق وأكثر حذرا للحفاظ على التاريخ، مرة بتخليصه من البنى السردية عبر ثقل خطابها للجيل ما قبل السمعي البصري، ومرة بتأمين رموزها الأيقونية إلى أجيال الذاكرة الرقمية.

ولأنّ الجزائر تعي أمن ذاكرة وناشئتها المستديمة، فقد أخذت على عاتقها وعبر مشروع وزارة المجاهدين وذوي الحقوق أن تجعل من الوعاء الميديولوجي بأجياله الأربعة من المكتوب إلى السمعي البصري إلى التوثيقي

فالرقمي، مرتكز التفكير بصوت علمي مسموع ومنهجي وإبستيمولوجي وسيادي بين المؤرخين والخبراء من مختلف التخصصات التحاقلية والتجاسرية لتأمين كتابة التاريخ الوطني بذاكرة مجتمعية لكل بنية زمنية مرتها الجزائر وعبرت حدثها فتركت أثرها احتفاء بنبوغها في تقدير الحدث.

هذه السردية من القيم الثقافية للأمة والتقاليد والأساطير والرموز الوطنية من رجالات الوطن المفدى زعماء ومفكرين وخلاّقين لهم أثرهم في عملية الطقس المقدس لكينونتنا تظل حية ومتجاورة من معيش الإنسان الحي وهو الفرق بينها وبين التاريخ "المعايش لمن ماتوا" فامتياز الذاكرة أنها قابلة للصناعة والبعث فهي حيّة ترزق.

ضمن هذا السياق انعقد الملتقى الوطني الأول الموسوم بالذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني يومي **06-07** مارس **2024** بالنادي الوطني للجيش، ويأتي انعقاده في إطار المساعي الجادة والعقيدة الّتي تقوم بها وزارة المجاهدين وذوي الحقوق بتوجيه وإشراف مباشر من السيد الوزير "العيد ربيقة" الّذي ما انفك يؤكد على تعليمات وتوجيهات رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون الذي جعل من الاهتمام بالذاكرة الوطنية إحدى انشغالاته الأساسية بهدف تحصين الأجيال بالوعي التاريخي.

وقد لبّى الأساتذة والخبراء من أربعين (**40**) جامعة من جامعات الوطن ومدراء مخابر البحث في التعليم العالي والبحث العلمي مشكورين الدعوات التي وجّهت لهم للمشاركة بأبحاثهم الجادة، ودراساتهم المتنوعة التي تطرقوا من خلالها لمجالات تاريخية عديدة، تحليلا وتفسيرا، ونقدا، وتمحيصا.

كلمة السيد وزير المجاهدين وذوي الحقوق والإعلان عن افتتاح أعمال الملتقى الوطني

السيد: العيد ربيقة

وزير المجاهدين وذوي الحقوق

- مستشاري رئيس الجمهورية الفاضلين السيد محمد شفيق مصباح والسيد محمد الصغير سعداوي

- السيد الفاضل وزير الشؤون الدينية والأوقاف

- السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي

- السادة ممثلي وزارة الدفاع الوطني الحاضرين معنا

- السادة الممثلين للأسلاك النظامية والأمنية

- الدكتور الفاضل محمد لحسن زغيدي منسق اللجنة الوطنية للذاكرة ومن خلالكم السادة أعضاء اللجنة الموقرين

- السيدات والسادة أعضاء البرلمان بغرفتيه

- السيد ممثل المنظمة الوطنية للمجاهدين ومن خلالكم المجاهدين وضباط جيش التحرير الوطني الحاضرين معنا

- السيد رئيس الجمعية الوطنية للمحكوم عليهم بالإعدام الأب المجاهد مصطفى بودينة

- المجاهدة ظريفة بن مهيدي شقيقة القائد الشهيد الرمز حكيم الثورة الجزائرية محمد العربي بن مهيدي، والذي أشرفنا -ولله الحمد- في جزائرنا الجديدة، بمعية السيدة وزيرة الثقافة والفنون على إطلاق الفيلم الشرفي والمشاهدة الأولى لفيلم العربي بن مهيدي والذي يعد توثيق آخر لتاريخنا الوطني.

- السيدة الوزيرة المجاهدة زهور ونيسي

- السيد الوزير المجاهد محي الدين عميمور

- السيد الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء

- السادة ممثلي الهيئات الدستورية الرسمية

- السيدات والسادة مديري المؤسسات الجامعية ومخابر البحث

- السيدات والسادة الأساتذة الأفاضل وكبار المؤرخين والباحثين وعلى رأسهم المؤرخ المجاهد محمد العربي الزبيري

- السيد القائد العام لقدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية

- بناتي وأبنائي الطلبة من مدارس الدرك الوطني والأمن الوطني والمؤسسات الجامعية

- الحضور الكريم كل باسمه ومقامه

- أسرة الإعلام

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

تتملك أفئدتنا اليوم ونحن نستفتح شهر مارس الشهداء، أحاسيس المجد والشموخ، ونقلب بافتخار صحائف ذاكرتنا المجيدة، فتنبني أمامنا مآثر خالدة وإنجازات تليدة، نستحضرها في هذا الصرح المتميز، مبعث الاعتزاز والفخر، ورمزا من رموز مؤسسة الجيش الوطني الشعبي، سليل جيشنا جيش التحرير الوطني، معربا عن كامل شكري لمسؤولي هذه المؤسسة، الذين ساهموا معنا في التحضير لهذا الملتقى الوطني، محتفيين بأمجاد ذاكرتهم، وعظمة تاريخهم، ومرحبا بالسيدات والسادة الأفاضل من مختلف المؤسسات ومخابر البحث الجامعية المشاركين في هذه الفعالية الوطنية.

إن هذا الملتقى الوطني حول الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني له أهميته الخاصة، وأبعاده الاستراتيجية، مما سيطرحه أهل الاختصاص من أفكار، وما ستحتويه ورشاته من مناظرات ومناقشات، تميط اللثام عن

العديد من الآليات العلمية الأكاديمية، بعيدا عن محاولات تسطيح القضايا المتعلقة بالتاريخ والذاكرة، ووضع مناهج دقيقة لترقية الخطاب التاريخي بما يتوافق مع العمق التاريخي، والأهداف المحددة للدولة بنظرة استشرافية مؤسسة على قاعدة متينة من القيم الراسخة والمبادئ الثابتة.

إن معادلة الوجود المستقبلية ضمن معطيات الحاضر، تقوم على نهضة الإنسان، وعلى إعداده من منطلق رؤى أصيلة متأصلة، فبناء التاريخ لا يمكن أن يكتمل إلا بتكامل الأجيال، وتوارث الأفكار والقيم، وتثمين المناقب ضمن رؤية واعية، وهذه هي الدروس التي تعلمنا إياها الذاكرة والتاريخ. وهي التي تبقى راسخة ولا يجب أن تنسى ولا يجب أن توضع على الرف بحجة تجاوزها الزمن، إذ يكفي أن نعدلها على مقاسات الحاضر، لتعيد إيقاظ همم الضمير الجمعي، فتنهض الأمة حول هبة عظمى تختزل الزمن، وتطوي المسافات في مسيرة فتوحات تنموية وحضارية مستقبلية.

أيها الحضور الكريم

إن التاريخ بقدر ما يعتبره البعض حديثا عن الماضي، إنما هو حياة مشتركة، ثابتة الحضور في النفس والمخيال، وفي كل ما يعيشه الإنسان كفرد ومجتمع، باعتباره يتضمن كافة إنجازات الأمة وحضارتها، ومن هذه المنطلقات تهتم الجزائر بالذاكرة الجماعية وبالتاريخ الوطني، باعتباره إحدى الركائز التي يوليها رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون اهتماما بالغا، واعتبارا ساميا، لما في هذه الذاكرة من وحدة الوجود للأمة، ووحدة المصير بكل أبعاده المادية والنفسية والعقدية، وهي الإسمنت المسلح الذي يؤازر اللحمة الوطنية الشعبية، وتماسك الجبهة الداخلية لأمتنا، ويؤصلها بكل اعتزاز وفخر لذاتها، وبتضحيات نسائها ورجالها، الذين بفضل تضحياتهم الجسام صمدت الجزائر ضد كل المظالم والغزوات، واستطاعت

من هذا المنطلق أن تقوم بمقاومة الوجود، وهذا ما اكسبها احترام وتقدير وتبجيل الأمم والشعوب.

ولنا في الثورة التحريرية المجيدة رمزا وقدوة، تأسى بها كل المستضعفين في سبيل استرجاع حقوقهم، وليس غريبا على جزائر القيم الموروثة من تاريخنا المجيد أن تظل وفية للمبادئ الإنسانية الكبرى، كالدفاع عن حق مصير الشعوب، وعن حريتها واستقلالها وكرامتها، ولا أدل على تلك المواقف المشرفة للجزائر، ومصداقيتها المشهودة في المحافل الإقليمية والدولية اتجاه القضية الفلسطينية والصحراء الغربية، ومن قبلهما ومن بعدهما كل القضايا العادلة في العالم.

أيتها السيدات الفضليات، أيها السادة الأفاضل

إن مسؤوليتنا كقائمين على قطاع المجاهدين وذوي الحقوق مجتهدين في الدفاع عن ذاكرة الأمة وتاريخها التليد، ومسؤوليتكم كمؤرخين وباحثين ومواطنين مخلصين تدعو إلى صبر أغوار مجالات البحث التاريخي برؤية واعية سديدة، والكدح دونه -دون هوادة- بنظرة متبصرة حصيفة، ولكم سيداتي سادتي أهل العلم والفضيلة من الدولة كل الدعم والسند، ومن هذه المقاصد النبيلة يعمل قطاعنا الوزاري على عقد الملتقيات، والندوات، والأيام الدراسية، ونقل فعاليتها للمؤسسات الجامعية، بهدف العمل على مواجهة ما يتم تداوله من أفكار ورؤى حول تاريخنا عامة بنظرة الآخر، أو محاولات الاستيلاء والسطو عليه، وتعزيز ما يتوفر من بديل علمي وموضوعي، مؤسس على حجج ودلائل ومرتكزا على مناهج عصرية، ومقدما بوسائل متطورة، وأهيب بكل الباحثين والأساتذة والمؤرخين مرافقة القطاع فيما يتطلع إليه من وثبات نوعية مميزة، وبما يوفره من إمكانات مادية وقانونية

وتنظيمية، التي من شأنها ضمان تبليغ الرسالة التاريخية، على أكمل وجه، وأصدق نهج.

في الختام أيها الجمع الكريم

علينا جميعا وخاصة جيل اليوم أن ينهل من معين تاريخنا الوطني الذي لا ينضب، معين القيم والمثل العليا، معين الوحدة والتماسك، معين حب الوطن، معين الإيثار، معين النظر إلى المستقبل المشرق، وأعلن عن افتتاح هذا الملتقى الوطني، متمنيا لفعاليته السداد والنجاح، والله ولي التوفيق.

شكرا على كرم الإصغاء، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة رئيس الملتقى

✍ الأستـاذ الدكتور: بوعزة بوضرسـاية

- مستشاري سيدي الرئيس

- السادة الوزراء

- السيد وزير المجاهدين وذوي الحقوق راعي هذا الملتقى

- الأسرة الثورية

- السلطات المدنية والعسكرية

- المجتمع المدني

- مدراء الجامعات

- الأساتذة الأفاضل زملائي

- طلبتنا الأعزاء

- السلطة الرابعة

- الحضور الكريم كل باسمه ومقامه

ها نحن اليوم نلتقي في هذا الملتقى الوطني حول الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني، الكل يعلم أن التاريخ أكبر معلم للبشرية، فيه الحكمة والعبر والتجارب والسير، ومنه نعرف الصواب فنتبناه، ونعرف الخطأ فنتفاده، إذ التاريخ هو الأساس الذي تبنى عليه الأمم ذاكرتها، والأمل الذي منه تتفرع الفروع، إذ من التاريخ نخلق للأجيال الصاعدة فكرة الولاء للوطن، والحفاظ عليه، لأن الحفاظ على الوطن هو الحفاظ على مآثر الأجداد والآباء، هو ديمومة الانتماء لهذا الوطن، من خلال تكوين ذاكرة تاريخية وطنية.

الحضور الكريم

إن الاهتمام بالتاريخ الوطني، والذاكرة الوطنية تمكننا من القدرة على الاستنتاج والبحث، وتعزيز الذات الوطنية، لذلك فالتاريخ ليس ساكنا إنه حركية وديمومة، بمعنى أنه ليس عبارة عن أحداث وقعت ومضت، إنما هو الحاضر الذي نعيشه الآن، وهذا الحاضر هو امتداد لماضينا التليد، واستشراف لمستقبلنا الذي نخطط له بناء على ذاكرتنا الوطنية.

الحضور الكريم

عندما يشعر أي فردا من أفراد المجتمع أنه مرتبطا بأرضه، ومتجذرا فيها، وأنه صاحب عطاء تاريخي، تكون قدرته على الفعل والاستنهاض، غير ذلك الذي يشعر أنه مهزوم تاريخيا، نحن شعبا لنا من الذاكرة الوطنية الكثير، وبالتالي فإن صناعة المستقبل تعتمد على الأمة الحية، التي تشعر بذاتها، وبهويتها، وبانتمائها الحضاري، وصدق من قال: "إن أي أمة بلا تاريخ هي أمة بلا مستقبل"، وأن الماضي والحاضر والمستقبل خط متصل غير منقطع، التاريخ الوطني والذاكرة الوطنية تحتاج في نظرنا إلى أمرين أساسيين:

- الإلمام بتفاصيل التاريخ الوطني حسب التحقيق التاريخي، الذي تبنته العديد من المدارس التاريخية الوطنية، من خلال مدرسة تاريخية جزائرية وطنية هي قاطرة هذه الأمة، وهذا التحقيق يقوم على مراحل محورية وهامة بالنسبة لتاريخ الجزائر، القديم منه والوسيط والحديث والمعاصر، بمقوماته الثلاث هي المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاستعماري الفرنسي، ثم المقاومة السياسية، وأخيرا ثورة أول نوفمبر الخالدة، التي دخلت التاريخ من بابه الواسع، بتضحياتها الجسام، وأنهت الاستعمار الفرنسي البغيض من الجزائر وبدون رجعة.

- أما الأمر الأخر فهو البحث عن آليات وميكانيزمات فعالة لتجسيد مقرر التاريخ الوطني، ودوره في ترسيخ الوعي الوطني العقلي والمعرفي.

أيها الحضور الكريم

إن اختيار هذا الموضوع، وبهذا العنوان يعود أساسا إلى الرؤية السديدة للسيد رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون حول ضرورة الاهتمام بلبنة من لبنات مقومات الأمة الجزائرية، وهي الذاكرة الوطنية والتاريخ الوطني، وعملية ترسيخه لدى كل الناشئة الجزائرية، بكل أبناء هذه القارة، القارة الجزائر، قاطبة وبدون استثناء، وبالفعل من هذه الرؤية الهادفة والسديدة أصبح التاريخ الوطني والذاكرة الوطنية لدى السيد رئيس الجمهورية أولوية من أولوياته، لما لهذا التاريخ من أهمية في تماسك وترابط أبناء الأمة الجزائرية، عبر مراحل تاريخها المجيد.

أيها الحضور الكريم

الأمر الآخر إن فكرة الذاكرة الوطنية وإشكالية كتابة التاريخ الوطني كملتقى وطني جسدها السيد وزير المجاهدين وذوي الحقوق عندما التقيناه لأول مرة مع ثلة من الباحثين والمؤرخين في مقر الوزارة، منذ تقريبا ثلاث سنوات، وبالفعل تم عرض الأسباب والأهداف الكامنة وراء هذا الملتقى في ندوة صحفية، ولعل من هذه الأسباب، هو التعدي على ذاكرة الأمة، ومحاولة سرقة تاريخها، وتراثها الحضاري والثقافي، من بعض الأقلام المأجورة الخارجية، وهذا ما جعلنا اليوم أمام إلزامية تاريخية ومصيرية في آن واحد، وهي الدفاع عن ذاكرة الأمة الجزائرية للحفاظ على هويتها.

أيها الحضور الكريم

اليوم نعيش على عهد الجزائر الجديدة، وهو ما يسمى بالعصر الذهبي الذي أكدته تصريحات السيد رئيس الجمهورية الرامية إلى الغوص

في معنى الذاكرة الوطنية والتاريخ الوطني، الذي أدهش اليوم القاصي والداني بتمسك هذا الشعب بتاريخه الناصع، والحافل بالبطولات والأمجاد، تلك هي الدوافع التي جعلتنا اليوم نلتقى من أجل تسطير منطلقات هذا التاريخ الفكرية والمعرفية، وما هو مهم في هذا الملتقى بالأساس هو كيفية تطبيق التاريخ الوطني على أرض الواقع، لا من حيث التأليف والأسلوب فقط وتقديمه للناشئة، لكونها العنصر الاجتماعي المعني بهذا الجانب، وذلك من خلال هيئات ومؤسسات متخصصة، حتى لا يتعرض تاريخنا مستقبلا للتشويه والتزوير، وهذه المؤسسات ستكون صمام أمان للذاكرة الوطنية والتاريخ الوطني، الذي تسعى بعض الأقلام الخارجية إلى تشويهه، بل حاولت غير ناجحة في السطو على بعض جوانبه، وهذا ما يستدعي من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية، الوقوف بالمرصاد ضد كل من تسول له نفسه المساس بمقومات ذاكرتنا وتاريخنا الوطني، لأنه مصدر إلهام شبابنا، هذا غيض من فيض، كان وراء تحديد أوراق هذا الملتقى، الذي جاء في أربعة محاور رئيسة، المحور الأول تضمن التأصيل المفاهيمي لمفهومي الذاكرة والتاريخ، المحور الثاني واقع الدراسات التاريخية في الجزائر وجهود بناء مدرسة تاريخية وطنية، المحور الثالث التاريخ الوطني في المنظومة التربوية الجزائرية، المحور الرابع التاريخ في اهتمامات سياسة الدولة الجزائرية المستقبلية، لإنجاح هذا الملتقى وجهت الدعوات لكل المختصين على اختلاف مشاربهم من أجل إثراء هذا الموضوع، من خلال مداخلاتهم القيمة، بحيث لم تستثني الدعوة أي مثقفا باحثا كان أو مؤرخ أو متخصص أو هاوي كتب عن تاريخ الجزائر بنزاهة وموضوعية، وأمانة واحترافية، كانت إضافة حقيقة للمكتبة الجزائرية، التي تهدف إلى الحفاظ على الذاكرة الوطنية.

أيها الحضور الكريم

مرة أخرى ننوه في هذا المقام، ومن هذا المنبر بالدور الوطني للسيد رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون الذي شجع ومازال يشجع على اهتمام بالذاكرة الوطنية والتاريخ الوطني، والشكر موصول إلى السيد وزير المجاهدين وذوي الحقوق العيد ربيقة الذي سعى ومازال يسعى من مركزه على تجسيد توجيهات السيد رئيس الجمهورية فيما يخص الذاكرة الوطنية والتاريخ الوطني، لما لهما من أهمية بالغة في الحفاظ على موروثنا الحضاري الوطني، من خلال إعطائنا كباحثين ومؤرخين الفرصة من أجل تجسيد التوجيهات السديدة للسيد رئيس الجمهورية.

السادة الحضور

كثيرة هي الملتقيات والندوات التي نظمت في هذا المجال، غير أن الجديد في هذا الملتقى الشامل الجامع، هي تلك الإرادة السياسية الحاضرة من أعلى سلطة في البلاد، إلى جانب وزارة المجاهدين الرامية إلى مرافقة الأقلام الوطنية، والباحثين والمؤرخين الجزائريين، من أجل الحفاظ على ذاكراتنا الوطنية، وموروثنا التاريخي.

عاشت الجزائر حرة أبية، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

كلمة منسق اللجنة المشتركة الجزائرية-الفرنسية للتاريخ والذاكرة

الأستـاذ الدكتور: محمد لحسن زغيدي

- السادة مستشاري السيد رئيس الجمهورية

- السادة الوزراء

- صاحب الدعوة السيد وزير المجاهدين وذوي الحقوق المحترم

- صاحب الحضور العلمي السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي

- صاحب الحضور الروحي السيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف

تحياتي لكم جميعا

- زملائي الأساتذة، زملائي الطلبة، أساتذتي الكرام من تتلمذت عليهم وتعلمت عليهم، حتى صرت أقف في هذا المنبر الكريم

حقيقة حينما تلتقي الإرادة، وتلتقي العزيمة، ويلتقي البحث العلمي، ويتعانق معا يلد فعلا فكر الجزائر الجديدة.

إن أهمية الذاكرة الوطنية والتي صدحت بها حناجر الذين ساروا في شوارع الجزائر، في حراك مجيد عظيم، رافعين رايات المجد، وصور الشهداء، كل ذلك لم في أذن صماء، بل صاغته أيدي كريمة في برنامج نال أربعا وخمسين نقطة، وتشير إلى الالتزام بنوفمبرية الدولة الجزائرية الجديدة، وهي التي باشرها السيد رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون، حيث أعطى للذاكرة وللبحث العلمي في سبيل الذاكرة، ومن أجل أن تكون الذاكرة والتاريخ هما اللذان تسير في عهدهما وتحتضن بهما الدولة الجزائرية الحديثة.

وما تشكيل اللجنة الجزائرية للتاريخ والذاكرة هي التي جاءت نتيجة اتفاق رئاسي بين رئيسين عبد المجيد تبون وماكرون وهي اللجنة الاستشارية التي جاءت من أجل أن تتجسد هذه الذاكرة ميدانيا، باسترجاع كل الأرشيف الوطني، لأنه لا يمكن أبدا أن نكتب التاريخ، وكل المادة التي يحتاجها المؤرخ

هي ما زالت موجودة عند المحتل، ولهذا أيها الإخوة إن النضال من أجل استرجاع هذه المادة وهذا الأرشيف، الذي يرمز إلى السيادة الوطنية، والذي باشرت اللجنة منذ تشكيلها أولا إلى تأسيس قاعدة علمية بالاتفاق مع الوزارتين، مع وزارة المجاهدين ووزارة التعليم العالي، منذ البداية في فتح أسوار الجامعات، ولملمت إخواننا المؤرخين بأن تكون هناك قاعدة صلبة منطلقة وفق قواعد علمية، ووفق منهجية أكاديمية، تسير على نهجها.

تلك السبل هي التي مكنت اللجنة في أربع حوارات من أن تسجل العديد من الانتصارات، من بينها أعظم انتصار وهو استرجاع اثنين مليون وثيقة إلى الجزائر، لتكون بيد الباحثين، والوصول إلى فتح بوابة إلكترونية تجمع كل هذا الأرشيف، ليكون بين يدي المؤرخين حتى ننطلق بذاكرة حقيقة وبكتابة تاريخية موضوعية، مبنية على مرجعية أساسية ولهذا فإن هذه اللجنة التي هي مسؤولة مباشرة أمام السيد رئيس الجمهورية، الذي أعطها كل الحرية، وأعطها كل الثقة، بأن تتصرف في هذا الملف، وأن تصل به إلى النهاية، ولهذا أيها السادة الكرام هنا أيضا توصلنا إلى استرجاع كل أرشيف الفترة العثمانية، كذلك تمكنا قبل خمسة عشر يوما في باريس من الوقوف على كل المراكز التي تحوي الأرشيف الجزائري، ووقفنا على الجوانب المادية، والجوانب الأرشيفية، التي اتفقنا على أن نستعيدها، وأن نناضل من أجلها، وأن نسعى إلى الحصول عليها، لأنه لا يمكن أبدا، إن كانت الذاكرة الوطنية التي تحمل كل هذه العبقرية لهذا الشعب، من عصور ما قبل التاريخ، إلى يومنا هذا.

إذن حتى نكتب هذه الذاكرة في صفحات تاريخية ماجدة يجب أن تتوفر الإرادة والدعم وصاحب القرار، والإرادة وصاحب القرار هما دائما في الموعد، وهما دائما على العهد.

وأصبحت الذاكرة هي الأساس في بناء الدولة الجزائرية على النهج النوفمبري الوفي إلى كل المراحل التاريخية، ولهذا أيها السادة من هذا المنبر أشكر كل الذين حضروا لهذا الملتقى، وأشكر أصحاب الرعاية، وأشكر كل أساتذتي وزملائي في الجامعات، وزملائي الطلبة والطلبات، الذين جاؤوا ولبوا دعوة وزارة المجاهدين، على أن يكونوا هنا وتبرز يعني كيف تتعانق الوزارتين بل الوزرات، لأن وزارة المجاهدين، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ووزارة الشؤون الدينية الراعي على الخلق الكريم والمبادئ الأساسية للأمة الجزائرية، حينما تكون هذه الإرادات موجودة مع مستشاري رئيس الجمهورية لدليل واقع على أن نهج الجمهورية الجزائرية الجديد مبنيي على أسس واثقة رزينة، والمقام الذي جمعنا هو مكان الجيش الوطني الشعبي سليل جيش التحرير الوطني، له كل الرمزية والدلالة الواقعية على كون الإرادة الوطنية هي المصب بالذاكرة الوطنية لكتابة التاريخ المجيد لعهد جديد، وشكرا لكم جميعا.

*** المداخلات العلمية ***

الأستوغيوغرافيا الجزائرية المعاصرة
بين خطاب الذاكرة والتاريخ الأكاديمي

الأستاذ: مصطفى سعداوي
مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة
جامعة محند أكلي أولحاج - البويرة

- مقدمة

في أواخر عشرينيات القرن الماضي، بدأت الأستوغيوغرافيا الجزائرية في نسختها المعاصرة تخطو أولى خطواتها، ما يعني أنه مضى ما يقارب قرن من الزمن مذ بدايتها إلى وقتنا الحالي. الأمر الذي يستدعي وقفة تأمل في هذه المسيرة القرنية، بغية الوقوف على مكامن القوة والسعي إلى تعزيزها، ورصد مواضع القصور والعمل على تداركها، والتعرف على التحديات والرهانات التي لا تزال تواجهها، وتحفيز التفكير في الكيفية المثلى للتفاعل معها.

وتزداد هذه الوقفة التأملية أهميةً، إذا علمنا أن انطلاقِ تلك المسيرة القرنية تزامن مع ذلك التطور الهائل والاستثنائي الذي عرفه علم التاريخ، والذي لم يسبق له مثيل منذ ظهوره في القرن الخامس قبل الميلاد[1]. وقد بدأ بانبثاق مدرسة الحوليات (مارك بلوخ - لوسيان لوففر) في أواخر العشرينيات (**1929**م) في فرنسا، لتكون فاتحةً لقفزات نوعية آخري ما برح يشهدها هذا التخصص عبر العالم.

في فرنسا ذاتها (La nouvelle Histoire) التاريخ الجديد، وفي إيطاليا (Micro-Storia) ميكرو-سطوريا، وفي ألمانيا تاريخ الحياة اليومية (Alltagsgeschichte)، وفي أمريكا (History from Below) التاريخ من

الأسفل، وفي الهند (Subaltern Studies) دراسات التابع، الخ... ما أفضى إلى تحولات عميقة في براديغمات "حرفة المؤرخ"، وتطورات غير مسبوقة في مفاهيم علم التاريخ وتقدم فائق في مناهج وتقنيات البحث فيه.

الأمر الذي يضعنا إزاء استفهام ملح، مفاده: إلى أي مدى استطاعت الأسطوغيوغرافيا الجزائرية المعاصرة أن تتجاوب بشكل فعال مع التحديات التي كانت وراء ظهورها، وتستفيد -في ذات الحين- من المنجزات النوعية والتطورات الهائلة الذي ما فتئ يحققها هذا التخصص عبر العالم، ومن ثم التأسيس لمدرسة تاريخية جزائرية اسما ومعنى؟

للإجابة على هذه التساؤلات، لا مناص من إطلالة -ولو سريعة- على تلك المسيرة القرنية.

1- قرن من الاستوغيوغرافيا الجزائرية: اطلالة خاطفة

لم تكن الحملة الفرنسية على الجزائر في **1830**م بدايةً لاحتلالٍ عسكري شرس واستعمارٍ إحلالي مستديم فحسب، بل كانت أيضا انطلاقةً لغزوٍ فكري ممتد، ويكفي دلالة على ذلك أنها جاءت معزّزة بالمطبعة والصحيفة والمستشرقين والمترجمين... ما يعكس قناعة راسخة بأن السيطرة المادية على الأرض لن تكلل بالنجاح والاستمرار ما لم تُعزز بالإخضاع المعنوي للإنسان، وأن التحكم في حاضر البلد ومستقبله مرتهن بإعادة صياغة ماضيه وإحكام القبضة عليه. وفي هذه المعمعة، كان من المنطقي أن يضطلع "المؤرخ الاستعماري" بدور محوري، وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال ما عُرف بـــ: (مدرسة الجزائر) (L'Ecole d'Alger) التي تركزت جهود أقطابها:

(Emile-Félix Gautier, Stephan Gsell, Gustave Mercier…)

على شرعنة الوجود الاستعماري في البلاد وتبرير سياسته وأعماله فيها[2]. وهكذا، راحت تروج بأن "الجزائر صنيعة فرنسية"، نافيةً وجود أمة جزائرية قبل **1830**م، ومدعيةً بأنها خليط من الأعراق و"الأعراش" المتنافرة والمتناحرة، وتاريخها مجرد سلسلة من غزوات خارجية متتابعة واحتلالات

أجنبية متلاحقة... مؤسسةً بذلك لأطروحاتٍ ونظريات متعسفة من قبيل: "الظل الأبدي" و"العجز الفطري" و"انتصار الجغرافيا على التاريخ" و"قهر الطبيعة للثقافة"...[3].

وبما أن كل فعل يستلزم رد فعل مساوٍ له في القوة ومخالفٌ له في الاتجاه، فقد بدأ يظهر في أواخر عشرينيات القرن الماضي[4] جزائريون مثقفون باللسان العربي ومتشبعون بأفكار الإصلاح[5]، انبروا يصوغون خطابا تاريخيا مناوئا لأطروحات المدرسة الكولونيالية[6]. وكان من أبرزهم[7]؛ الشيخ مبارك الميلي (**1897-1945**م) صاحب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"[8] الذي صدر الجزء الأول منه في **1928**م، والشيخ أحمد توفيق المدني الذي نشر "كتاب الجزائر" في **1932**م[9]، وكذا الشيخ عبد الرحمان الجيلالي مؤلِف "التاريخ الجزائر العام" في أربعة أجزاء والتي صدر أولها في **1952**م... والشيخ محمد على دبوز الذي كتب بين **1951**م و**1953**م مسودة الأجزاء الثلاثة الأولى من كتابه "تاريخ المغرب الكبير"[10]...

وسرعان ما تعزز هذا التيار المتصاعد، في سنوات **1940**م و**1950**م، بشبان جزائريين آخرين؛ لكنهم هذه المرة متعلمون باللغة الفرنسية، وملتزمون بالنضال من أجل الاستقلال في إطار حركة الانتصار - حزب الشعب (PPA-MTLD).

نذكر منهم: محمد الشريف الساحلي (**1906-1989**م)، ومصطفى الأشرف (**1917-2007**م)، ومحي الدين جندر،[11]... وبحكم تكوين هؤلاء في الجامعات الفرنسية، فقد قدموا إضافات منهجية معتبرة للاستوغيوغرافيا الجزائرية الناشئة[12].

ومع تراكم الجهود السابقة، وبالتزامن مع بزوغ فجر الاستقلال، انطلقت الدعوات إلى (Décoloniser l'Histoire)[13] "تخليص التاريخ من الاستعمار" و(La réécriture de l'Histoire) "إعادة كتابة التاريخ"... بيد أن الكادر البشري الضروري لإنجاز تلك المهام لم يكن متاحا؛ حيث كان عدد حملة شهادة الليسانس في التاريخ غداة الاستقلال أقل من عدد أصابع

اليدين، ناهيك عن عدم توفر أي حامل لمؤهل أعلى[14]. وهو ما يلقي الضوء على تلك المفارقة المثيرة؛ إذ في ظل تلك الدعوات الصاخبة، كان تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية يتمّ على أيدي مؤرخين فرنسيين وباللغة الفرنسية، بحيث نوقشت عشرون مذكرة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة[15] (DEA) في التاريخ في جامعة الجزائر خلال عشر سنوات الأولى (**1962-1972**م)[16]، كلها حررت باللغة الفرنسية عدا اثنتين منها[17]، وأكثر من ذلك أَنْجَزَ المذكرات الثمانية الأولى بين **1963**م و**1967**م طلبةٌ من أصول فرنسية[18]. وأول مذكرة (DEA) أنجزها جزائريٌ وحررت باللغة العربية كانت عام **1967**م، وهي بعنوان "الوضعية السياسية والإدارية في المغرب الإسلامي بين **40**هـ و**122** هـ" لموسى لقبال[19].

واستمر الوضع على هذا الحال إلى غاية **1971**م، حيث تمت أول عملية إصلاح للتعليم العالي منذ الاستقلال، وتمحورت حول "جزأرة" المنظومة الجامعية[20]. وفي هذا السياق، جرى تعريب العلوم الإنسانية في مقدمتها علم التاريخ[21]، وعندها بدأ يتشكل أول جيل من المؤرخين الجامعيين الجزائريين، الذين سيتركون بصماتهم لعقود طويلة على التدريس الأكاديمي والبحث العلمي في ميدان التاريخ. ومن أبرز الأسماء التي شكلت ذلك الجيل[22]: محفوظ قداش، أبو القاسم سعد الله، جمال قنان، مسعود العيد، موسى لقبال، محمد العربي الزبيري، مولاي بلحميسي، محمد الطاهر العدواني، عبد الحميد حاجيات، رشيد بورويبة، إبراهيم فخار، ناصر الدين سعيدوني، يحي بوعزيز، ألخ... وهنا لنا أن نتساءل: هل أفضي هذا التطور غير المسبوق إلى طفرة في الدراسات التاريخية؟

نجد الجواب على ذلك في تقرير أنجزه فريق من المختصين أشرف عليه الأستاذ قنان، وذلك في إطار لجنة وطنية تشكلت عام **1987**م لتقويم الإنتاج العلمي والأدبي والفني بعد ربع قرن من الاستقلال. ووفقا للتقرير المذكور، كانت الجزائر حينها تتوفر على أقل من **60** كاتِبًا في الموضوعات التاريخية، وهو عدد ضئيل جدّا بالنظر إلى عدد السكان الذي كان يزيد عن **23** مليون نسمة (أي كاتب واحد لما يقارب **400** ألف نسمة)، مع التنبيه إلى أن أغلب

هؤلاء الكتاب لم يكونوا من الأكاديميين. كما لم يتجاوز حجم كل ما أُنتج في حقل التاريخ على امتداد ربع قرن الـ **250** عنوانا[23] (بما في ذلك الدراسات المختصرة)، أي بمعدل **10** عناوين كل سنة، وهو -بنص الوثيقة- "قدر زهيد جدّا ومجهود متواضع للغاية". هذا من حيث الكم، أما من حيث المحتوى، فإنه وعلى الرغم من أن "التاريخ الوطني" -حسب كاتب التقرير- كان أول ضحايا الاستعمار، والدعوات إلى تحريره تعالت منذ السنوات الأولى للاستقلال، فإن الإنتاج التاريخي بعد ربع قرن لا يزال تحت تأثير المدرسة الاستعمارية، بل إن بعضه ما هو إلا "استمرارية لنمط تعاملها مع وقائع التاريخ الوطني"[24].

وجديرٌ بالذكر أنه سنوات قليلة بعد كتابة هذا التقرير، دخلت الجزائر في أزمة متعددة الأبعاد، طوت في جوفها كل عقد التسعينيات، وخلالها تعطلت جلّ ديناميكيات المجتمع وفي شتى المجالات، كما تعرضت طاقاتها الحيوية ومادتها الرمادية إلى نزيف حاد، واستمر ذلك إلى غاية مطلع الألفية الثالثة. إلا أنه ومنذ السنوات الأولى للألفية الجديدة وإلى وقت قريب أي على امتداد عقدين كاملين، ما برحت الإستوغيوغرافيا الجزائرية (الجامعية منها بالأخص) تعرف ظاهرة لافتة؛ أشبه ما تكون "بالانفجار الكبير" (Big Bang)؛ إذ راحت تتمدد بسرعة فائقة وفي مختلف الاتجاهات، مشكّلةً طفرة كمية لم يسبق لها مثيل. وهنا لنا أن نتساءل: إلى أي مدى تعكس هذه الزيادة الهائلة في المخرجات الكمية للاستوغيوغرافيا الجزائرية تطورا نوعيا مكافئا يلبي الاحتياجات الوطنية المتعاظمة، ويتجاوب مع المنجزات الكبيرة التي حققها التخصص عبر العالم؟

2- الاستوغيوغرافيا الجزائرية في الحقل الأكاديمي: رؤية نقدية

بدأت الإستوغيوغرافيا الجزائرية -كما رأينا أعلاه- تكتسح الحقل الجامعي وتكتسي طابعا أكاديميا بشكل واضح مع مطلع سبعينيات القرن الماضي. ومرد ذلك إلى تضافر عدة معطيات، أهمهما اثنان؛ أحداهما شكلي ويتعين في عملية جزأرة تخصص التاريخ على مستوى الجامعة الجزائرية في إطار سياسة إصلاح التعليم العالي التي انطلقت في ذات الفترة، والآخر

موضوعي ويتحدد في مناقشة العديد من الأكاديميين الجزائريين لرسائل "دكتوراه في التاريخ" في الجامعات الأوربية والأمريكية في أواخر الستينيات وخلال السبعينيات على غرار: أبو القاسم سعد الله (أمريكا، **1965**م)، علي مراد (فرنسا، **1967**م)، محفوظ قداش (فرنسا، **1969**م، **1979**م)، جمال قنان (فرنسا، **1970**م)، مولاي بلحميسي (فرنسا، **1972**م)، محمد العربي الزبيري (الجزائر، **1972**م)، ناصر الدين سعيدوني (الجزائر، **1974**م، ثم فرنسا **1988**م)، لمنور مروش (فرنسا، **1976**م)، محمد حربي (فرنسا، **1975**م)، يحي بوعزيز (الجزائر، **1976**م)، جربال (فرنسا **1979**م)... وقد عاد أغلبهم إلى أرض الوطن وعمل في الجامعات الجزائرية، بينما بقي بعضهم في الخارج وواصلوا البحث والتأليف (هناك)، لكنهم جميعا تركوا – وإن بدرجات متفاوتة– آثارا ممتدة على الكتابة التاريخية الجزائرية. ومن تجليات ذلك، التطور النوعي وغير المسبوق الذي عرفته هذه الأخيرة[25]، حيث أضحت تستوفي المعايير العالمية للكتابة العلمية، كما راحت ترتاد ميادين بحث كانت إلى وقتئذٍ لا تزال بكرا (كالعقار، العملة، الأسعار، الوقف، الحرف والحرفيون، التاريخ الثقافي، الدراسات الإفريقية، الحياة الريفية...) وأكثر من ذلك، أخذت تنفتح شيئا فشيئا على المدارس المعاصرة وتتفاعل مع رؤاها المجدِّدة وتستفيد من مقارباتها الطريفة... ما حدا بالعديد من المراقبين الأجانب إلى التنويه بالمستوى المتميز للتاريخ الأكاديمي في الجزائر، على غرار المؤرخ المصري الكبير إسماعيل محمود الذي يرى بأنه "ولد وشبّ عملاقا... نتيجة لانفتاحه على جامعات الغرب، وجامعات فرنسا بالذات"[26].

ومن الجدير بالذكر أن هذه الانطلاقة القوية التي استمرت لأزيد من عقدين[27]، كانت تشوبها نقطة ضعف أساسية، تكمن في محدودية إنتاجها العلمي، وهذا كنتيجة طبيعية لقلة عدد فاعليها أكانوا أفرادا أو مؤسسات. لكن المفارقة أنه مع تدارك هذه النقيصة بتحقيق قفزة كمية ضخمة خلال العقدين الأخيرين، حدثت قهقرى نوعية رهيبة، كأنما هذه كانت ثمنا ضروريا لتلك وإن كان باهظا. وفيما يلي محاولة لتسليط الأضواء على طرفي هذه المفارقة:

2-1- قفزة كمية غير مسبوقة:

وتجلت -بشكل خاص- فيما يلي:

أ- أقسام التاريخ: بعد حوالي أربعة عقود من الاستقلال، لم تكن الجزائر تتوفر سوى على أربعة أقسام تاريخ (في كل من: جامعة الجزائر، وجامعة قسنطينة، وجامعة وهران، إلى جانب معهد الحضارة الإسلامية في جامعة الأمير عبد القادر)، لكن هذا الرقم تضاعف أكثر من عشر مرات في أقل من عقدين، بحيث أضحى هنالك -الآن- أزيد من **40** قسم تاريخ، بل يمكن أن يرتفع هذا العدد إلى أكثر من **50** إذا احتسبنا شعب التاريخ (على اعتبار أن "التاريخ" يتواجد في بعض الجامعات كشعبة في إطار قسم العلوم الإنسانية)

ب- الأساتذة الباحثون: بالتوازي مع ما سبق، كان من الطبيعي أن يقفز تعداد أساتذة التاريخ عبر مختلف جامعات الوطن من بضع العشرات مع مطلع الألفية الحالية إلى مئات الأساتذة الدائمين، وربما الآلاف إذا احتسبنا الأساتذة المؤقتين ممن لم يناقشوا بعد أطاريحهم أو ناقشوها ولم يحصلوا بعد على مناصب عمل قارة في الجامعة. ما يستدرجنا للحديث عن ظاهرة المناقشات.

ت- مناقشة الرسائل الجامعية: عرفت هذه الأخيرة (أي مناقشات الرسائل الجامعية في تخصص التاريخ) تصاعدا كميا غير مسبوق، ولإعطاء صورة واضحة عن ذلك، سنأخذ قسم التاريخ بجامعة الجزائر[28] كمثال؛ حيث تزايد عدد رسائل الماجستير، والدكتوراه حلقة الثالثة، والدكتوراه التي نوقشت خلال خمسة عقود الأولى من الاستقلال كالآتي:

- العقد الأول (**1962-1970**م): مناقشة **6** رسائل (كلها دكتوراه حلقة ثالثة)

- العقد الثاني (**1971-1980**م): مناقشة **14** رسالة (دكتوراه حلقة ثالثة)

- العقد الثالث (**1981-1990**م): مناقشة **21** رسالة (**8** دكتوراه حلقة ثالثة، **13** ماجستير التي أخذت تحل محل الدكتوراه حلقة ثالثة)

- العقد الرابع (**1991-2000**م): مناقشة **50** رسالة (**04** دكتوراه، **01** دكتوراه حلقة ثالثة، **45** ماجستير)

- العقد الخامس (**2001-2010**م): مناقشة **276** رسالة (**43** دكتوراه، **233** ماجستير)

وهكذا، إذا قارنا بين العقدين الأول والخامس، نسجل قفزة "عملاقة" في عدد الرسائل الجامعية التي نوقشت في تخصص التاريخ؛ من **6** رسائل إلى ما يقارب **300** رسالة أي أن العدد تضاعف حوالي **50** مرة. هذا، مع التنبيه إلى أن "القفزة" على المستوى الوطني أكبر من ذلك بكثير، حيث أن المثال الوارد -هنا- خاص بأعرق قسم تاريخ في الجزائر، أي بقسم كان متواجدا طيلة العقود الخمسة المشار إليها، بينما الغالبية العظمى من أقسام التاريخ لم تظهر -أصلا- إلا خلال العقد الخامس.

ج- المجلات المتخصصة: كانت المجلات الأكاديمية المختصة في نشر الدراسات التاريخية إلى غاية أواخر التسعينيات، تعد على أصابع اليد الواحدة (على غرار "مجلة الدراسات التاريخية" الصادرة عن معهد التاريخ بجامعة الجزائر، و"مجلة سيرتا" الصادرة عن معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، و"مجلة الذاكرة" الصادرة عن المتحف الوطني للمجاهد...). وهي -في كل الأحوال- لا تتجاوز أصابع اليدين حتى ولو أضفنا إليها مجلات أخرى غير أكاديمية (كمجلة الثقافة، ومجلة الأصالة، ومجلة التراث، ومجلة أول نوفمبر...)، كما أن أغلبها كان يصدر بشكل متقطع... بينما تتوفر -حاليا- منصة (ASJP) (المنصة الجزائرية للمجلات العلمية) لوحدها على **866** مجلة علمية، منها **501** مجلة مختصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، معظمها ينشر الدراسات التاريخية[29]. وهذا دون أن ننسى وجود عشرات المجلات الأخرى التي لم تدرج بعد في المنصة المذكورة.

ح- مخابر البحث: منذ مطلع الألفية الثالثة، أخذت تظهر كيانات بحثية جديدة تابعة للمؤسسات الجامعية تعرف "بمخابر البحث"، وقد بلغ تعددها -حاليا- على المستوى الوطني **1800** مخبر، منها ما لا يقل عن **60** مخبر بحث مختص في البحث التاريخي أو متعدد التخصصات (بما في ذلك تخصص التاريخ)[30].

خ- نشر الكتاب التاريخي: رأينا -أعلاه- أنه خلال ربع القرن الأول من الاستقلال (**1962-1987**م) لم ينشر سوى **250** عنوان له علاقة بالتاريخ، لكن خلال العقدين الأخيرين عرفت عملية النشر قفزة كبيرة سيما بالتزامن مع مناسبات وطنية أو في إطار تظاهرات ثقافية دولية، نذكر بالخصوص: "تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية **2007**م"، و"تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية **2011**م"، و"الذكرى **50** للاستقلال **2012**م"، و"الذكرى **60** لاندلاع الثورة **2014**م"، "تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية **2015**م"، و"الذكرى **60** للاستقلال **2022**م"... ويكفي أن نشير إلى أنه في إطار المناسبة الأولى فقط أي "تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية **2007**م"، جرى نشر حوالي **1200** عنوانا، كان للتاريخ فيها نصيب معتبر[31].

إلا أنه وكما مضت الإشارة إلى ذلك أعلاه، لم تكن هذه القفزة الكمية المعتبرة تعني -بأي حال- أن الاستوغيوغرافيا الجزائرية حققت تقدما مؤكدا، لأنه بالموازاة معها حدثت قهقرى مخيفة على المستوى النوعي، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه أدناه.

2-2- قهقرى نوعية رهيبة:

يتجلى أحد أهم مظاهر هذا التقهقر في بقاء الكتابة التاريخية الجزائرية أسيرة لحظات ميلادها الأولى. فقد ظهرت لأول مرة -كما رأينا أعلاه- في عشرينيات القرن الماضي كردة فعل طبيعية على المدرسة التاريخية الاستعمارية، وكان من المتوقع عقب إزالة الاستعمار واسترجاع الاستقلال، أن تنطلق إلى أفاق أرحب، وذلك تجاوبا مع التحولات العميقة التي ما فتئت

تعرفها البلاد في شتى المجالات، علاوةً على المنجزات الكبيرة التي حققها علم التاريخ عبر العالم. بيد أنها وعلى الرغم من كل ذلك، ومع انقضاء ما يقارب القرن على ظهورها، لا تزال حبيسة (قوقعة) الجدل مع المدرسة الاستعمارية.

وإذا كان الأمر مفهوما إلى حد ما، بعد ربع قرن من استرجاع السيادة الوطنية، حيث يشير التقرير المذكور أعلاه والمؤَرخ في **1987**م إلى أن "الإنتاج التاريخي لا يزال يعاني في عدد من جوانبه من تأثير المدرسة الاستعمارية، وبعض منه ببساطة، يمثل استمرارية لنمط تعامل (هذه) المدرسة مع وقائع التاريخ الوطني"[32]، مستدركا -بعد ذلك- بأن "بعض الباحثين المحليين حاولوا وبحظوظ من التوفيق تختلف من واحد إلى آخر، تخطي هذه العقبة وتجاوزها، وقد ترجمت مساعيهم هذه بالتطرق إلى موضوعات كانت مهملة، ولفت الانتباه والاهتمام بفترات وعصور كانت المدرسة الاستعمارية تعتبرها حالكة السواد لا يمكن النفاذ إليها... وهدم قناعات كانت تعتبر "حقائق" راسخة..."[33]. بل وأكثر من ذلك، يمكن رصد -وقتئذ- حسب التقرير "روحا جديدة لدى المؤرخين المحليين" ما فتئت تعبر عن ذاتها في شكل تطلع متنامي نحو إقامة "مدرسة في التاريخ الوطني تفرض نفسها على الساحة العلمية"[34]... ما يعني أنه إبان هذه الفترة على الأقل، وبالنظر إلى الجهود المعتبرة التي بذلها الآباء المؤسسون للتاريخ الأكاديمي كان هنالك أمل حقيقي في الانتقال -قريبا- من حالة رد الفعل إلى حالة الفعل والارتقاء من مستوى التقليد إلى مستوى الإبداع، فهل تحقق ذلك؟

في الواقع، لم يفتأ الوضع يتدحرج من سيء إلى أسوأ، وهو ما يؤكده عقب عقدين ونيف (**2008**م) من صدور التقرير السابق أحد أبرز أقطاب الاستوغيوغرافيا الجزائرية المعاصرة؛ أبو القاسم سعد الله في "حديث صريح" مع أحد محاوِريه: "ربما يمكن وصف المرحلة التي نحن فيها بمرحلة ردود الفعل على المدرسة التاريخية الفرنسية الموجهة للجزائر. وردود الفعل لا تؤسس مدرسة تاريخية جزائرية، إنها بمثابة حوار بين طرفين (هم يقولون ونحن نقول، أو كما يقول القدماء: "إن أنتم قلتم كذا

قلنا كذا")، ولكي تظهر مدرسة تاريخية جزائرية يجب توفر عدة شروط منها الباحث الكفء والمنهج العلمي والدخول إلى الوثيقة بحرية والمناخ الحر الذي يتقبل النقد البناء بصدر رحب ويرد عليه -إذا أراد- بروح رياضية. وأين ذلك منا؟"[35].

ومع مرور السنين، لم يبرح هذا الحكم على قسوته يزداد صدقيةً أكثر، وبحدية أكبر؛ فنقرأ -على سبيل المثال- في دراسة منشورةٍ في **2014**م لأحد المهتمين بالاستوغيوغرافيا الجزائرية المعاصرة: "منذ نشأتها اعتبرت الجدل مع المدرسة التاريخية الاستعمارية غايتها القصوى... فمقابل حركة التغريب الاستعماري التي تقوم على نفي مقومات الأمة والدولة في المستعمرات، أسس المؤرخون الجزائريون حركة معاكسة ترمي إلى تمجيد الأمة وأسطرة ماضيها. ورغم تحقيق الاستقلال سنة **1962**م، ما زال السجال المجرد مع المدرسة الاستعمارية على رأس جدول الأعمال للتأليف التاريخي الجزائري... (و) داخل هذه المواجهة الإيديولوجية الصريحة، تصاغ الأسس النظرية والمناهج التي تحدد إشكاليات المؤرخين الجزائريين وتوجه أبحاثهم.."[36].

ما يعني ببساطة أن الدعوة التي انطلقت منذ أزيد من **6** عقود إلى "تحرير التاريخ" أي "تخليصه من الاستعمار" لم تغير شيئا من واقع العلاقة القائمة بين الاستوغيوغرافيا المحلية والمدرسة الاستعمارية. ومرد هذا إلى أن الشرط الضروري لتحقق ذلك لم يتوفر، ألا وهو تحرير عقول المؤرخين الجزائريين -أولا- من التفكير وفق مقولات فكرية ونماذج ذهنية تبلورت في إطار تجارب الآخر أي المستعمِر، بالأخص ما يسمى بـ "الوضعانية" (Positivisme).

ولتوضيح الصورة أكثر، لنأخذ السجال الدائر حول تسمية ما حدث بين **1954**م و**1962**م كمثال؛ حيث من المعروف أن الطرف الفرنسي لم يستطع تسمية تلك الأحداث بـ "الحرب" إلا بعد حوالي ثلاثة عقود من انقضائها، وفي المقابل سماها الطرف الجزائري "ثورة" قبل ميلادها بحوالي ثلاث عقود، علاوة على وجود شبه إجماع جزائري حول هذه التسمية أثناء

وقوع الأحداث ذاتها[37]. بيد أن الجيل الجديد من المؤرخين الفرنسيين المهتمين بـ "تاريخ بلادهم في الجزائر" اقترحوا مع مطلع الألفية الثالثة تسمية جديدة وهي: "حرب الاستقلال"، ترى كيف كان رد فعل الطرف الجزائري؟

- انقسم، كما هي العادة، إلى فريقين:

- فريق رحب بالمقترح، واعتبر التسمية "منصفةً للحقيقة ومعبرة عن الواقع التاريخي"[38]، وهو -على ما يبدو- لم ينتبه للخلفية الفكرية للمقترح أو -على الأقل- لم يهتم بها، مع أن أصحاب المقترح (أمثال سيلفي ثينو[39] ورافاييل برانش[40]...) لم يخفوا ذلك، وهو توافق التسمية الجديدة مع التصور (الكولونيالي) القائل بأن الأمة كما الدولة الجزائرية وليدة الانفصال عن فرنسا، ولم يكن لها وجود قبل **1830**م. ويؤكد ذلك رفضهم -في المقابل- لتسمية "حرب التحرير" لأنها تفترض ضمنا وجود كيان جزائري قبل الاحتلال، حررته حرب **54-62** وأعادت بعثه من جديد.

- وفريق آخر رفض هذا المقترح أو -على الأقل- لم يكترث به، واستمر في استخدام مصطلح "الثورة" لكن في تناقض محير بين "لسان مقال" كتاباته الذي لا يكل عن التأكيد أن ما جرى بين **1954**م و**1962**م هو "ثورة"، و"لسان حالها" الذي لا يكف عن الحديث عن المعارك والكمائن والتسليح والتموين والمفاوضات... وغيرها من الموضوعات اللاصيقة بالحرب. وذلك -على الأرجح- في مسعى دفين (حتى لا نقول لاشعوري) للتأكيد على أن الجزائر انتزعت استقلالها بالقوة، ولم يكن منحة من ديغول كما تدعي كتابات استعمارية[41]. هذا ولا ننسى أيضا التأثير غير المباشر لما ورثته الاستوغيوغرافيا الجزائرية عن غريمتها الاستعمارية من مقاربة وضعانية ومنهج تقليدي، يجعلها تركز على التاريخ السياسي والعسكري، وتنفر من التاريخ الاجتماعي والدروب البحثية الجديدة.

وهكذا، يمكن القول أن هيمنة المدرسة التاريخية الاستعمارية على الاستوغيوغرافيا الجزائرية قائمة في كل الحالات، ولا يختلف سوى شكلها؛

حيث تكون ظاهرة وصريحة أحيانا ومستترة وضمنية أحيانا أخرى. ومرد ذلك -بالأساس- إلى الطابع الحدثي أو الوقائعي للاستوغيوغرافيا الجزائرية، حيث تتعامل حصرا مع الوقائع والأحداث وتتجاهل ما تعبر عنه من أفكار وإشكاليات ومن ثم فهي سواءً اتفقت أم اختلفت مع أحكام الاستوغيوغرافيا الكولونيالية على الأحداث، فإنها تفعل ذلك في كلتا الحالتين ضمن الإطار النظري الذي صاغته هذه الأخيرة والنماذج الفكرية التي بلورتها والمقاربات المنهجية التي حددتها. ونتيجة لذلك، فهي تخلص إلى أحد الموقفين لا ثالث لهما:

- إما موقف "تابع بشكل صريح"، حيث يتبنى نفس أحكام المدرسة الاستعمارية، ويخفف من غلو هذه التبعية تناغمه مع الخلفيات الابستمولوجية والمنهجية لتلك الأحكام، ما يجلب له -عادة- الوصف بالموضوعية والعلمية.

- وإما موقف "تابع بشكل ضمني"، حيث يعارض أحكام المدرسة الاستعمارية، لكن في إطار ذات الخلفيات الابستمولوجية والمنهجية لهذه المدرسة، ما يسهل -في الغالب- وصمه بالذاتية والانحياز.

فنحن -إذن- في قلب مبدأ التبعية (Subalternité) الذي بلوره المؤرخون الهنود أمثال "غوها" (Juha) و"شاكرابارتي" (Chakrabarty) من مؤسسي مدرسة تاريخية جديدة عرفت بـ: (Subaltern Studies) (أي دراسات التابع)[42]. إذ أن الاستوغيوغرافيا الجزائرية وعلى الرغم من أنها قاومت (ولا تزال) الهيمنة الأجنبية ظاهرا، (لكنها) تتصرف -لا إراديا- كما لو أنها تابعة لها، وذلك لأن التبعية تعشش في أعماق فاعليها، فتجعلهم يقومون بسلوكيات غير منطقية. وهو ما تعكسه -بجلاء- الأعراض الملازمة لمخرجات تلك الاستوغيوغرافيا كما سنرى أدناه.

3- من أعراض التبعية للاستوغيوغرافيا الكولونيالية

سنستعرض فيما يلي ثلاثة أعراض "باثولوجية" لظاهرة التبعية التي تعاني منها الاستوغيوغرافيا الجزائرية المعاصرة تجاه المدرسة التاريخية الاستعمارية:

3-1- التقوقع الزمني

تتسم الاستوغيوغرافيا الأكاديمية الجزائرية بمركزية "الفترة الاستعمارية" (**1830-1962**م)؛ حيث يستحوذ التاريخ المعاصر لوحده على نصف الرسائل الجامعية التي أنجزت خلال خمسة عقود من البحث التاريخي **1962-2012**م (تحديدا **515** رسالة من بين **1041**)، بينما يتوَزَع النصف الآخر على المراحل التاريخية الثلاث الأخرى (القديمة والوسيطة والحديثة)[43]. هذا، مع العلم أن الفترة المعاصرة هي أقصر تلك الفترات جميعا، كما أن دراستها تجسد تحديا حقيقيا للباحث؛ لتواجد أغلب مصادرها خارج البلاد[44]، زيادة على حاجتها الماسة إلى اللغات الأجنبية، دون أن ننسى ما تتضمنه من مخاطر سياسية وإيديولوجية. لذا، فإن مما لا شك فيه أن أحد أهم الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة هو انخراط التاريخ الأكاديمي الجزائري في "سجال ممتد" مع مؤرخي المدرسة الاستعمارية، ما جعله يتقوقع زمنيا في نطاق الفترة المعاصرة التي تكاد ترادف عنده الفترة الاستعمارية (**1830-1962**م). بل إنه حتى عند تناول المراحل التاريخية الأخرى، يفعل ذلك -في الغالب- بالتبعية مع الفترة الاستعمارية، أي في إطار رد الفعل على مؤرخيها ومجادلة أطروحاتهم من قبيل: "الميراث الروماني" و"الغزو العربي" و"القرون الإسلامية المظلمة" و"نفي وجود أمة أو دولة جزائرية قبل **1830**م"[45]، الخ...

وأكثر من ذلك، فإن "مرحلة ما بعد **1962**م" التي تقع خارج نطاق الجدل مع الآخر، قلّما يرتادها التاريخ الأكاديمي الوطني. ما أوجد فجوةً رهيبة تمتد على أزيد من **6** عقود من تاريخنا المعاصر (**1962-2024**م)، مع ما (قد) يشكله ذلك من عوائق جدية تحول دون الفهم الصحيح لحاضرنا

والتعامل الأمثل معه، والاستشراف العلمي لمستقبلنا والاستعداد الجيد له. وغني عن البيان أنه لا وجود لأي مبرر علمي لاستمرار هذه الفجوة، بما في ذلك ذريعة عدم إتاحة الأرشيف، إذ أن مفهوم الوثيقة التاريخية قد تطور منذ أزيد من قرن؛ فما عاد ينحصر في الوثيقة المكتوبة، بل أضحى يشمل كل شيء يمكن للمؤرخ بحذقه ومهارته أن يتوسل به إلى معرفة الواقع التاريخي[46]، كما أن مجال الدراسة التاريخية لم يعد قصرا على الواقع السياسي، بل امتد إلى مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية... وصار يتطرق لشتى الموضوعات[47]: العمران، الديمغرافيا، التعليم، الجامعة، المعارضة، النخب، الفنانين، الإعلام، السينما، المرأة، الهجرة، الطبقة العاملة، الفاعلين الاقتصاديين، الجماعات المحلية، الإنتاج المعرفي، الخ... هذا، علاوة على أن العزوف عن التناول الوطني والعلمي لهذه المرحلة (ما بعد **1962**م) لم يحل دون اقتحامها من قبل الدراسات الأجنبية[48] وأقلام محلية غير أكاديمية.

وهنا، لا يفوتنا التنبيه إلى أن هذا العزوف (إنما) يعكس أيضا جانبا من جوانب تخلف الاستوغيوغرافيا المحلية عن نظيرتها العالمية التي أمسى "تاريخ الزمن الراهن" (Histoire du Temps Présent) إحدى أبرز توجهاتها. إذ على خلاف المنهج التاريخي الكلاسيكي الذي لا يتصور دراسة حدث ما إلا بعد انقضاء مدة زمنية معينة على وقوعه، فإن التوجه الجديد يقتضي التعامل معه على الساخن في راهنيته وتلقائيته الفورية، بحيث لا يترك المؤرخ المعاصر لمن يأتي بعده احتكار دراسته (أي الحدث)، وذلك انطلاقا من مسلمة بسيطة مفادها أنه الأولى بذلك، إذ عاصره بكل تجلياته عبر الصوت والصورة والنص[49].

هذا، وقبل إنهاء الحديث عن سمة التقوقع، لا مناص من الإشارة إلى أنها لا تتعلق بالإطار الزمني فحسب، لكن تشمل أيضا الإطار المكاني أو الجغرافي، كما سنرى أدناه.

3-2- الانطواء الجغرافي

على غرار ما أدى استمرار تأثير الظروف الأولى لنشأة الاستوغيوغرافيا الجزائرية إلى تقوقعها زمنيا على الفترة الكولونيالية، أفضى كذلك إلى انطواءها مكانيا على الجغرافيا الوطنية، بحيث نادرا ما تتجاوز الرسائل الجامعية حدود الجزائر. وهو ما تؤكده الإحصاءات المتاحة؛ إذ من بين **515** رسالة جامعية مشار إليها أعلاه تتعلق بالتاريخ المعاصر، أكثر من **80**% منها (أي **413** رسالة جامعية) تخص الجزائر، وأقل من **20**% فقط (تحديدا **102** رسالة) تخطت الحدود (الوطنية) إلى الفضاء المغاربي، وبدرجة أقل إلى المجالين العربي والإفريقي[50]. وكنتيجة لهذا الانغلاق على الإشكاليات التاريخية المحلية الضيقة، غدت الاستوغيوغرافيا الجزائرية بعيدة كل البعد عن المسائل الاستراتيجية والنقاشات الكبرى التي "تصنع المشهد الثقافي والفكري في العالم بشكل عام وفي العالم العربي بشكل خاص"[51]. ناهيك عن افتقاد مختصين وخبراء في تاريخ بلدان محورية كالصين والولايات المتحدة الأمريكية والهند وروسيا والبرازيل... تلعب أدوارا مؤثرة على الساحة الدولية وتربطنا بها علاقات استراتيجية في غاية الأهمية.

والغريب أن هذا يحدث أيضا في اتجاه معاكس لمسار تطور الاستوغيوغرافيا على مستوى العالم، حيث مضت -منذ أواخر القرن الـ **20**- تزدهر توجهات بحثية جديدة تدعو إلى تجاوز الحدود القومية والإقليمية الفاصلة لحركة التاريخ وتبني قراءة كلية لتاريخ البشرية. كما أخذ تخصصٌ جديد يَفرض نفسَه في كبريات الجامعات تحت مسمى "تاريخ العالم" (World History) أو (Global History) "التاريخ من منظور عالمي" ويرنو إلى عرض التاريخ العالمي بوصفه تجربة إنسانية مشتركة، متجاوزا التحيزات المسبقة التي تضع تاريخ الغرب في مركز العالم وتضع تواريخ الأمم الأخرى في الهامش، وذلك وفق مداخل وأنماط جديدة كـ: "الدراسات المناطقية المتقابلة" و"استقصاء ظاهرتي الاستمرارية والقطيعة المتكررتين في العالم" و"تاريخ الأشياء"[52]... مع تشجيع البحوث المقارنة

والدراسات البينية... وهو ما لا نجد له أي صدى في الاستوغيوغرافيا المحلية، وذلك لأسباب عديدة لعل أبرزها ما يمكن نعته بـ "التحجر المنهجي".

3-3- التحجر المنهجي

من المفارقات اللافتة في الاستوغيوغرافيا الجزائرية أنها تعارض غريمتها الاستعمارية في أحكامها ومراميها، لكنها تتبنى نفس مقاربتها الوضعانية وتتبع ذات منهجها الكلاسيكي. ومن ثم فهي -على شاكلتها- تعتمد -أساسا- على الوثائق المكتوبة، وتولي اهتماما واسعا للأحداث السياسية، وتكتفي بالسرد وتنبذ التأويل[53]. بعبارة أخرى، فهي -من حيث لا تدري وبدعوى الالتزام الصارم بما تعتقد أنه "المنهج العلمي"- ترفض تجاوز السقف المعرفي لأواخر القرن **19**، حينما بلور الألمان ابتداءً (نيبور، لاسن، وبالأخص رانكه...)[54] ثم الفرنسيون لاحقا (مونود، لافيس، لانجلوا، سينوبوس...) منهج "النقد التاريخي" وفق تصورات وضعانية "أولية".

وعلى الرغم من التحول المعرفي الكبير الذي ما برح يشهده العالم منذ مطلع القرن **20** (مبدأ اللايقين لهايزبرغ، ونسبية أينشتاين، نظرية الكايوس، الخ...) وأدى إلى زعزعة أركان الوضعانية، وفي نفس الوقت ظهور مدرسة الحوليات التي هزت عرش المنهج التاريخي الكلاسيكي، وتلاحق تطورات تلو الأخرى مذ ذلك الحين وإلى غاية الآن... بيد أن الاستوغيوغرافيا الجزائرية لا تزال تعض بالنواجذ على ذات المنهج التقليدي الذي ورثته عن المدرسة الاستعمارية، وترفض أي مقاربات أو مناهج جديدة لم تستخدمها هذه المدرسة حتى ولو تبلورت على أيدي فرنسية كما سنرى أدناه.

وللتأكد من ذلك، يكفي إلقاء نظرة سريعة على مقررات "مناهج البحث التاريخي" في الجامعة الجزائرية، إذ سنكتشف أنها لا تزال تستنسخ ذات المحتوى منذ سبعينيات القرن الـ **20**، وهو محتوى تقليدي لا يكاد يتجاوز -كما سبقت الإشارة- السقف المعرفي السائد في أواخر القرن **19**[55]. كما أن تدريس هذه المقررات غالبا ما يُسند إلى أساتذة مؤقتين أو خارجيين بوصفها وحدات ثانوية وسهلة التناول. بينما المفترض أن تكتسي

"المنهجية" أهميةً بالغةً وتُولى عنايةً فائقةً في برامج التكوين الجامعي، لكونها الفيصل بين المعرفة العامية والمعرفة العلمية، وبالتالي أهم ما ينبغي على الطالب تعلمه في الجامعة.

وبالنتيجة، فقد خلت الاستوغيوغرافيا الجزائرية -بشكل عام- من الدراسات المهتمة بتاريخ التاريخ، وفلسفة التاريخ، والتنظير التاريخي وإبستمولوجيا التاريخ ومناهجه الحديثة... عدا بعض الكتب المدرسية التي هي في الأصل مطبوعات دروس تستعرض المحتوى الكلاسيكي للمقررات الجامعية وليست دراسات وبحوثاً حقيقية[56].

وإزاء هكذا سطوة للتصورات التقليدية، كان من الطبيعي أن لا تستفيد الاستوغيوغرافيا الجزائرية -إلا لماما- من المناهج الحديثة والمقاربات الجديدة التي أنتجتها مدارس القرن الـ **20**: كـ: (L'école des annales) مدرسة الحوليات في فرنسا، و(Microstoria) "الميكرو - سطوريا" في إيطاليا، و(History from Below) "التاريخ من الأسفل" في بريطانيا، و(Postcolonialism Studies) "دراسات ما بعد الكولونيالية" و"التاريخ الشمولي" (Global History) في أمريكا، و(Subaltern Studies) "دراسات التابع" في الهند، و(Alltagsgeschichte) "تاريخ الحياة اليومية" و(Begriffsgeschichte) "التاريخ المفاهيمي" في ألمانيا، الخ... كما استمرت الحواجز القائمة بين التاريخ وعلوم الإنسان الأخرى، ما حال دون التناهج أي الاستفادة من المناهج الموظفة في هذه العلوم، وبالتالي انعدام شبه تام للبحوث البينية والدراسات العابرة للتخصصات... وكل هذا أعاق توسّع مجال المؤرخ الجزائري إلى حقول معرفية جديدة: كالديمغرافيا التاريخية، وتاريخ البنى، والتاريخ الآني، والأنثروبولوجيا التاريخية، وتاريخ الذهنيات، والتاريخ الكمي، والتاريخ الجزئي، والتاريخ الشمولي... ناهيك عن طرق دروب بحثية غير مسبوقة.

وبناءً عليه، فقد طغى (L'Histoire événementielle) "التاريخ الحدثي" (أو الوقائعي) على الاستوغيوغرافيا الجزائرية بما في ذلك الأكاديمية منها؛ حيث يغلب السرد بمفهومه الكلاسيكي على التحليل

والتركيب، والخبر على النظر والتحقيق، والنقل على النقد والفهم... كما كاد يختفي "التاريخ الإشكالي" في أغلب الأعمال الجامعية، إذ أنها لا تعالج إشكاليات واضحة بل تكتفي -في أحسن الأحوال- بتجميع المعلومات حول مواضيع معينة وترصفيها كرونولوجيا وموضوعيا[57]... هذا ولا ننسى الغياب المفزع للتنظير مع العلم أن "البحث العلمي في التاريخ -كما يقول لوسيان فافر- لا يتحقق إلا بنظرية سابقة، فالنظرية بناء فكري يستجيب لرغبتنا في الفهم والتفسير... والمؤرخ الذي يخضع للأحداث... هو في الواقع مساعد تقني (جامع للأحداث) ليس إلا. وقد يكون عونا جيدا لكنه لا يرقى الى منزلة المؤرخ"[58].

وبما أن القاعدة تقضي دائما أن من لا يتقدم يتأخر، فإننا نشهد في العقدين الآخرين تقهقرًا مخيفًا في مستوى الدراسات التاريخية الجامعية بالمقارنة مع سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي. إذ في سياق الإقبال المحموم على مناقشة "الرسائل الجامعية" ونشر "البحوث العلمية" في سبيل الترقية الاجتماعية، كثيرا ما يتم خرق أبجديات المنهج الكلاسيكي ذاته بل وحتى الاعتداء على أخلاقيات البحث العلمي، وهكذا نجد الكثير مما ينعت بـ "الرسائل الجامعية" أو "الدراسات الأكاديمية" هي -في الواقع- مجرد نقول حرفية لمحتويات الوثائق الأرشيفية[59] أو سرقات (لا) علمية موصوفة لأعمال الغير.

- بمثابة خاتمة

انبثقت الاستوغيوغرافيا الجزائرية المعاصرة في أواخر عشرينيات القرن الماضي كاستجابة للتحدي الذي جسدته المدرسة التاريخية الكولونيالية. وعلى الرغم من الطابع الانفعالي الذي ميزها، إلا أنها كانت ناجحة إلى حد بعيد، لتناغم ذلك مع متطلبات السياق الذي درجت فيه. وهو ما يؤكده اقتدارها على نسف دعاوي مؤرخي المدرسة الاستعمارية المؤسسة للسيطرة الكولونيالية، وفي المقابل إرساء الدعائم النظرية للفعل التحرري الذي قاد إلى الانعتاق في **1962**م.

بيد أنه، وكما هي القاعدة دائما، لم يكن بدّ من أن يفضي تثبيت الإجراءات التي أدت إلى نجاح سابق إلى فشل لاحق. إذ وعلى الرغم من ارتفاع الدعوات إلى تخليص التاريخ من الاستعمار منذ **1962**م، نشهد تنامي تبعية الاستوغيوغرافيا الجزائرية له، وهذا لأن الشرط الضروري لذلك لم يتحقق وهو تحرير عقول المؤرخين الجزائريين -ابتداءً- من التفكير وفق أطر نظرية ونماذج ذهنية تبلورت في خضم تجارب المستعمِر، بالأخص ما سُمي بـ "الوضعانية" (Positivisme). ومرد ذلك -بالأساس- إلى بقاء تلك الأستوغيوغرافيا حبيسة السياق الانفعالي الذي نشأت فيه، فلم تستطع تجاوزه، أو بتعبير ابن خلدون "ما ألفته في الأحوال حتى صار خلقًا وملكةً وعادةً تنزل بمنزلة الطبيعة والجبلة". ومن ثم، فعدا استثناءات قليلة تُحفظ ولا يُقاس عليها، لا يعدو الفعل التأريخي الجزائري أن يكون في إحدى الحالتين:

- إما تقليد إيجابي للأخر (المهيمن)؛ أي التأريخ للفعل الاستعماري، أو بعبارة أوضح كتابة تاريخ فرنسا في الجزائر مع الزعم -عن جهل أو عن عمد- أنه تاريخ الجزائر، وهو ما يفعله المستعمر ذاته.

- وإما -في أحسن الأحوال- تقليد سلبي له، أي التأريخ لرد الفعل الجزائري على الوجود الاستعماري وفعله، ما يعد إقرار فعلي بأن لا وجود للجزائر ولا تاريخ لها إلا في البوتقة الاستعمارية، وتأكيد ضمني للدعوى القائلة بأن "الجزائر صنيعة فرنسية".

بينما المنشود هو كتابة تاريخ "الفعل الجزائري" الذي لم يكن -بأي حال من الأحوال- نتيجة للفعل الاستعماري وإن جرى في سياقه، إذ له أسبابه العميقة وأصوله الممتدة في التاريخ الطويل للبلد وثقافته العريقة. بتعبير آخر، هناك فعل (وطني) مقابل فعل (استعماري)، أي تفاعل وليس انفعال أو رد الفعل، وبالتالي، يوجد تاريخان مستقلان وليس تاريخ مشترك كما يتصور الفريق الأول، ولا تاريخ مهيمن وأخر تابع كما يستبطن ذلك -لا شعوريا- الفريق الثاني.

- بيبلوغرافيا:

- أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتابة التاريخ الوطني والتعريف به، **2012**، منشورات **1954** (CNERRH).

- بنحادة عبد الرحيم، حوار محمود اسماعيل عبد الرزاق أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس (مصر)، مجلة أسطور، العدد الثالث، كانون / يناير **2016**.

- بن ساعو محمد،**2017**، "مسيرة الكتابة التاريخية في الجزائر بين أثقال التقديس ونزعات التسييس وترسبات الكولونيالية"، ذوات (مجلة إلكترونية شهرية صادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث)، العدد **36**.

- جامعة الجزائر **1**، دليل الرسائل الجامعية من **1963** إلى **2013**.

- دبوز محمد على، **2012**، تاريخ المغرب الكبير، ج **1**، عالم المعرفة، الجزائر.

- سعداوي مصطفى، **2022**، الولاية الثالثة في الثورة الجزائرية. التاريخ الاجتماعي للقرى الثائرة، الجزائر، منشورات سراج العلوم.

- سعيدوني ناصر الدين، **1988**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء **2**، الجزائر، المؤسسات الوطنية للكتاب.

- شاكرابارتي ديبيش، **2016**، "دراسات التابع والتأريخ ما بعد الكولونيالي"، تر: ثائر ديب، مجلة أسطور، العدد الثالث، كانون الثاني/ يناير **2016**، ص ص**7-23**.

- عثمان عمرو، **2015**، "التاريخ العالمي: موضوعه ومناهجه ودراسته من خلال تاريخ الأشياء"، مجلة أسطور، العدد **1**، كانون الثاني/ يناير **2015**، ص ص**7-23**.

- عثمان عمرو، **2022**، مراجعة كتاب "التاريخ والنظرية والنص: المؤرخون والمنعطف اللغوي لإليزابيث كلارك، مجلة تبين، العدد **39** المجلد **10**، شتاء **2022**، ص ص**125-134**.

- علاوة عمارة، مولود عويمر (إشراف)، **2013**، نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية **1962-2012**، منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

- عويمر مولود، **2019**، التاريخ والمؤرخون المعاصرون، الجزائر، شركة الأصالة للنشر.

- غالم محمد، **2014**، المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية، مجلة إنسانيات، العدد المزدوج **65-66**، ديسمبر **2014**.

- قنان جمال، **1995**، "واقع الدراسات التاريخية بعد ربع قرن من استعادة الاستقلال الوطني"، مجلة الذاكرة (الصادرة عن المتحف الوطني للمجاهد)، السنة الثانية، العدد الثالث.

- لوغوف جاك، **2007**، التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر منصوري، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

- وزناجي مراد، **2013**، حديث صريح مع أ. د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، **3**، الجزائر، حبر للنشر.

- Branche (Raphaëlle), **2001**, La guerre d'Algérie : une histoire apaisée, Editions le Seuil, Paris, **2001**.
- Chachoua Kamel, **2023**, « Excellence scientifique transnationale et disqualification des sciences humaines et sociales nationales en Algérie », Revue d'histoire des sciences humaines, **43** | **2023**, **203-224**.
- Daho Djerbal, **2007**, «Critique de la subalternité», Dans Rue Descartes, **2007/4** (n° **58**), Éditions Collège international de Philosophie, pages **84** à **101**.
- Delacroix C., Dosse F., Garcia P. et Offenstadt N., **2010**, Historiographies **1**, Paris, Folio histoire, Editions Gallimard.
- Febvre, L., **1965**, *Combats pour l'histoire*, Paris, **2**°éd. A. Colin.
- Haddab M., **1995**, «Statut social de l'histoire : Eléments de réflexion», In : comment on enseigne l'Histoire en Algérie ?, CRASC.

- IHTP, **1992**, Ecrire l'Histoire du temps présent, Paris, CNRS-Editions.
- Ghalamallah, M., **2014**, « L'université algérienne : de la réforme de **1971** à la réforme du LMD », dans Guerid, D. (dir), Repenser l'université, Alger, Arak Éditions, p. **35-56**.
- Kadri, A., **1982**, « La réforme de l'enseignement supérieur et l'enseignement du droit en Algérie », dans Politiques scientifiques et technologiques au Maghreb et au Proche-Orient, Paris, CNRS Éditions, Les Cahiers du CRESM, **14**, p. **265-285**.
- Maurel Chloé, **2014**, Manuel de l'Histoire global. Comprendre le «Global Turn» des sciences humaines, Paris, Armand Colin.
- MESR, **1971**, La refonte de l'enseignement supérieur. Principe et régime des études des nouveaux diplômes universitaires, Alger, Imprimerie officielle.
- SAHLI Mohamed Chérif, **1986**, Décoloniser l'Histoire, Alger, E.A.P.
- Soufi Fouad, **2006**, En Algérie: l'Histoire et sa pratique, in Savoirs historiques, CRASC, p-p : **123-138**
- Siari Tengour Ouanassa et Soufi Fouad, **2004**, « Les Algériens écrivent, enfin, leur guerre », *Insaniyat / إنسانيات* [En ligne], **25-26** mis en ligne le **14** août **2012**, consulté le **21** juillet **2015**. URL : http://insaniyat.revues.org/**6600**
- Thènault (Sylvie), **2005**, histoire de la guerre d'indépendance Algérienne, Ed. Flammarion, Paris.
- Remaoun Hassan, **2004**, «Les historiens algériens issus du Mouvement national », *Insaniyat / إنسانيات* [En ligne], **25-26** | **2004**, mis en ligne le **13** août **2012**, consulté le **06** octobre **2016**. URL : http:// insaniyat.revues.org/**6539**;
DOI: **10.4000**/insaniyat.**6539**
- https://www.asjp.cerist.dz/
- https://dalilab.dgrsdt.dz/list-labos.php

- الهوامش:

1- هذا طبعا إذا سلمنا أن هيرودت (**484** ق.م-**425** ق.م) هو أبو التاريخ.

2- يُنظر على سبيل المثال: محمد البشير شنيتي، **2012**، "آثار الجزائر وموروثها الثقافي في منظور المدرسة الفرنسية أثناء الاحتلال"، في أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتابة التاريخ الوطني والتعريف به، منشورات CNERRH **1954**، الجزائر، ص ص**87- 112**.

3- تذهب المدرسة الاستعمارية إلى أن الجزائر هي ثمرة لصدفة جغرافية؛ إذ ظهور دولتين في كل من الجناحين الشرقي والغربي للمغرب الكبير أدى إلى انبثاق دولة في الوسط... أي أن الجغرافيا فرضت إرادتها على التاريخ... والطبيعة قهرت الثقافة كما يقال: (La nature aurait vaincu la culture). ينظر مثلا:

- E.F. Gautier, Le passé de l'Afrique du nord, Paris, **1952**, P **10**.

- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج **1**، تر: محمد مزالي، تونس، **1969**، ص **34-35**.

- Fouad Soufi, En Algérie: l'Histoire et sa pratique, in Savoirs historiques, CRASC, **2006**, p-p : **123-138**

4- تجدر هنا الإشارة إلى جهود علماء وباحثين جزائريين مهدت لعملية كتابة التاريخ الوطني بأقلام جزائرية، ونخص بالذكر كل من: محمد بن ابي شنب (**1869-1929**) الذي حقق ونشر العديد من المخطوطات كـ: "نحلة اللبيب" لابن عمار عام **1902**، و"نزهة الأنظار" للورتيلاني عام **1908**، "عنوان الدراية" للغبرينيى عام **1910**، و"البستان" ابن مريم... وكذا أبو القاسم الحفناوي (**1852-1941**) الذي وضع معجما بيوغرافيا خاصا بأعلام الجزائر، وذلك بعنوان "تعريف الخلف برجال السلف"، ويمكن أن نضم إليهم (مع فارق في التوجه) عمار بوليفة (**1865-1930**) الذي كتب "جرجرة عبر تاريخ" بالفرنسية الخ...

5- ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن كل المعنيين هنا -وعلى غرار جل أقطاب الحركة الإصلاحية في الجزائر- كانوا قد درسوا بجامع الزيتونة.

6- يُنظر:

- M. Haddab, «Statut social de l'histoire : Eléments de réflexion», In : comment on enseigne l'Histoire en Algérie ?, CRASC, **1995**, p **16**.

- Hassan Remaoun, «Les historiens algériens issus du Mouvement national», Insaniyat / إنسانيات [En ligne], **25-26** | **2004**, mis en ligne le **13** août **2012**, consulté le **06** octobre **2016**. URL : http:// insaniyat.revues.org/**6539**;

DOI : **10.4000**/insaniyat.**6539**

7- في الواقع، أول كتاب تناول تاريخ الجزائر ككيان سياسي مع مطلع القرن الـ **20** هو كتاب المؤرخ التونسي عثمان الكعاك الموسوم بـ "موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي"، وصدر في **1925**.

8- يقول ابن باديس في الكتاب: "وقفت على الجزء الأول من كتابك "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" فقلت لو سميته "حياة الجزائر" لكان بذلك خليقا، فهو أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية، بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك..."، مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج **1**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص **9-10**.

9- تجدر الإشارة إلى أن أحمد توفيق المدني كان قد نشر قبل هذا التاريخ كتابا آخر حول تاريخ قرطاجنة وذلك في **1927**.

10- محمد على دبوز، **2012**، تاريخ المغرب الكبير، ج **1**، عالم المعرفة، الجزائر، ص**7**.

11- يمكن أن نضمّ إليهم أيضا مولود قايد وبالأخص محفوظ قداش الذي نشر في عام **1951** كتابين صغيرين موسومين بـ "القصبة في عهد الأتراك" و"القصبة في أيامنا الراهنة"، وقد استرعى ذلك انتباه المؤرخ الفرنسي مارسل إيميري الذي أعجب بالعملين وقام بكتابة عرض لهما في "المجلة الافريقية". أنظر: مولود عويمر، **2019**، التاريخ والمؤرخون المعاصرون، الجزائر، شركة الأصالة للنشر، ص**78**.

12- دّرس كل من محمد الشريف ساحلي ومصطفى الأشرف على التوالي الفلسفة والأدب العربي في ثانويات باريس، كما ناضل ساحلي نجم شمال إفريقيا ثم في حزب الشعب وأخيرا في جبهة التحرير الوطني، ونشر عدة كتب منها "رسالة يوغرطة" (**1947**) و"عبد القادر فارس الايمان" (**1953**). أما الأشرف فقد نشر العديد من المقالات في سنوات **1950** و**1960**، بعضها جرى تجميعها في كتاب نشر تحت عنوان "الجزائر الأمة والمجتمع (**1965**). ينظر:

- Hassan Remaoun, «Les historiens algériens issus du Mouvement national», ibid, p **4**.

13 -Mohamed Chérif SAHLI, **1986**, Décoloniser l'Histoire, Alger, E.A.P.

14- جمال قنان، **1995**، "واقع الدراسات التاريخية بعد ربع قرن من استعادة الاستقلال الوطني"، مجلة الذاكرة (الصادرة عن المتحف الوطني للمجاهد)، السنة الثانية، العدد الثالث، ص **28**.

15- جامعة الجزائر **1**، دليل الرسائل الجامعية من **1963** إلى **2013**، ص ص**16**، **17**

16- وفي نفس الفترة نوقشت ثمانية رسائل دكتوراه حلقة ثالثة في التاريخ في جامعة الجزائر، ثلاث منها فقط حررت باللغة العربية، وهي: - رسالة نور الدين علالي بعنوان "فضائل الأنام من رسالة حجة الاسلام" **1969**، ورسالة عبد القادر زبادية الموسومة: "ممكلة سنغاي في عهد الأسقيين **1493-1591**" في **1970**، ورسالة العربي الزبيري بعنوان "تجارة الشرق الجزائري قبل الاحتلال **1792-1830**" عام **1972**. يُنظر: المصدر نفسه، ص**622**.

17- هما: مذكرة موسى لقبال المذكورة في المتن وذلك سنة **1967**، ومذكرة محمد بن عبد الكريم الموسومة بـ "تحقيق مخطوط التحفة المرضية ودراسة على المؤلف" سنة **1969**. يُنظر: المصدر نفسه، ص ص**16-17**.

18- نذكر على سبيل المثال لا الحصر المذكرات التالية:

- Pierre Contat «Cherchell à l'époque française **1840-1963** »,

- Claude Etienne Murin, «Les finances du royaume de Majorque à la fin de son indépendance»,

- Fanny Colonna « Mouloud Feraoun ethnologue et romancier»…

يُنظر: المصدر نفسه، ص**16**.

19- المصدر نفسه.

20- لمعلومات أكثر حول هذا الإصلاح، ينظر:

- MESR, **1971**, La refonte de l'enseignement supérieur. Principe et régime des études des nouveaux diplômes universitaires, Alger, Imprimerie officielle.

- Mahiou, A., **2012**, « La réforme de l'enseignement supérieur en Algérie. Libres propos d'un acteur », dans Henry, J.-R., Vatin, J.-C. (dir.), Le temps de la coopération. Sciences sociales et décolonisation au Maghreb , Paris/Aix-en- Provence, Karthala/IREMAM, p. **297-319**.

- Kamel Chachoua, «Excellence scientifique transnationale et disqualification des sciences humaines et sociales nationales en Algérie », Revue d'histoire des sciences humaines, **43** | **2023**, **203-224**.

- Ghalamallah, M., **2014**, « L'université algérienne : de la réforme de **1971** à la réforme du LMD », dans Guerid, D. (dir), **Repenser l'université**, Alger, Arak Éditions, p. **35**-**56**.

- Kadri, A., **1982**, «La réforme de l'enseignement supérieur et l'enseignement du droit en Algérie », dans Politiques scientifiques et technologiques au Maghreb et au Proche-Orient, Paris, CNRS Éditions, Les Cahiers du CRESM, **14**, p. **265**-**285**.

21- وفي هذا السياق، تمت الاستعانة بالعديد من الأساتذة العرب المتخصصين في التاريخ، نذكر منهم: صلاح الدين العقاد، ليلى الصباغ، ومحمد أنيس، وتوفيق برو، وأحمد العدوي، وإبراهيم نجيب ميخائيل، هشام الصفدي، عبد الفتاح رمسيس، الخ...

22- يُنظر:

- Hassan Remaoun, «Les historiens algériens issus du Mouvement national», Insaniyat / إنسانيات [En ligne], **25**-**26** | **2004**, mis en ligne le **13** août **2012**, consulté le **06** octobre **2016**. URL : http:// insaniyat.revues.org/**6539**;

DOI : **10**.**4000**/insaniyat.**6539**

23- **12** عنوان في التاريخ القديم، **43** في التاريخ الوسيط، **60** في التاريخ الحديث، و**135** عنوان يغطي الفترة الممتدة بين **1830** و**1962**.

ينظر: جمال قنان، **1995**، المصدر السابق، ص**23**.

24- المصدر نفسه، ص**27**.

25- هذا لا يتعارض مع ما ورد أعلاه في التقرير الذي أنجزه فريق من المختصين تحت إشراف الأستاذ قنان، إذ كلامنا هنا لا يتعلق بمجمل الإنتاج التاريخي كما هو الحال بالنسبة للتقرير المعني، وإنما بالشق الأكاديمي منه فحسب، وهو لم يكن يمثل سوى جزءً محدودا من الإنتاج التاريخي الوطني خلال الفترة المعنية.

26- عبد الرحيم بنحادة، حوار محمود اسماعيل عبد الرزاق أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة عين شمس (مصر)، مجلة أسطور، العدد الثالث، كانون/يناير **2016**، ص**300**.

27- من مطلع عقد السبعينيات إلى مطلع أو منتصف عقد التسعينيات من القرن الـ **20**.

28- ينظر: جامعة الجزائر **1**، المصدر السابق.

29- يُنظر موقع منصة المجلات الوطنية العلمية:

https://www.asjp.cerist.dz/

30- يُنظر الموقع التالي:

https://dalilab.dgrsdt.dz/list-labos.php

31- محمد بن ساعو، "مسيرة الكتابة التاريخية في الجزائر بين أثقال التقديس ونزعات التسييس وترسبات الكولونيالية"، ذوات (مجلة إلكترونية شهرية صادرة عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث)، العدد **36**، **2017**، ص**32**.

32- جمال قنان، **1995**، المصدر السابق، ص**27**.

33- المصدر نفسه.

34- المصدر نفسه، ص**28**.

35- مراد وزناجي، **2013**، حديث صريح مع أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ، " **3**، الجزائر، حبر للنشر، ص**149**.

36- محمد غالم، المؤرخون الجزائريون والمرجعية الخلدونية، مجلة إنسانيات، العدد المزدوج **65-66**، ديسمبر **2014**، ص**23**.

37- مصطفى سعداوي، **2022**، الولاية الثالثة في الثورة الجزائرية. التاريخ الاجتماعي للقرى الثائرة، الجزائر، منشورات سراج العلوم، ص ص**22-27**.

38- يُنظر:

- Ouanassa Siari Tengour et Fouad Soufi, « Les Algériens écrivent, enfin, leur guerre », *Insaniyat / إنسانيات* [En ligne], **25-26** | **2004**, mis en ligne le **14** août **2012**, consulté le **21** juillet **2015**. URL : http://insaniyat.revues.org/**6600**

39 - Thènault (Sylvie), histoire de la guerre d'indépendance Algérienne, Ed. Flammarion, Paris, **2005**, p **14**.

40- Raphaëlle Branche, La guerre d'Algérie : une histoire apaisée, Editions le Seuil, Paris, **2001**, p **372**.

41- أي أن التناقض المذكور أعلاه هو نتيجة لرد الفعل على الكتابات الفرنسية المعنية، ويبدو أن هذا السلوك تحول مع الزمن إلى ما يشبه "منعكس شرطي لا-إرادي".

42- ينظر: - ديبيش شاكرابارت ، "دراسات التابع والتأريخ ما بعد الكولونيالي"، تر: ثائر ديب، مجلة أسطور، العدد الثالث، كانون الثاني/ يناير **2016**، ص ص**7-23**.

- Jaques Pouchepadass, «Subaltern et Postcolonial Studies», in C. Delacroix, F. Dosse, P. Garcia et N. Offenstadt, Historiographies **1**, Paris, Folio histoire, Editions Gallimard, p-p : **636-646**.

- Daho Djerbal, «Critique de la subalternité», Dans Rue Descartes, **2007/4** (n° **58**), Éditions Collège international de Philosophie, pages **84** à **101**.

43- علاوة عمارة، مولود عويمر (إشراف)، **2013**، نصف قرن من البحث العلمي بالجامعة الجزائرية **1962-2012**، منشورات كلية الآداب والحضارة الاسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، ص**12**.

44- المرجع نفسه.

45- يُنظر:

- أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتابة التاريخ الوطني والتعريف به، **2012**، منشورات **1954** CNERRH، الجزائر، بالأخص: عبد العزيز فيلالي، "نظرة المؤرخين الفرنسيين لتاريخ المغرب القديم والوسيط"، ص ص**29-86**؛ محمد البشير شنيتي، "آثار الجزائر وموروثها الثقافي في منظور المدرسة الفرنسية أثناء الاحتلال"، ص ص**87- 112**.

- ناصر الدين سعيدوني، **1988**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: الفترة الحديثة والمعاصرة، الجزء **2**، الجزائر، المؤسسات الوطنية للكتاب، ص ص**35-37**.

46- جاك لوغوف، **2007**، التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر منصوري، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص**81- 83**.

47- المرجع نفسه، ص **84** وما بعدها.

48- نذكر على سبيل المثال:

- Benjamin Stora, **1995**, Histoire de l'Algérie depuis l'indépendance, Paris, Éditions La Découverte.

- Lacoste, Y. et C. (sous la direction de), **1991**, *L'État du Maghreb*, Paris, La Découverte.

- Eveno, P., **1994**, L'Algérie, Paris, Le Monde-Marabout.

- Anne Liskenne, **2015**, L'Algérie indépendante, Paris, Armand Colin.

49- ينظر:

- IHTP, **1992**, Ecrire l'Histoire du temps présent, Paris, CNRS-Editions.

50- علاوة عمارة، مولود عويمر (إشراف)، المرجع السابق، ص ص**14-16**.

51- المرجع نفسه، ص**16**.

52- ينظر: عمرو عثمان، "التاريخ العالمي: موضوعه ومناهجه ودراسته من خلال تاريخ الأشياء"، مجلة أسطور، العدد **1**، كانون الثاني/ يناير **2015**، ص ص**7-23**.

- Chloé Maurel, **2014**, Manuel de l'Histoire global. Comprendre le «Global Turn» des sciences humaines, Paris, Armand Colin.

53 - Patric Garcia, «l'Histoire méthodique», in in C. Delacroix, F. Dosse, P. Garcia et N. Offenstadt, Historiographies **1**, Op.cit, p-p : **443-452**.

54- يُنظر: عمرو عثمان، مراجعة كتاب "التاريخ والنظرية والنص: المؤرخون والمنعطف اللغوي" لإليزابيث كلار»، مجلة تبين، العدد **39**، المجلد **10**، شتاء **2022**، ص ص**125-134**.

55- مرجعها الرئيسي في الغالب هو كتاب "مدخل إلى الدراسات التاريخية" لكل من لانجلوا وسينيبوس والمنشور في فرنسا في **1900**.

56- أنظر بهذا الخصوص: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص**17، 18**.

- علاوة عمارة، مولود عويمر (إشراف)، المرجع السابق، ص ص**14-16**.

57- من المعروف منهجيا أن البحث هو "نشاط علمي لحل مشكلة معينة"، وبالتالي فأي عمل الذي لا ينطلق من مشكلة بحثية يسعى لحللتها، ويكتفي فقط باختيار موضوع معين وجمع المادة العلمية حوله وترتيبها وفق منطق معين، فهو مجرد ملف ولا يستحق تسمية البحث.

58 - Febvre, L. (**1965**), *Combats pour l'histoire*, Paris, **2**°éd. A. Colin, p **111**. ترجمة النص منقولة عن: محمد غالم، المرجع السابق، ص**26**.

59- الكثير مما يدعى رسائل جامعية أو دراسات أكاديمية ما هو في الحقيقة سوى نقل حرفي لما يتضمنه الأرشيف أو الشهادات بحكم افتقادها المزمن والمفزع للمتطلبات المنهجية والإبستمولوجية للبحث الأكاديمي، ما ينفي عنها صفة الدراسة أو البحث ويجعلها مجرد أعمال على الذاكرة. والصادم أكثر، أن أصحاب مثل هذه الأعمال، كثيرا ما ينتابهم فرح هستيري بمجرد العثور على وثيقة أرشيفية وكأنها ضربة إعلامية (سكوب)، متوهمين أن حيازة الوثائق الأرشيفية هو أهم شيء في عملية البحث التاريخي. وهذا دون مُساءلة الوثيقة ونقدها وفهم ظروف وملابسات إصدارها فضلا على ضرورة تنويع المصادر التوثيقية. لذا، فإنهم في كثير من الأحيان لا يتورعون عن نقل مضامين الأرشيف الكولونيالي وبالتالي الذاكرة الكولونيالية دونما ادنى تمحيص علمي، ومع ذلك لا يجدون حرجا في تبني خطاب وطني عالي النبرة وادعاء الرد على الأطروحات الاستعمارية، بل والمزايدة على الكتابات الأكاديمية الرصينة.

الوثيقة والرواية الشفوية وإشكـالية كتـابة الذاكرة الوطنية

الأستـاذ: مقلاتي عبد الله
مخبر الدراسـات والبحث في الثورة الجزائرية
جـامعة محمد بوضيـاف - المسيلة

- مقدمة

من بين القضايا المطروحة في دراسة تاريخ الثورة إشكالية المصدر، حيث نلاحظ نقصا في الوثائق الأرشيفية، وهو ما يحتم اللجوء للشهادة الشفوية، سواء كمصدر رئيسي أو مساعد، وفي كلا الحالتين يجب على المؤرخ اعتماد منهجية خاصة في التعامل مع الوثيقة والشهادة الشفوية، من حيث صدقيتها، واستغلالها، وأهميتها، ولا شك أن هذا الملتقى يعالج إشكاليات مهمة، وقد اخترنا موضوع مرتبط بالوثيقة والرواية الشفوية وإشكالية كتابة تاريخ الثورة التحريرية، مركزين على أهمية كل من الأرشيف والشهادات الشفوية والمحفوظات الشخصية، مع عرض تجارب متعددة في كتابة الذاكرة الوطنية، وذلك في محاولة منا للإجابة عن بعض الإشكاليات المنهجية المطروحة.

أولا- الوثيقة وإشكالية كتابة تاريخ الثورة الجزائرية

من بين القضايا المطروحة في دراسة تاريخ الثورة إشكالية المصدر، حيث نلاحظ نقصا فادحا في الوثائق المؤرخة، ويرجع ذلك لظروف خاصة، منها اعتماد الثورة على طابع السرية، حيث التدوين تقتضيه الضرورة فقط، ويلجأ إلى إتلاف الوثيقة في حالة الشعور بالخطر، وقد ذكر ابن خدة أن لجنة التنسيق والتنفيذ اضطرت إلى حرق نحو عشر كيلوغرامات من الوثائق

خشية وقوعها في أيدي الشرطة الفرنسية، وبعض الوثائق وقعت فعلا تحت يد الإدارة الفرنسية ويمكن العودة إليها اليوم في أرشيف فانسان بفرنسا خصوصا[1].

إن النصوص الوثائقية تكتسي في الدراسات التاريخية أهمية بالغة كونها وثائق تؤرخ لمرحلة من المراحل، وهي تحمل في طياتها مادة خبرية وفكرية ثرية، وقد عبر الدكتور أبو القاسم سعد الله عن أهمية قراءة ودراسة النصوص بالقول: "وأن تذوق التاريخ واستيعابه والإحساس به يتوقف على قراءة النصوص المعاصرة، ذلك أنه لا يكفي أن يقرا المرء سردا للأحداث التاريخية أو تحليلا جافا مناقضا لها بل لا بد من قراءة النص الأصلي في لغته وعباراته وأسلوبه وحرارته الأولى، وذلك ما يعطي الحادثة معناها ولونها وقوتها"[2].

وإن النصوص الأساسية للثورة هي أدبياتها وفكرها وبرنامجها وتصورها للمستقبل، فهي أسمى المصادر التي نفهم من خلالها الثورة في أهدافها ومبادئها وسياساتها، وتشكل النصوص الثلاث، فاتح نوفمبر ومؤتمر الصومام وبرنامج طرابلس أهم تلك النصوص، ولكنها ليست الوحيدة في مجال فهم الثورة والتأريخ لها، فهناك مجموعة هامة وثرية من الوثائق الأساسية والثانوية المهمة في تاريخ الثورة التحريرية.

وإن الوثائق تمثل المادة الخام لتطورات التاريخ والمخزون الفكري لتجارب الثورة، وقد حظيت بعض النصوص المشهورة بالدراسة في حين أغفلت باقي النصوص، ولو أطلعنا على بعض المرجعيات مثل كتاب حربي حول وثائق الثورة الجزائرية أو ما يحتويه أرشيف الحكومة والمجلس الوطني للثورة لوقفنا على سيل من الوثائق المهمة يدفعنا بإلحاح إلى معرفة الجديد من فكر وتاريخ الثورة، وأن التاريخ لا يمكن اختصاره في مجرد أحداث، بل هو أفكار وتصورات واستراتيجيات، وكل هذه المعطيات نستقيها من الوثائق.

إن الوثائق التاريخية للثورة تسعفنا في معرفة الحقائق التاريخية، ذلك أن هذه الوثائق تكشف لنا عما كان يدور في أذهان مسؤولي الثورة من أهداف وخطط للثورة، وتبين حجم الآمال والأفكار التي كانوا يعقدونها على الثورة في مختلف المجالات، كما توضح لنا من جهة أخرى طبيعة الخلافات التي كانت تدور بين المسؤولين حول طرائق تسيير الثورة وتجسيد أهدافها ومبادئها، وهي تخفي أحيانا أساليب وسياسات في فرض النفوذ والسيطرة على إدارة السلطة داخل أجهزة الثورة التنفيذية والتشريعية.

وقد بادرنا إلى جمع وتحليل عينة من الوثائق والنصوص المهمة ضمناها الجزء العاشر من موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية[3]، تم انتقاؤها وفق معايير موضوعية، ومنها أهميتها التاريخية وقيمتها الفكرية، وكذا تنوعها وتوزعها الزمني بقصد تغطية المجالات المختلفة عبر سنوات الثورة، وقد وقع الاختيار على عشرين وثيقة، منها: بيان فاتح نوفمبر **1954**م، ومحضر اجتماع وميثاق الصومام، والتقرير السياسي المقدم للمجلس الوطني عام **1957**م، والتقرير المقدم للجنة التنسيق والتنفيذ في سبتمبر **1958**م، وبياني دورتي المجلس الوطني للثورة عامي **1960** و**1961**م، والقوانين الأساسية لجبهة التحرير الوطني الصادرة عام **1960**م. وكذا نصوص أخرى وثائق وشهادات تقدم معلومات تفصيلية عن بعض الأحداث والتطورات والأفكار، وكل هذه النصوص أوضحنا قيمتها وأهميتها في إضاءة تاريخ الثورة الجزائرية.

وتطلبت قراءة هذه النصوص منهجية خاصة بتحليل النصوص التاريخية، فقد عرفنا بهذه الوثائق وأبرزنا قيمتها، ووضعنا كامل النصوص المدروسة في سياقها التاريخي الذي كان سائدا أنداك عشية صياغتها وإعدادها، كما توجب منا تتبع القراءات والتعليقات والنصوص المثرية للنص، وشرح وتفسير مضمون النصوص، ونقدها وتقييمها من جوانبه وزواياه المختلفة[4].

وعليه نؤكد أنه يتوجب الاهتمام بجمع ودراسة وثائق الثورة الجزائرية، واعتمادها مصدرا أساسيا في التأريخ للثورة التحريرية، والسؤال الذي يطرح مجددا أين توجد وثائق الثورة؟

أهم وثائق الثورة الجزائرية هي تلك التي أعدتها مؤسسات قيادة الثورة في الخارج والداخل، وقد حرصت على الاحتفاظ بها، وهي تتواجد اليوم من خلال:

(أ)- الأرشيف الوطني الجزائري بئر خادم

ويتضمن وثائق الحكومة الجزائرية المؤقتة والمجلس الوطني للثورة الجزائرية، وهي وثائق أصلية خاصة بلجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة المؤقتة وبعثاتها، وكذا مداولات المجلس الوطني للثورة المخطوطة، وتكمن أهميتها في أنها تكشف عن العديد من الجوانب الخفية في تاريخ الثورة، وخاصة الجانب السياسي والدبلوماسي، فبخصوص العلاقات بين الجزائر وأقطار المغرب العربي نجد العديد من الوثائق المعبرة عن وجهة النظر الرسمية للثورة الجزائرية، وتشمل هذه الوثائق تقارير عن أوضاع الثورة وعلاقاتها بالأقطار المغاربية، ومراسلات بعثات الحكومة الجزائرية المؤقتة في هذه الأقطار، ووثائق ودراسات أعدتها وزارات الحكومة الجزائرية المؤقتة، ونذكر منها على سبيل المثال تقارير بعثة الحكومة الجزائرية المؤقتة في تونس، خاصة التقرير المعنون بـ:

(La Tunisie Bourguba devant la révolution Algérienne)

والمؤرخ في **4** فيفري **1961**م، وعلى الرغم من أهمية مثل هذه التقارير في التعرف على جوانب مختلفة من العلاقات إلا أنها تعبر عن وجهة نظر البعثة أو الوزارة، ولا تغطي جميع المراحل فتظل بعض القضايا والمواقف مبهمة.

وتوجد بالأرشيف كذلك وثائق لجنة التنسيق والتنفيذ الأولى والثانية إلى جانب وثائق الحكومة المؤقتة، ومنها تقارير ومحاضر مداولة الجلسات المهمة في معرفة كثير من حقائق المرحلة، وكذا محاضر وتقارير المجلس

الوطني للثورة الجزائرية، واجتماع العقداء عام **1959**م، والمهمة في رصد النقاشات التي كانت تدور بين قادة الثورة وخلفية القرارات المتخذة.

وأما مجموع الوثائق الأكبر، والمنتج من قبل وزارة الاتصالات العامة والاستخبارات وكذا هيئة الأركان العامة، وبعثة تونس فتشير المصادر إلى أن هواري بومدين طلب إحضارها إلى وزارة الدفاع، وهي محفوظة هناك[5]، وكذلك الأمر بالنسبة لوثائق الولايات في الداخل، فقد حرص بومدين على جمعها والاحتفاظ بها في وزارة الدفاع، وأرشيف الولايات على غاية كبيرة من الأهمية، حيث حرصت على الاحتفاظ بمختلف المراسلات والتقارير والملفات، منها المتعلق بالحركات المناوئة والحركى، وبعضها كان منظما بشكل دقيق ومكتوب باللغة العربية مثلما هو حال أرشيف الولاية السادسة كما يشهد ضباطها[6].

(ب)- الأرشيفات الفرنسية ومنها

- المصلحة التاريخية للجيش البري الفرنسي، فانسان

فتح أبوابه عام **1992**م، وهو يعرض جزءاً من الأرشيف ويحتفظ بجزء آخر إلى غاية عام **2022**م، ويشتمل على أرشيف ضخم بمجموع خمسة ألاف علبة، هي حصيلة نشاط الجيش الفرنسي في الجزائر خلال الفترة (**1945-1967**م)، وذلك بمختلف مستوياته، ومندوبياته، ودوائره، وجهاته، وتقاريره العسكرية تختلط بالقضايا المدنية التي أوكلت له بموجب القوانين الاستثنائية، وموضوعات الأرشيف مقسمة حسب مصالح الجيش، فوثائق المكتب الثاني تخص الوضع العام في الجزائر وما تعلق بجبهة وجيش التحرير الوطني، قيادتها وتنظيمها ونشاطها، وهو يستفيد من معلومات وثائق الثورة التي يعثر عليها لدى المجاهدين أو بواسطة استنطاقهم، ووثائق المكتبين الخامس والسادس مهمين كذلك في مجال الحرب النفسية، في حين تختص وثائق المكتب الثالث بالعمليات العسكرية وبسياسة التهدئة، والمكتبين الأول والرابع مختصين بالتنظيم العسكري للجيش.

- أرشيف اكس أن بروفانس

يتضمن وثائق الإدارة الفرنسية التي كانت موجودة في الجزائر، تم نقلها وإيداعها في هذا الأرشيف، وهم يفرجون كل مرة عن رصيد جديد يتعلق بمرحلة الثورة التحريرية.

- أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية

وهو الأرشيف الخاص بوزارة الخارجية، يتضمن ملفات هامة عن حرب الجزائر، وخاصة ما تعلق بالجانب السياسي والدبلوماسي، والتقارير التي يرفعها القناصل، وتلك المتعلقة بالقضية الجزائرية.

ولا يفوتنا التنبيه إلى أن هذه الوثائق معروضة بانتقائية، وهي تعبر عن وجهة النظر الفرنسية وأن كانت تعتمد على وثائق جبهة التحرير الوطني، وعليه يتوجب على الباحث أن يكون مدركا أنها لا تمثل إلاّ جزءاً من الحقيقة، ويتوجب اعتمادها بحذر ومقارنتها بمصادر أخرى، وعرضها على وجهة النظر الجزائرية، وهي تغطي بعض الموضوعات وليست كلها[7].

(ج)- الأرشيفات الدولية الأخرى

هناك مراكز أرشيف أخرى تحتفظ برصيد عن أرشيف الثورة الجزائرية، ومنها أرشيف دار المحفوظات المصرية، المتضمن تقارير وملفات عن الثورة الجزائرية أعدتها عدة جهات منها رئاسة الجمهورية والمخابرات ووزارة الخارجية، والأرشيف المغربي في "مديرية الوثائق الملكية"، وهي عبارة عن تقارير لوزارتي الداخلية والخارجية، ومراسلات القصر الملكي، وأما الأرشيف الليبي "دار المحفوظات" فهو يحتوي على بعض الملفات والوثائق الخاصة بحملات التضامن مع الجزائر، خاصة منها الملف الهام الذي قدمته لجنة جمع التبرعات لمساعدة الجزائر للدار، ولا شك أنه لكل بلد ارتبط بالثورة الجزائرية أرشيف خاص، بما في ذلك الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا وسويسرا وايطاليا وغيرها.

وهذه الأرشيفات تغطي جوانب من تاريخ ثورتنا وتساعد على رسم ملامح العلاقات العامة ومظاهر التضامن مع الثورة الجزائرية.

(د)- وثائق لدى الأفراد

هناك وثائق لدى مسؤولي جبهة التحرير الوطني، احتفظوا بها ونشروها في مذكراتهم أو في كتب خاصة، حيث نشر علي كافي عدة وثائق مهمة، وكذلك الأمر بالنسبة لابن خدة وسعد دحلب، ونشر محمد حربي مجموعة وثائق مهمة في كتابه "أرشيف الثورة الجزائرية"، ونشر مبروك بلحوسين المراسلات المتبادلة بين قادة الداخل والخارج، كما نشر محمود الشريف الوثائق التي احتفظ بها، وفي هذا الإطار يمكن إدراج الوثائق التي تتضمنها صفحات المذكرات والكتب والدراسات، مثل أعمال ايف كورييز، وكلود بيا، وهكذا فأن الوثائق التي تأخذ طريقها للنشر تؤرخ لمرحلة من التاريخ ظلت غامضة وسرية.

(ه)- وثائق مودعة في المتاحف والمؤسسات

بعض الأرشيف موجود لدى المتحف الوطني تم جمعها والاحتفاظ بها في ظروف غير ملائمة، ولدى المتاحف الجهوية، ومنظمة المجاهدين، وبعض المؤسسات مثل ذاكرة الولاية الرابعة، ولدى الأفراد، ويتوجب جمع وتنظيم هذا الأرشيف وإتاحته للباحثين.

(و)- وثائق منشورة

هناك عدة وثائق منشورة في شكل كتب، منها الخاصة بالطرف الجزائري كمجموع الوثائق التي نشرتها جبهة التحرير الوطني عام **1979**م بعنوان: "النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني"، والوثائق الأصيلة والنادرة التي نشرها محمد حربي في كتابه:

(les archives de la révolution Algérienne)

وكذا الوثائق المهمة التي نشرها مبروك بلحوسين في كتابه:

(Courier Alger le Caire **1954-1956**)

وكذا وثائق كتاب العقيد محمود الشريف "شهادات ووثائق"، وتكمل وثائق هذه الكتب النقص الملاحظ في الأرشيف الوطني الجزائري.

ونشير في الأخير إلى أن كتابة تاريخ الثورة الجزائرية مسؤولية كبرى تتطلب أولا جمع الوثائق من مضانها المختلفة، ومنهجية علمية في الكتابة التاريخية، فالوثيقة على أهميتها يظل التعامل معها حساسا، ويتوجب على الباحث أن يستقرئها جيدا ويقارنها بغيرها من المصادر، وذلك من أجل الوصول إلى معلومات قريبة من الحقيقة.

ويمكننا أن نسجل في الختام أن الثورة الجزائرية اهتمت كثيرا بالتوثيق، وحصيلة ذلك تعبر عنه الكميات الكبيرة المودعة في الأرشيفات والمؤسسات ولدى الأفراد، وأن الدارس المتخصص في تاريخ الثورة التحريرية يتوجب عليه أن يسعى لجمع أكبر قسط من الوثائق حول موضوع الدراسة، وأن يلم بمناهج الاستغلال العلمي للوثيقة من أجل معرفة الحقائق التاريخية.

ثانيا- الرواية الشفوية وإشكالية كتابة تاريخ الثورة التحريرية

تكتسي الشهادة الشفوية أهمية خاصة في دراسة التاريخ المعاصر، وخاصة بعض الموضوعات والأحداث الراهنة التي تعتمد الشهادة المصدر الأول، ومنها الموضوعات الخاصة بالثورة التحريرية، فكيف يتم التعامل مع هذه الشهادات في كتابة تاريخ الثورة؟

نسجل أولا أن نقص الوثائق يعد إشكالا في تناول تاريخ الثورة، ثم أن الوثائق الخاصة بالثورة تعرضت للنهب والتشويه، وعليه يصبح اللجوء للشهادة أمرا ضروريا، وخاصة شهادة الفاعلين وصناع الحدث الذين لم تتح لهم فرصة تدوين الوقائع والأحداث لأسباب مختلفة، كظروف الحرب، وحساسية الموقف، والخوف من الكتابة[8].

وعليه تصبح الحاجة ملحة لاعتماد الشهادة في كتابة تاريخ الثورة، سواء أكانت مكتوبة أو مسجلة أو شفوية، ويجب على الباحث اعتماد منهج علمي دقيق في التثبت من صحة الشهادة وأهميتها.

وفي بعض الحالات والموضوعات تصبح الشهادة تحتل المكانة الأولى، فعندما نكتب عن دور القاعدة في الثورة أو فئة اجتماعية معينة يتوجب استجوابها، وعندما تكون القضية مرتبطة بأشخاص هم صناع الحدث فأن شهادتهم تحظى بالأفضلية، ولكن ما هو منهج التعامل مع الوثيقة؟

الرواية الشفوية هي جزء من الشهادة، والتي تكون شفوية أو مكتوبة أو منشورة، وأن أصحاب الشهادات يمكنهم المبالغة والتلفيق مثلما هو حال أصحاب المذكرات، فيجب على الباحث أخذ الحيطة والاحتراز، والتمعن ومقارنة الشهادات للوصول إلى الحقائق، واعتماد شهادات الإجماع وليس الآحاد، والشهادات المدعومة بالوثائق تكون أوثق.

ويجب على الباحث أن يكون موضوعيا في انتقاء الشهود وإصدار الأحكام.

وأن يستقرا صاحب الشهادة ليعرف ميولاته وهدفه من الإدلاء بالشهادة والخلفيات.

وأن يميز بين مصدرية الشهادة، فشهادة صانع الحدث وقائد المعركة ليست كشهادة العوام[9].

وقد تم اعتماد الشهادات الشفوية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية بطريقة علمية أحيانا، وفي الغالب بعيدا عن ذلك، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى تجربة بعض الصحفيين الذين اهتموا بجمع شهادات قادة الثورة الفاعلين، مثل محمد عباس، وايف كوريير... الخ.

وقد شرعت جبهة التحرير الوطني منذ ثمانينات القرن الماضي في جمع شهادات قادة الثورة خلال مؤتمرات تدوين تاريخ الثورة الثلاث، ونشرت لتصبح مادة أساسية في البحث حول الثورة التحريرية.

كما أن وزارة المجاهدين تبنت مشروعا لجمع الشهادات، وثمنته بمشروع جديد يجمع شهادات المرحلة الأولى من الثورة أشرف وزير المجاهدين الأسبق على تدشينه عام **2014**م، وفي عهد الوزير الحالي تم التأكيد

على أهمية جمع الشهادات خلال الندوات والملتقيات وبادر إلى تخصيص مقر خاص لتجميعها في الوزارة، ويجمع بدوره المركز الوطني للدراسات والبحث شهادات المجاهدين ويسجل شهادتهم خلال الملتقيات والندوات التي يدأب على تنظيمها.

وتقوم بدورها متاحف المجاهد ومديريات المجاهدين على مستوى الولايات بدور في هذا الشأن، وكذلك جمعيات حماية مآثر الثورة عبر الولايات، وهناك يمكن الإشادة بجهد جمعية حماية مأثر الثورة بولاية باتنة التي جمعت شهادات مهمة ونشرتها في كتاب "مصطفى بن بوالعيد والثورة الجزائرية"، ومنها شهادة نادرة ومطولة لعاجل عجول.

وهناك جهود يبذلها باحثون هواة مهتمون بالتاريخ المحلي، مثلما هو الحال بالنسبة لتجربة مداسي "مغربو الرمل"، والتي اعتمدت شهادات قادة الأوراس في كتابة مرحلة مظلمة من تاريخ الأوراس **1954-1957**م، واستفاد بالأساس من شهادة عاجل عجول، وبوسنة وبيشة واخرون، وكذا محمد زروال الذي قدم أعمالا مهمة اعتمد فيها على ما جمعه من شهادات حية[10].

وأما جهود الباحثين الأكاديميين فهي مهمة، وتظهر من خلال بحوث الرسائل الجامعية والبحوث العلمية، وتمتاز بتنوعها وجمعها لكثير من الشهادات المهمة التي لم تصلها المؤسسات الرسمية، مثلما هو الحال بالنسبة لشهادة عبد الرحمن غراس النادرة المقدمة للباحث مصطفى سعداني في أطروحته للماجستير "المنظمة السرية".

ثالثا- الوثائق الأرشيفية للأفراد المنشورة وغير المنشورة وأهميتها في كتابة الذاكرة الوطنية

أن كتابة تاريخ الثورة الجزائرية مسؤولية كبرى تتطلب أولا جمع الوثائق من مضانها المختلفة، ومنهجية علمية في الكتابة التاريخية، فالوثيقة على أهميتها يظل التعامل معها حساسا، ويتوجب على الباحث أن يستقرئها جيدا ويقارنها بغيرها من المصادر، وقد اهتمت الثورة الجزائرية كثيرا بالتوثيق، وحصيلة ذلك تعبر عنه الكميات الكبيرة المودعة في الأرشيفات

والمؤسسات ولدى الأفراد، وتمثل أرشيفات الأفراد المنشورة وغير المنشورة أهمية كبرى في الكتابة نظرا لخصوصيتها وتميزها عن باقي الأرشيفات الرسمية، وهو ما نحاول معرفته فيما يلي:

(1) لمحة عن الوثاق الشخصية

هناك وثائق لدى مسؤولي جبهة التحرير الوطني، احتفظوا بها ونشروها في مذكراتهم أو في كتب خاصة، حيث نشر علي كافي عدة وثائق مهمة، وكذلك الأمر بالنسبة لابن خدة وسعد دحلب، وخالد نزار وابن سعدون أحمد، وأحمد بن الشريف وايت أحمد حسين وفرحات عباس، ولخضر بورقعة... الخ. وقد نشر محمد حربي مجموعة وثائق مهمة في كتابه: (les archives de la révolution Algérienne) وهي تقارير ووثائق مرتبطة بمؤسسات الثورة، وبالأحداث والإنجازات التي حققتها الثورة، حيث تؤرخ عشرات الوثائق لمسيرة جبهة التحرير الوطني الثورية من بدايتها وإلى الاستقلال، وذلك بقلم وفكر صناع الثورة وقادتها، عبأن، فرحات عباس، كريم، بن طوبال، بوالصوف، أوعمران، محمود الشريف، مهري، دباغين... الخ.

وكذا توجهات مؤسسات الثورة، الهيئتين التشريعية والتنفيذية، الوزارات، الممثليات الدبلوماسية الجمعيات والاتحادات... الخ.

كما نشر محمود الشريف وزير التسليح الوثائق التي احتفظ بها، "شهادات ووثائق"، وتكمل وثائق هذه الكتب النقص الملاحظ في الأرشيف الوطني الجزائري.

المحفوظات الشخصية لمحمود الواعي، وهي مهمة في تاريخ الأوراس، وخاصة في عهد محمد لعموري حيث عمل كاتبا له.

بعض الأرشيف موجود لدى المتحف الوطني تم جمعها والاحتفاظ بها في ظروف غير ملائمة، ولدى المتاحف الجهوية، ومنظمة المجاهدين، وبعض المؤسسات مثل ذاكرة الولاية الرابعة، ولدى الأفراد، ويتوجب جمع وتنظيم هذا الأرشيف وإتاحته للباحثين.

وأما الأرشيف الوطني الجزائري فتم التحفظ على كثير من ملفاته مما لا يسمح بتأريخ شامل ومتزن للثورة الجزائرية.

وتأتي المحفوظات الشخصية لتسد نقصا وتقدم إضافة، خاصة عندما نلاحظ عليها ما يلي:

- أن أغلبها تم الاحتفاظ به لأهميته، خاصة إذا كان يعبر عن رؤية مخالفة لمسار كتابة التاريخ الرسمية.

- أن هذه الوثائق مفسرة بإيضاحات أصحابها الذين يقدمون شهادات حية وتحليل يثري مضمون الوثيقة.

- أن هذه الوثائق المحتفظ بها من قبل بعض المسؤولين تعتبر وثيقة جديدة ومفيدة في ظل ضياع الأرشيف لأسباب عديدة.

لا شك أن هذه الوثائق أصيلة ولم تتعرض للتشويه، كون أن المحتفظ بها يقدم الأدلة على صدقيتها، في حين تعرضت الوثائق في الأرشيف الوطني للتشويه.

2- تجربتي الخاصة في التعامل مع الوثائق الشخصية

يتعامل الباحث في سعيه الحثيث في البحث عن الحقيقة مع المصادر الوثائقية والشفوية وفقا للمنهج الموضح أعلاه، ويظل البحث في القضايا المتخصصة والدقيقة من مهمة البحث العلمي الأكاديمي، وتختلف طبيعة الموضوعات المدروسة في تاريخ الثورة الجزائرية، حيث أصبحت قضايا التاريخ المحلي تطرح نفسها، وخاصة تناول تاريخ الولايات، وقد أسهمت شخصيا بطرق موضوعات متخصصة في تاريخ الولاية الأولى، وخاصة بحوثي حول شيحاني بشير وعباس لغرور والطالب العربي ومحمود الشريف ومحمد لعموري... الخ[11].

وقد تناولت مثلا أزمة القيادة في الولاية الأولى، بدءاً من مقتل شيحاني إلى استسلام عجول: اعتمادا على الوثائق المجموعة، ومنها تقرير عميروش للجنة التنسيق والتنفيذ عن مهمته في الأوراس، ووقفت مطولا عند تقرير

أوعمران للجنة التنسيق والتنفيذ عن مهمته في تونس، وكذا تقارير قيادة الأوراس، مثل محفوظات عمار ملاح ومحمود الواعي وعلي فارس، والتي استفدت منها، وقد قارنت بين ما ورد في الوثائق وما ذكرته شهادات الفاعلين، مثل شهادة الوردي قتال، وعاجل عجول، وعثماني عبد الوهاب، وصالح لغرور، وغيرهم، حيث نجد الاختلاف والتضارب واضحا، وعلى المؤرخ أن يكون حصيفا، وأن يكون مطلعا على مختلف المصادر من أرشيف ومذكرات وشهادات، خاصة وأن أغلب قادة الولاية كتبوا مذكرات أو وثائق: لعموري، الحاج لخضر، مصطفى نواورة، الطاهر الزبيري[12].

وفي كتابي حول محمود الشريف قائدا للولاية الأولى[13]، حاولت المقاربة بين مصادر ورؤى مختلفة، وكان تناول هذه الشخصية محل جدل كبير، فقد برزت شخصية محمود الشريف القيادية في ظروف خاصة خلال عام **1956**م عندما تسلم قيادة منطقة تبسة، ونظرا لخبرته وتجربته الناجحة عين قائدا لولاية أوراس النمامشة، وقد تدرج في المسؤوليات فاختير ليكون عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ ووزيرا للتسليح. وكل ذلك بحكم حنكته وخبرته العسكرية، وفي نهاية عام **1959**م تعرض للتهميش إثر خلاف مع كريم بلقاسم، لقد كان ضحية صراع السلطة، حيث أخذ عليه كريم وقوفه إلى جانب عباس عندما كان يخطط لاستخلافه في رئاسة الحكومة، وأنتهز بن طوبال وبوصوف هذا الخلاف لعزله لإضعاف سلطة غريمهما كريم.

كان محمود شاهدا على مسيرة الثورة في مراحلها الحاسمة منذ انتقلت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج، شارك بفعالية في تعزيز نشاطها العسكري والسياسي، وكان يمسك بملف مالية الثورة التحريرية، ثم تولى في أول حكومة مؤقتة منصب وزير التسليح والتموين، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الرجل ومكانته في الجهاز القيادي للثورة فأنه تعرض منذ عزل للتهميش والنسيان، ولم يلتفت إليه بالتكريم والثناء إلا قليلون.

وقبل أن تعاجله المنية بادر محمود إلى تسجيل شهادته وجمع وثائقه ومراسلاته، وربما كان ينوي تحرير مذكراته، أودع كل ذلك لدى الأستاذ علي

زغدود، الذي قام بنشر تلك الوثائق والمراسلات والمذكرات باسمه الخاص، ولم يقم بتصنيفها ولا تحليلها، ولعل ذلك لعدم تخصصه أو لتسرعه، ولما اطلعنا على تلك المنشورات وقفنا على أهميتها التاريخية.

إن مراسلاته ويومياته ووثائقه تفيدنا في كتابة مسيرته الجهادية مرحلة بمرحلة، وتكشف لنا خفايا مهمة من تاريخ الثورة الجزائرية خاصة ما تعلق بقيادة ولاية أوراس النمامشة ونشاط لجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة الجزائرية المؤقتة وملف التسليح... الخ.

وقد بادر مشكورا الأستاذ علي زغدود بنشر تلك الوثائق في كتابين رئيسيين هما: "شهادات العقيد محمود الشريف قائد ولاية الأوراس النمامشة ووزير التسليح والتموين في الحكومة المؤقتة"، و"صفحات من ثورة التحرير الجزائرية"، وإضافة إلى الوثائق تعتبر الشهادات الشخصية مصدرا رئيسيا لكتابة تاريخ الثورة لمن أحسن استغلالها، لقد سعينا لمقابلة شخصيات عملت مع الرجل، ارتبطت به وتعرفت عليه، ومن بينها شهادة الوردي قتال، وفارس علي، كما استفدنا من الشهادات المدونة لآخرين منهم مزهودي وبن عودة وابن طوبال، هذا إضافة إلى بعض الكتابات التي تحدثت عن الرجل ومنها، كتب محمد زروال الثرية حول تاريخ الأوراس والنمامشة، ومؤلف مرداسي "مغربلو الرمل".

إن عزل الرجل وسكوته طوال هذه المدة أسهم في تهميشه، ولهذا لم تنصفه الكتابات التاريخية، لقد تم تجاهله على الرغم من دوره القيادي وإسهاماته، وأننا نعتقد اليوم أن الكتابة حول قادة الثورة سوف يسهم في التعريف بهذه الثورة وسبر أغوارها وتجلية أحداثها، لقد رأيت أن أعرف بأحد أبطال الثورة التحريرية، والذي تعرض شخصه ودوره للانتقاد والتهميش، واخترت أن أطرح أسئلة كثيرة تدور في أغلبها حول إشكالية رئيسية، كيف نقيم جهود وإسهامات الرجل خلال مسيرته الكفاحية قائدا لمنطقة النمامشة والولاية الأولى، وقياديا في لجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة المؤقتة.

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة ومن أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية تطلب منا الأمر وصف وتقرير المعطيات التاريخية وتحليل الوقائع ومناقشتها، وعليه اعتمدنا أساسا المنهج التاريخي الوصفي في استعراض وتقصي المواقف والأحداث التاريخية، وسلكنا المنهج التحليلي النقدي في دراسة النصوص والوقائع ومناقشة المواقف والسياسات وفي الربط بينها واستنتاج الأحكام.

لا شك أن البحث في مثل هذه الموضوعات التي تتناول حياة وأعمال الشخصيات الثورية يخلق صعوبات جمة أمام الباحث، فقد تطلب منا الأمر تجاوز الصعوبات المتعلقة بظروف البحث وجمع المادة وتحليل ومناقشة المواقف والتطورات، وقد كان تفسير بعض المواقف يأخذ منا جهدا كبيرا، كما نقاط الظل في حياة الرجل لم نجد ما يغطيها سوى شهادات لم ترتبط مباشرة بحياة الرجل.

وإضافة للمحفوظات الشخصية لمحمود الشريف استفدنا من وثائق بعض المجاهدين ، ومنهم الوردي قتال، وإبراهيم مزهودي الذي سلمنا شهادة عن مهمته في تونس لتنظيم الولاية الأولى، وكذا عثمان سعدي ومحمد بعلوج ومحمد رزايمية... الخ، حيث أفادت وثائقهم المطلع عليها على جوانب خفية من تاريخ الولاية الأولى.

- الخاتمة

من خلال ما سبق عرضه نخلص لتسجيل ما يلي:

- أن الوثائق تعد المعين الرئيسي لمعرفة الحقائق التاريخية، وذلك إذا ما أحسن الباحث التعامل معها تصحيحا وتحليا واستنتاجا. وتكتسي الوثائق الأرشيفية أهمية خاصة باعتبارها مصدرا أساسيا لتدوين الأحداث التاريخية للثورة التحريرية لما تتميز به من أهمية وجدة ودقة في التأريخ للذاكرة الوطنية.

- أن الشهادات الشفوية معين ومصدر مهم لكتابة الذاكرة الوطنية، على الرغم من صعوبة الوصول اليها والمحاذير التي تتطلبها، حيث تفيد في

جوانب مهمة من تاريخ الثورة، وخاصة تلك التي تغطيها الوثائق الأرشيفية، ويتوجب غربلة كثير من الشهادات المجموعة وانتقاء المهم منها، ومقاربتها بما هو متوفر من روايات ومصادر أخرى للوصول إلى الحقائق.

- تكتسي الوثائق الشخصية المنشورة وغير المنشورة أهمية خاصة، نظرا لأهميتها في الكتابة التاريخية، وأن كانت بدورها موجهة ومنتقاة وتعبر عن وجهة نظر ذاتية، ولكن الباحث الحصيف الذي يقارنها بمصادر أخرى يستفيد من معينها المعرفي.

- أن المادة الأساسية التي تعاملنا معها في إعداد بحوث حول تاريخ الولاية الأولى في عهد شيحاني ولغرور ومحمود الشريف ومحمد لعموري هي الوثائق والشهادات، وتكتسي الوثائق الشخصية أهمية بالغة في تناول التاريخ المحلي للولاية الأولى.

- الهوامش

1- رابح لونيسي: منهج التعامل مع الشهادات والمذكرات عند كتابة تاريخ الثورة الجزائرية شهادات بن يوسف بن خدة نموذجا، مجلة عصور، العدد **7-9**، **2008**، ص**29** وما بعدها.

2- أنظر تقديمه لكتاب زوزو عبد الحميد، عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجرائر المعاصر (**1830-1900**)، المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر، **1987**، ص ص**5-6**.

3- مقلاتي عبد الله: موسوعة تاريخ الثورة الجزائرية ج**10**، مواثيق ووثائق الثورة الجزائرية، دار شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**.

4- اعتمدنا أساسا على المنهجية التي اعتمدها زوزو عبد الحميد وأجازه فيها الدكتور أبو القاسم سعد الله، زوزو عبد الحميد: المرجع السابق.

5- معلومات متواترة أفادني بها ضباط الاستخبارات إبان الثورة، ومنهم مهدي الشريف وولد قابلة.

6- مقابلات شخصية مع عدد من ضباط الولاية، ومنهم عمر صخري وحمة خليفة وغيرهما.

7- بخصوص بعض الموضوعات الممكن معالجتها أنظر عبد الحميد زوزو: مصادر تاريخ الثورة الجزائرية، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة، الجزائر، العدد **119**، ص**13** وما بعدها.

8- رابح لونيسي، المرجع السابق، ص**29** وما بعدها.

9- المرجع نفسه، وكذا محمد مجاود: أهمية الأرشيف في كتابة التاريخ، أعمال الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد، الجزائر، ص**10-12**.

10- نذكر أساسا كتبه: "إشكالية القيادة في الثورة، الولاية الأولى أنموذجا"، و"الثورة في اللمامشة".

11- مقالات منشورة في المجلات والكتب، متوفرة على الانترنت.

12- بشير شيحاني ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، مجلة معارف جامعة الوادي، العدد **13** جوان **2017**، ص ص **243-262**.

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/**36903**

وكذا عباس لغرور ودوره في الثورة الجزائرية، مجلة معارف وادي سوف، العدد **21**، **2018**.

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/**11**

وكذا كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور محمد الصغير غانم، منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية جامعة المسيلة، مارس **2019**، عنوان المساهمة: الشهيد الطالب العربي قمودي ودوره في قيادة الثورة الجزائرية بمنطقة وادي سوف والحدود الشرقية.

13- أنظر: مقلاتي عبد الله: محمود الشريف قائد الولاية الأولى ووزير التسليح إبان الثورة التحريرية، دار العلم للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**، ص**210**.

إشكـالية المصطلح والتحقيب في تـاريخ الحركة الوطنية الجزائرية

الأستـاذ: قرين مولود
جـامعة الدكتور يحي فـارس - المدية

- المقدمة

بعد نصف قرن ونيف من الاستقلال لازلت الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الجزائري وتحريره من الاستعمار (Décoloniser l'histoire) على حد تعبير "محمد الشريف الساحلي" ضرورة ملحة في نظر الباحثين ومؤسسات البحث المختلفة، وما يزيد القضية إلحاحاً هو عدم قدرتنا على التخلص من إرث المدرسة التاريخية الاستعمارية، فبالاطلاع على ما أنجز في الجامعة الجزائرية من دراسات تاريخية تتعلق بتاريخ الجزائر بكل عصوره سيما تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية (**1830-1962**م)[1]، نلاحظ أننا لازلنا في تبعية شبه مطلقة لما أنتجته ولازالت تنتجه المدرسة التاريخية الفرنسية ذات الخلفيات الاستعمارية.

ورغم جهود أقطاب (المدرسة التاريخية الجزائرية) في محاولاتهم للرّد وتفنيد مزاعم الكتابات الاستعمارية، إلاّ أن كتاباتهم اتصفت بأنها كتابات "ملتزمة"، قابلت غلوّ مدرسة "استعمارية" بغلوّ "مدرسة وطنية"[2]. هذا ما ساهم على ما يبدو في تأخر ميلاد "مدرسة تاريخية جزائرية" واضحة المعالم في منهجها وفي مصطلحاتها وفي تحقيباتها الزمنية وحتى في أهدافها، فلا زلت الضبابية تشوب الكثير من القضايا التاريخية، وما زلنا إلى حد الساعة منساقين وراء طروحات المدرسة التاريخية الاستعمارية متبنين مصطلحاتها وكذا تقسيماتها في تناول التاريخ الوطني عامة وتاريخ الحركة الوطنية خاصة.

لذلك فقد آن الأوان على ما يبدو في مسعى لتحقيق أمل شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله عندما تساءل: "متى يتحقق هذا الأمل؟"[3]، أمل ميلاد مدرسة تاريخية جزائرية أصيلة، ولعلّ ذلك لن يتأتى إلاّ بعد إخضاع لما أنتج من دراسات لنقد بناء وتقييم صارم على ضوء ما أتيح من رصيد ضخم من مادة تاريخية، وانطلاقاً كذلك من فهم لمناهج البحث المتعلقة بالعلوم المساعدة لفهم علم التاريخ، وذلك لفهم بعض من الزوايا الغامضة من تاريخنا والتي كانت من قبل بمثابة المسلّمات.

ولعلّ أول خطوة في تلك العملية تكون انطلاقاً من إعادة النظر في المصطلحات الموظفة، خاصة وأن "الاستعمار منذ بدايته قد وظّف التاريخ لتبرير وجوده وسياسته بها، وذلك من خلال انتقائه للفترات التاريخية التي اهتم بها والمواضيع التي عالجها"[4].

لذلك سنحاول في هذه الدراسة مناقشة بعض المصطلحات الموظفة في تاريخ الجزائر مع نقد تصورات التحقيبات التي وضعتها مدرسة التاريخ الاستعماري حول تاريخ الجزائر المعاصر انطلاقاً من الإشكالية التالية:

هل المصطلحات الموظفة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية تحمل دلالة علمية حقيقية؟ أم أنها تخدم مشروعا إيديولوجيا ما سواء كان استعماري أم وطني ملتزم ولو كان ذلك الالتزام على حساب الحقيقة التاريخية.

هل التحقيب الذي وضعته المدرسة التاريخية الاستعمارية وضع على أساس علمي موضوعي؟

1- مصطلحات تاريخ الجزائر بين التوظيف الكولونيالي والمدلول الحقيقي

لكل علم مصطلحاته الخاصة به وهي بمثابة المفتاح التي تمكننا من الولوج إلى ذلك العلم وفهمه فهماً دقيقا، لذلك بات الاهتمام بعلم المصطلح من أولويات كل العلوم، ومن ثم يكون أداة طيعة للحوار البنّاء بين العلماء والباحثين، ويفتح لهم قناة ثانية ليتواصلوا مع جمهور المتلقين بالقدر الذي

يضفي على إنتاجهم فرصة واضحة لينال التقدير ويحظى بالتوظيف[5]. وعدم تحديد المصطلحات بدقة يؤدي حسب رأي "مالك بن نبي" إلى "مناقشات أقرب إلى الطابع الأدبي منها إلى منطق العلم... أن هذه المناقشات لا تعين على جلاء الموضوع بل تجعله أكثر صعوبة"[6]. وذلك لما يشكله المصطلح في حده من أهمية في عملية البناء التاريخي، إذ بواسطته يمكن فهم الدينامكية التاريخية للمجتمعات، وكذا امتلاكه للقوة والإيجاز في التعبير عن الحوادث التاريخية وفهمها فهما دقيقا.

في الواقع لا يمكن الاحاطة بكل المصطلحات الموظفة في التأريخ للحركة الوطنية الجزائرية، لذلك سنحاول الاقتصار على مناقشة بعض المصطلحات التي نعتقد بأنها بمثابة مفاتيح لفهم تاريخ الجزائر المعاصر (**1830-1962**م)، والتي يمكن اجمالها في ما يلي:

2- الاستعمار: هل هو استدمار أم احتلال؟

ناقش الأستاذ "مولود قاسم نايت بلقاسم" قضية الاستعمار انطلاقا من معناها اللغوي، فهي حسبه منافية لما تحمله الكلمة من دلالات لغوية في اللغة العربية. فمصطلح الاستعمار المرادف للكلمة (La Colonisation) الفرنسية التي دخلت إلى اللغة الفرنسية سنة **1895**م، وأدرجت ضمن القاموس الفرنسي لأول مرة سنة **1931**م[7]، وتعني تعمير الأرض، ولكن حقيقة الاستعمار عكس ذلك تماما، فهو تدمير، فيقول "نايت بلقاسم" بأن الاستعمار استدمار ولا يمكن أن يكون استعمارا لان الاستعمار من تعمير الأرض أو إعمارها [8].

على الرغم من أن اسقاطات "نايت بلقاسم" كانت سليمة لغوياً وتاريخياً، ولكن ما مدى نجاعة مصطلح الاستدمار في الدراسات التاريخية؟ يبدو من الوهلة الأولى أن المصطلح نابع عن عاطفة وعن ذاتية تتنافي تماماً والموضوعية المنشودة في الدراسات التاريخية الأكاديمية.

وهذا لا يعني البتة سلامة مصطلح الاستعمار الذي وظف بعناية قصوى من طرف الأوروبيين للتعبير عن رسالتهم الحضارية المزعومة إلى العالم الثالث في إفريقيا وأسيا[9].

لذا المصطلح الذي يجب أن يوظف ويكون مصطلح علمي قادر على التعبير بموضوعية عن الحقيقة التاريخية هو مصطلح "الاحتلال الاستيطاني"، الذي يحمل دلالات لغوية معبرة فعلاً عن حقيقة تلك العملية. فالاحتلال في قواميس اللغة العربية يعني دخول البلاد والاستيلاء على أراضيها قهرا وغزوا[10]، وهذا ما حدث فعلاً بعد الحملة الفرنسية على الجزائر سنة **1830**م. أمّا الاستيطان فهو من مصدر (استوطن) ويقصد به حالة استقرار الكائن الدّخيل في الموطن الجديد، مثل الاستيطان الأوروبي في الجزائر بعد الاحتلال.

إذن فالأنسب وصفه بـ "الاحتلال الاستيطاني"، وهذا ما يجّرنا إلى إعادة النظر في مصطلح المعمّر، الذي الأصل فيه أنه جاء ليعمّر الأرض ويخدمها، في حين أن المستوطن الأوروبي جاء ليستوطن أرض عنوة، مستأثراً بخيراتها، والأدهى من ذلك كله أنه نفى صفة الجزائرية على صاحب الأرض الشرعي ليستأثر بها لنفسه، فأدبياتهم تشير إلى أنهم هم (الجزائريون) فكانوا يرددون: (Nous Sommes Les Algériens)، أما الساكن الأصلي فأطلقوا عليه مصطلح "الأهالي" (Indigène)، أو العربي أو المسلم . يبدو أن كل ذلك لم يكن عشوائياً، وإنما كان يتم في مخابر بحث، تصدى لها مستشرقون ومنظرون يهدفون إلى ضرب الجزائري في العمق حتي يمكن تحقيق حلم "الجزائر فرنسية" تحت غطاء شرعي، وهذا ما يفسر إلى حد كبير انتقاءهم للمصطلحات التي أطلقوها على ردود فعل الجزائريين في إطار الحركة الوطنية.

3- مصطلح الحركة الوطنية الجزائرية

الاعتقاد الراسخ لدى الكثير من الدارسين لتاريخ الجزائر المعاصر هو أن الحركة الوطنية الجزائرية هي ذلك النشاط السياسي الذي عرفته الجزائر

بعد الحرب العالمية الأولى في شكل أحزاب سياسية وجمعيات ونوادي ثقافية، غير أن الدارس المتمعن، سيلاحظ بأن ذلك المفهوم وليد المدرسة التاريخية الاستعمارية التي ادعت بأن الحركة الوطنية هي وليدة عشرينيات القرن الماضي محاولة بذلك الطرح إضفاء طابع الاستكانة والخنوع على المجتمع الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى مبررين زعم رواد الغزو من فلاسفة وسياسيين ومؤرخين الذين وصلوا إلى درجة نفي الأمة الجزائرية قبل **1830**م من بين هؤلاء المؤرخ "ج. سودرون" الذي يزعم بأن الجزائر عام **1830**م لم تكن تشكل دولة فما بالك أمة، وأنه لم تكن لها حدود، وكذلك روبير آرون الذي قال: "بأن الجزائر لما وصلها الفرنسيون لم تكن قطرا مستقلا"، أما بوسكي صاحب الآراء الاستعمارية المتطرفة فيزعم بأن فرنسا هي من صنعت اسماً للجزائر"[11].

فالافتراء على تاريخ الجزائر عامة وعلى تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية خاصة كان سمة بارزة في أغلب كتابات المدرسة التاريخية المعاصرة، خاصة في كتابات "شارل روبير أجرون"، و"أندري نوشي" و"جيلبرت مينيي"، و"غي بيرفيلي" وغيرهم، فمثلا "منيي" في اطروحته "الجزائر المستيقظة **1914-1918**م" يحاول أن يبرز أن ميلاد الوطنية الجزائرية كان بعد الحرب العالمية الأولى، وهذا ما نلمسه في تقديم:

(Pierre VIDAL - NAQUET) الذي يرى بأن "ميني" قد اختار عنواناً معبراً عن الموضوع بدقة، وأنه يمكن أن يستبدل بعنوان: (ميلاد الوطنية) (Naissance d' une nation)، وهو بذلك حسب رأيه دائماً يتماشى وطرح أغلب المؤرخين أمثال "شارل أندري جوليان" في كتابه "إفريقيا الشمالية تسير" و"أندري نوشي" في كتابه "ميلاد الوطنية الجزائرية" فكلهم يشيرون إلى دور الحرب العالمية الأولى في تشكل الوطنية الجزائرية[12].

غير أن الحقيقة عكس ذلك تماماً، فالحركة الوطنية يقصد بها كل سلوك ورفض أبداه الشعب الجزائري منذ **1830**م بمختلف الوسائل المتاحة، وقد تراوح ذلك الرفض ما بين العمل العسكري التصادمي القائم على مجابهة العدو عسكريا، والعمل الفكري والسياسي القائم على تأسيس

الجمعيات والنوادي الثقافية، والصحافة، وإرسال الوفود والعرائض وتأسيس الأحزاب... إلخ[13]. فجذور الحركة الوطنية الجزائرية تعود إلى أول يوم نزل فيه الغزاة الفرنسين على شواطئ "سيدي فرج"، فكل مقاومة ورفض يمكن إدراجه ضمن الحركة الوطنية، لأن لولا الشعور الوطني، ولولا خشية الجزائري وخوفه على هويته ودينه وأرضه ما تصدى للاستعمار أو سياسته التعسفية.

4- الانبعاث الثقافي في الجزائر هل هو نهضة أم يقظة؟

لم يرد مصطلح النهضة في أدبيات دعاة "النهضة" خلال القرن التاسع عشر، فاكتفوا بالدعوة إلى الأخذ بأسباب التقدم[14]، حتى أن مؤرخ هذا العصر "ألبرت حوراني" (**1915-1993**م)، لم يستخدم مصطلح النهضة، وإنما عنون دراسته ب:"الفكر العربي في العصر اللبيرالي:

(Arabic Thout in the Liberal Age)، بينما مترجم الكتاب "كريم عزقول" استخدم مصطلح النهضة بدل الفكر العربي، وذلك للإشارة إلى مجمل التطورات التي شهدها الفكر العربي منذ بداية القرن التاسع عشر. أما بالنسبة للمصطلح في الجزائر فقد وظف من طرف الكثيرين الذين أرخوا لفترة أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن **20**م، ومن أشهر المؤرخين الذين استخدموا المصطلح كعناوين لدراساتهم وبحوثهم نجد: الأستاذ "دبوز محمد علي" في كتابه ، "نهضة الجزائر وثورتها المباركة"[15]، وكذلك مقال "سعد الدين بن شنب" "النهضة العربية في الجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر هجري" في العدد الأول من مجلة كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة **1964**م[16].

لقد سار على درب هؤلاء الرواد أغلب المؤرخين المعاصرين خاصة الأكاديميين منهم "أبو القاسم سعد الله" في أطروحته تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الثاني، فخصص لها فصلاً كاملاً (الفصل الثالث) ليبرز معالمها ومظاهرها ونتائجها[17]. وأراد "سعد الله" بذلك المصطلح التعبير عن ذلك الحراك الثقافي الذي شهدته الجزائر في مطلع القرن

العشرين والمتمثل في إنشاء الصحافة، وتأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية، ونشاط النخبة بشقيها المعرب والمفرنس التي دعت إلى ضرورة النهوض بالمجتمع الجزائري.

ولكن هل ذلك الحراك يرقى إلى وصفه بأنه كان "نهضة"، خاصة وأن مصطلح النهضة مصطلح وظف في أوربا (Renaissance) للدلالة على إعادة الولادة والإحياء من جديد، أما في العالم العربي فمصطلح النهضة يعبر عن المعنى الحقيقي لمحتواه اللفظي كحركة تاريخية قامت ضد الجمود والركود، فالنهضة من فعل نهض تعني "قام من مقعده، وعن سريره، وعن الأرض وبسرعة و بدأ السير، قام ليذهب إلى الآخر أو للوثوب إلى آخر... الخ"، بهذا المعنى تكون النهضة العربية مرادفة لعملية الوثب والسير قدما في سبيل تحقيق غرض ما، وعملت على استلهام النموذج الغربي وطريقة صعوده من وجهة كمية وانتقائية لمفاهيم من داخل التراث الإسلامي، وإعطائها تفسيرات جديدة تتلاءم مع الواقع الراهن. ويذهب المفكر عمر فاخوري إلى اعتبار "النهضة" رد فعل تاريخي واع بحاضر وماض عربيين متأزمين، مبّينا مرتكزاتها الفكرية والعقائدية والثقافية والحضارية والتاريخية من خلال قراءته للتاريخ العربي الإسلامي فنراه يلّح على التراث، دور الأفراد والجماعات في صنع الحضارة"[18].

ولكن هل حققت النهضة في العالم العربي عامة وفي الجزائر خاصة ما حققته النهضة الأوروبية من نتائج؟ أكيد الإجابة تكون بالنفي، لأنه رغم ما حققه ذلك الحرك من تحريك للمشاعر الوطنية والرغبة الشديدة للخروج من دائرة التخلف، إلا أن ذلك لا يرقى أن يكون نهضة التي تعني القطيعة مع مظاهر التخلف، فذلك لا يعدو إلا أن يكون مجرد يقظة على وقع الحركات الاستعمارية المتنامية، ثم العودة إلى "النوم" من جديد منذ النصف الأول من القرن العشرين إلى يومنا هذا!

5- اشكالية النخبوية في الجزائر

من أهمّ المصطلحات والمفاهيم التي دار النقاش حولها كثيرا، وحاولت المدرسة التاريخية الاستعمارية أن تستثمرها لصالح المشروع الاستعماري مصطلح "النخبة"، فالمستقرئ لمختلف الأدبيات الكولونيالية يستشف أنها قرنته بفئة الجزائريين المفرنسين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالثقافة الغربية وانبهروا بعظمة فرنسا، واقتنعوا بأن الجندي والمعلم الفرنسي رسول حضارة وسلام في الجزائر، من بينهم : (G. Marçais) (جورج مارسي) مدير مدرسة تلمسان، الذي عرفّها عندما توجه مخاطباً لهذه الفئة بقوله: "... إنكم أنتم المتجذرون في التراب الجزائري، والمتخرجون من ثانوياتنا ومدارسنا، والذين تدلون برأيكم حول المسائل التي تهمنا دون عاطفة ودون مواقف مسبقة (...) بواسطة ثقافتكم، التي تأتي لتدعيم أصلكم، تنتمون لما يمكن أن نسميه بكل شرعية "النخبة"، إنّها تسمية شرعية كما تعلمون، وهي تسمية تصف بالضبط ما يتعارف عليه الجميع من صفات "النخبة"، والمقصود طبعا اتصافها بصفات أوروبية معينة، وهي مكونة من بعض المحامين، وبعض الأطباء الأشراف، وجيش هام من الصحفيين المهرة، والأكثر جدارة بالذكر المدرسون الواعون بالدور الحاسم الذي ألقته فرنسا على عواتقهم (...) إن النخبة التي تنتمون إليها تبدو لي العنصر الأكثر فائدة للوحدة بين الشعوب، لأنها تغذت من الثقافة العربية وأمكنها أن تتخلق بالآداب الفرنسية..."[19]. "فمارسي" رغم إقراره بأن النخبة هي التي جمعت بين الثقافتين الغربية والعربية الإسلامية، إلا أنه يجعل من الثقافة الغربية هي المعيار الأول في تصنيفه، لأن الثقافة الغربية هي التي تخول لهؤلاء -حسبه- أن يتبؤوا المناصب التي أشار إليها وتجعلهم قادرين على لعب دور الوسيط بينها وبين الأهالي، أو "القنطرة التي تجتاز عليها الثقافة الفرنسية إلى معاقل الثقافة الوطنية" على حدّ تعبير "سعد الله".

أمّا (موريس أجام) (Maurice Ajam) الذي زار الجزائر سنة **1912**م، فقد عرّفها بقوله: "إنها الطبقة المتخرجة من مدارسنا المتحررة من

المعتقدات الدينية، المرتدية للباس الأوربي، ولكن تأكدوا بأنهم لن يتخلوا عن الطربوش"[20]. أما الأكاديمي والأستاذ السابق في ثانوية الجزائر السيد "برتران"، فقد ربط التطور الحاصل في الجزائر بتطور التعليم الفرنسي الذي أفرز -في اعتقاده- جيلاً جديدا من الشباب الأهالي المثقفين لا يقلون ثقافة عن الفرنسيين أنفسهم[21].

كما أن المنتمين إلى النخبة المفرنسة قد ساروا على نهج هؤلاء المستشرقين في المفاهيم التي صاغوها، من بينهم (شريف بن حبيلس) أحد وجوه النخبة البارزين في الربع الأول من القرن العشرين، فقد قال عنها: "... إنها مجوعة الشبان المتكونين في الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين"، وضمن النخبة يندرج -في منظور بن حبيلس- الأطباء والمعلمون والعسكريون الأهالي والقضاة، وهذا تقريباً نفس رأي "إسماعيل حامت" الذي قدم لنا نماذج من أفراد هذه النخبة في كتابه[22]:

(Les Musulmans français du Nord de l'Afrique)

(المسلمون الفرنسيون في شمال إفريقيا)

وفي نفس السّياق يعرفها المؤرخون الفرنسيون المعاصرون، فـ: "أجرون" الّذي يشير إليها تارة "بحركة الشباب" الجزائري، وتارة أخرى بـ "المتطورين" بأنهم بضع عشرات من المتفرنسين الذين تلقوا تعليمهم في مختلف المدارس الفرنسية في الجزائر، والذين لفتوا أنظار لجنة التحقيق التي قادها (جول فيري) (Jules Ferry) سنة **1892**م، وتضم هذه الفئة حسب "أجرون":

- الأطباء، المحامين، والمعلمين أصحاب الشهادات سواء من المدارس أو المعاهد، والضباط، والمترجمين العسكريين، والمترجمين في سلك القضاء، والمساعدين الإداريين، والصحافيين، والمزارعين الأهالي وأصحاب الحرف"، ولا يتوانى "أجرون" رغم معرفته الدقيقة بتطور تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية في الاعتقاد بأن هذه الفئة ما هي إلاّ صدى لحركة "تونس الفتاة"،

فحركة الشباب الجزائري حسب زعمه تستلهم أفكارها وبرنامج عملها من نشاط النخبة التونسية التي كانت كمثال يحتذي به الشبان الجزائريون[23].

أما (غي برفيي) (Guy Perveille) في أطروحته الأكاديمية فيعرفها بأنها الفئة القليلة المحظوظة من مزايا التعليم الفرنسي، التي تشكلت عن قصد من الإدارة الفرنسية لتكون واسطة بينها وبين جموع الأهالي، وقسمها "برفيي" إلى نخبة دنيا وتضم كلاً من "ضباط فرق الأهالي الذين جندوا عشية الاحتلال، وتلاميذ المدارس العربية الرسمية الثلاث التي تأسست سنة **1850** وكان منهم القضاة وعلماء الدين ومدرسو اللغة العربية، والمعلمون الذين تلقوا تكوينهم في مدارس ترشيح المعلمين في مدينة الجزائر منذ **1865**م ثم ببوزريعة سنة **1887**م، وأعوان الصحة، ونخبة عليا متكونة من قدماء الطلبة خريجي الجامعات الفرنسية، وهي فئة مثقفة تولي اهتماما خاصاً بكبريات المشاكل، ولقد تلقوا نفس التكوين الذي تلقاه موظفو القطاع الإداري والاقتصادي بفرنسا[24].

الظاهر على جلّ هذه التعاريف أنّها ركزت على دور المدرسة الفرنسية في تكوين النخب، وحصرت "النخبوية" في فئة قليلة من المجتمع الجزائري، كان لها الحظ في ولوج المدرسة الفرنسية فتشربت الثقافة الغربية واعتبرتها أنموذجا للنهوض بالمجتمع الجزائري.

ولكن إذا اعتبرنا أن المستوى الثقافي، والقدرة على التأثير وقيادة الجماهير هي معايير التصنيف في المجتمع، فإننا سنلاحظ بدون شك أن النخبة "المفرنسة" هي جزء من فئات النخبة الجزائرية وعناصرها الريادية التي تعددت أطر مرجعياتها الفكرية وأصولها الاجتماعية وتصوراتها للمجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي.

فالمؤكد أن هذه الفئة من النخبة لا تمثل النخبة كلها، بل هي جزء من أطياف النخبة الجديدة التي عرفتها الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر، والمتمثلة إلى جانب المفرنسين، في النخبة المعرّبة التي تلقت تكوينها إماّ في المؤسسات التربوية التقليدية في الجزائر، أو المتخرجة من الحواضر العلمية

في المشرق أو المغرب (الأزهر، الزيتونة، القرويين)، وهذا ما أكده المؤرخ (Aaugustin Berque) (أغسطين بيرك) الذي ذكر بأن النخبة الجزائرية تضم كل العناصر المتخرجة من المدرسة الفرنسية (أساتذة، أطباء، محامون، موظفون، معلمون... إلخ) والمتخرجة من الجامعات الإسلامية مثل "الأزهر"، "الزيتونة"، "القرويين"، والمتكونين من طرف المرابطين[25].

وينحو الباحث "علي مراد" نفس المنحى تقريباً، إذ يرى بأن النخبة المحركة للمجتمع الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تتكون من عدة أطياف وهم: "المثقفون ذوو التكوين الفرنسي" "والمعربون ذوو الاتجاه الإصلاحي" و"المرابطون" (نخبة الزوايا)، وهذا ما ذهب إليه أيضاً "محفوظ سماتي"، الذي ذكر بأن "نخبة المفرنسين" ما هي إلا جزء من نخبة الجزائر إلى جانب النخبة المعربة التي تلقت تكوينها في المساجد وفي الزوايا التي استمرت في تأدية وظيفتها التعليمية ولو بشكل بدائي في ظل الاستعمار الفرنسي[26].

وبدوره يذهب "سعد الله" كذلك في أبحاثه العديدة حول تاريخ الجزائر إلى أن أطياف النخبة متعددة بتعدد مشاربها الفكرية والثقافية، فإلى جانب الاندماجيين "الذين أضاعوا لغتهم وعادات واحترام وصداقة مجتمعهم وأداروا وجوههم نحو الحياة الأوروبية" حسب تعبيره، هناك النخبة المعربة التي سمّاها بكتلة "المحافظين"، المتكونة من "المثقفين التقليديين أو العلماء، ومن المحاربين القدماء، ومن زعماء الدين، وبعض الإقطاعيين والمرابطين"[27].

إننا نتفق بشكل كبير مع كل المفاهيم التي أدرجت كل المثقفين سواء المفرنسين أو المعربين في "نادي النخبة"، ولكن نختلف مع الكثيرين الذين جعلوا من المستوى الثقافي أو الشهادات كأساس للحكم على الأفراد أو الجماعات بالنخبوية، فأغلب ما ذكرناه من التعاريف فإنها تشير إلى "الأنتلجانسيا"، التي هي في الواقع جزء من النخبة الجزائرية فقط، ففي فترة أواخر القرن **19** ومطلع القرن**20**م، هناك الكثير من الفاعلين خاصة في الساحة السياسية ليسوا من حملة الشهادات أو المثقفين فهناك الكثير ممن

كانوا ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية أو البرجوازية التي فرضت نفسها عن طريق ثروتها، مثل: التجار، رجال الأعمال، موزعو جملة، وصناعيون في مزارع الزيتون، وملاّك. لقد لعب هؤلاء إلى جانب المثقفين دوراً كبيرا في الحركة المطلبية منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والأمثلة عن ذلك كثيرة من بينها: "العريضة" الموقعة من طرف أعيان العاصمة التي بعثوا بها إلى "نابليون الثالث" سنة **1865**م مذكرين إياه بوعود فرنسا سنة **1830**م، وعريضة أعيان قسنطينة سنة **1887**م، فقد ضمت إلى جانب بعض المثقفين والأساتذة موقعين ينتمون إلى مختلف الأوساط الاجتماعية، كالتجار والحرفيين والصنّاع والمزارعين وغيرهم، فهؤلاء البرجوازيون قد عبّروا من خلال عريضتهم التي جمعت (**1700**) إمضاء حسب "الأشرف" "عن وعي قومي عميق للرّد على محاولات الاستعمار الإدماجية، فقد تحدثوا باسم الجزائر كلها، وذكّروا باتفاقية الجزائر لعام **1830**"[28].

ومن خلال هذا العرض نستشف بأن النخبة الجزائرية الجديدة لا تقتصر على المثقفين ذوي المرجعيتين الغربية أو العربية الإسلامية، أو مرجعية الإسلام الجزائري (الزوايا) كما كان يسميه المستشرق الفرنسي "دوتي"، وإنمّا تضم كل العناصر الجزائرية الواعية بحجم المظالم المسلطة على الجزائريين، والقادرة في الوقت ذاته على التعبير عن آلام وآمال الجزائريين لدى الدوائر الحكومية مستخدمة في ذلك الطرق السلمية (الشرعية) والحوار الهادئ الرّصين، وقد خلقت بذلك حركة مفصلية ومحورية عرفت تاريخياً "بالنهضة" الجزائرية التي نقلت المجتمع الذي أعياه عهد المقاومات والانتفاضات الشعبية من أسلوب النضال التصادمي إلى النضال السلمي، القائم أساساً على إعادة البعث الحضاري والوعي الفكري للأمة الجزائرية حتى تعي ما يدور حولها، فتستيقظ وتنهض لتغير من واقعها المر.

6- نحو ضبط دقيق لتحقيب تاريخ الجزائر المعاصر: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية أنموذجاً

تعد مسألة التحقيب مسألة جوهرية في عملية البناء التاريخي (الممارسة الاستطغرافية) وفي التنظيرات المنهجية والابستيمولوجية المعاصرة وهذا ما عبر عنه "عبد الله العروي" بقوله: "نميل إلى إغفال حقيقة أساسية هي أن علم التاريخ بدأ في صورة تحقيب ..."[29]. ولكن رغم ذلك فإننا نلاحظ أغلب الدراسات في الجزائر لا زالت حبيسة للتحقيبات المدرسة الاستعمارية، وهذا ما يظهر بشكل جلي في التقسيمات المعلمية المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، فأهم ما ميز مدرسة التاريخ الاستعماري منذ نشأتها سنة **1830**م، حسب ما ذكره المؤرخ جمال قنان، "التركيز على بعض الجوانب لبعض الفترات وإهمال الباقي"[30]. فمؤرخو إدارة الاحتلال الفرنسي وضعوا للاستعمار تحقيبا خاصاً به، جعلوا منه فيما بعد "تحقيباً جاهزاً وغلقاً"[31] .

وهدفهم في ذلك واضح جداً يتمثل أساساً في صنع قوالب تؤسس نكران الهوية الوطنية للجزائر، ونفي وجود أي مؤشر عنها عند احتلال فرنسا للبلاد، والتأكيد على أن هذه الشخصية لم تبدأ في البزوغ إلاّ عند نهاية الحرب العالمية الأولى. وقد كان لفرنسا حسب ادعائها بعض الفضل في بعث هذا الشعور بالشخصية الوطنية[32].

ومن هذا المنطلق نجد بأن أغلب الدراسات التاريخية التي انتجها الجيل الثاني من المؤرخين الفرنسيين تعتمد على نهاية الحرب العالمية الأولى أو قبلها بقليل كتاريخ معلمي يؤرخ لميلاد الحركة الوطنية الجزائرية، وكأن الشعور بالوطنية، والاعتزاز بالشخصية لم يكن موجودا من قبل.

وقد شرحنا خلفيات ذلك لما ناقشنا مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية. ومن أشهر المؤرخين الذين اعتمدوا على هذا الأساس (André Nouschi) (أندري نوشي) من خلال كتابة: "ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية"، إذ اعتبر أن سنة **1912**م هي بدايتها، وربطها بالوفد الذي سافر إلى باريس لمقابلة

رئيس الحكومة الفرنسية بخصوص قانون التجنيد الإجباري، وقد سار على دربه كل من (Claude Collot) (كلود كولو)، و(Henri Robert) (هنري روبير) في كتابهما: "نصوص في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (**1912-1954**م)، فهذا التحقيب أخذ به العديد من المؤرخين الفرنسين فيما بعد[33].

لقد أدرك الكثير من المؤرخين الجزائريين الأبعاد الحقيقية لذلك التحقيب، مثل "سعد الله" الذي اعتمد على سنة **1830** في أطروحته "تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية" كمعلم لعهد جديد، تميز بميزتين وهي: "بداية لجريمة إنسانية ضد الشعب الجزائري"[34]. وبداية للفعل الوطني ضد الاحتلال الأجنبي.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقط فكثير من المؤرخين الفرنسين المعروفين بقوة منهجيتهم اعتمدوا على تواريخ معلمية يجب إعادة النظر فيها مثل أطروحة الأستاذ "شارل روبير أجرون" " الجزائريون المسلمون وفرنسا" (**1871-1919**م)، معتبراً أن ثورة الشيخ المقراني والحداد كانت آخر ثورة كبيرة في الجزائر أسست لمرحلة جديدة في تاريخ الجزائر المعاصر. حقيقة أن مرحلة ما بعد **1871**م تميزت بسيطرة المستوطنين في إطار ما يعرف بالنظام المدني، ولكن الفكر المسلح ظل قائما بعد انتفاضة **1871**م، وتجسد في مختلف المقاومات التي استمرت إلى غاية مطلع القرن **20** من بينها: مقاومة الشيخ بوعمامة **1881**م، مقاومة الأوراس **1916**م، ومقاومة الجنوب الشرقي إلى غاية الهقار ما بين (**1916-1919**م).

وبالنظر إلى أغلب الدراسات التاريخية الفرنسية ذات الخلفيات الاستعمارية نلاحظ أنها أقصت لبنة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ألا وهي "مرحلة اليقظة" أو "النهضة" كما يسميها سعد الله مثلما أشرنا سابقاً، التي تميزت بها الفترة الممتدة ما بين أواخر القرن **19**م ومطلع القرن **20**م، وهي مرحلة مهمة أسست لميلاد التشكيلات السياسية وتيارات الحركة الوطنية الجزائرية فيما بعد.

بعد أن قدمنا هذه الأمثلة بشكل مقتضب وفق ما يسمح به حيز هذه الدراسة سنحاول أن نقدم تقسيما نعتقد بأنه تقسيما منطقيا لتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، أو على الأقل وجهة نظر لإثارة النقاش حول هذه الإشكالية المهمة.

– 1830–1881م: مرحلة المقاومة الوطنية المسلحة، سواء الرسمية أو غير الرسمية التي تبدأ من مقاومة المتيجة وتنتهي عند مقاومة الشيخ بوعمامة سنة **1881**م، مع التأكيد على أن ردود الفعل المسلحة لم تتوقف عند هذا التاريخ بل استمرت إلى مطلع القرن **20**م.

– 1881–1914م: تميزت هذه الفترة بميلاد اليقظة الجزائرية القائمة على المقاومة الثقافية، تمتد من **1881** بروز البواكير الأولى للنخب الجزائرية وتنتهي باندلاع الحرب العالمية الأولى.

– 1914–1918م: مرحلة الحرب العالمية الأولى والتي يعتقد الكثير من المؤرخين بأن الفعل الوطني في هذه المرحلة قد غاب نتيجة للقمع الاستعماري، غير أن الدارس المتمعن لهذه المرحلة، سيلاحظ بأن الجزائريين حاولوا أن يستغلوا ظروف الحرب والعمل على التنسيق والتواصل مع الدولة العثمانية وألمانيا لطرد الاستعمار وتحقيق الاستقلال[35].

– 1919–1939م: مرحلة ميلاد الأحزاب السياسية وبروز تيارات الحركة الوطنية الجزائرية.

– 1939–1945م: الحرب العالمية الثانية والنشاط السري للحركة الوطنية الجزائرية، ومحاولة جنوحها نحو الائتلاف والتكتل الذي تجسد في بيان فيفري **1943**م، وجبهة أحباب البيان والحرية في مارس **1944**م.

– 1945–1954م: مرحلة ما بعد مجازر ماي **1945**م وما ترتب عنها من نتائج أدت إلى القطيعة النهائية مع إدارة الاحتلال والشروع في التحضير للكفاح المسلح (الثورة التحريرية) التي ستعلن في **1** نوفمبر **1954**م.

- الخلاصة

من خلال النماذج التي قدمناها يتضح جليا أنّه بات من الضروري إخضاع مصطلحات تاريخ الجزائر إلى فحص وتدقيق علمي يجعلها قادرة على حمل الحقيقة التاريخية وتصويرها بدقة، ذلك أن المصطلح هو المفتاح لفهم أي علم. بالإضافة إلى ضرورة إعادة النظر في التقسيمات التي وضعتها مدرسة التاريخ الاستعماري، والعمل على وضع معالم تاريخية مضبوطة لفهم مراحل الحركة الوطنية الجزائرية فهما دقيقاً دون إقصاء أي مرحلة من مراحل التاريخ الوطني.

وعلى مخابر البحث والمؤسسات التاريخية تقع مسؤولية إعادة النظر فيما هو متداول من مصطلحات ومفاهيم.

وآلية ذلك تكوين البحوث المتخصصة والعمل على انجاز قواميس على شاكلة دائرة المعارف الإسلامية.

- قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب والدراسات العربية

- بن عدة عبد المجيد، الخطاب النهضوي في الجزائر **1925-1954**م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دلة في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، **2004-2005**م.

- بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصابور شاهين، ط**3**، دار الفكر، الجزائر **1986**م.

- دبوز محمد علي، نهضة الجزائر وثرورتها المباركة، ج**1**، **2**، **3**، الجزائر **2009**م.

- خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (**1900-1930**م)، دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة منتوري، قسنطينة، **2002-2003**م.

- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية **1900-1930**، ج**2**، ط**4**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1992**م.

- عباس فرحات، الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم، الشاب الجزائري (**1930**م) متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان (أبريل **1944**)، تر: أحمد منور، تقديم: سعد الله، د ط، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، **1007**م.

- عويمر مولود، علاوة عمارة، نصف قرن من البحث العلمي في الجامعات الجزائرية **1962-2012**م، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، **2013**م.

- غي برفيي، الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية **1880-1962**م، ترجمة: حاج مسعود وآخرون، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2007**م.

- قيس ماضي فرّو، ثقافة النهضة العربية وخطابات الهويات الجماعية في مصر وبلاد الشّام، ط**1**، دار الفرابي، بيروت، لبنان، **2017**م.

- قنان جمال، أعمال الدكتور جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مج **04**، منشورات وزارة المجاهدين، **2009**م.

- مريوش أحمد، محاضرات في تاريخ الجزائر **1900-1954**م، ج**2**، ط**1**، كنوز الحكمة، الجزائر **2013**م.

- المقالات

- بن شنب سعد الدين، "النهضة العربية في الجزائر"، مجلة الآداب، ع**1**، الجزائر، **1964**م.

- بليل محمد، "الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية"، عصور الجديدة، ع**13**، جامعة وهران، أفريل **2014**م.

- عبيد أحمد، "التّأريخ الجزائري: تقييم ونقد - حالة الجزائر العثمانية"، مجلة إنسانيات، ع**47-48**، (CRASC)، وهران، **2010**م.

- رحماني الطيب، "وضع المصطلح العلمي: مفهومه ومقاييسه ومواصفاته، جسور المعرفة، ع**4**.

ثانيا- الأجنبية

- BANCEl Nicolas, Françoise VERGES, La Colonisation Française, Les Essentiels Milan, paris **1931**.

- Benhabylès Chérif, L'Algérie Française vue par un indigène, Ed : Fontana, Alger **1914**.

- Hamet Ismaël, Les Musulmans français du Nord de l'Afrique, Librairie Armand Colin, Paris **1906**

- Gilbert Meynier, L' Algérie Rèvèlèe -La guerre **1914-1918** et Le premier quart du xx° siècle- ; Librairie Droz, Genève,**1980**.

- Ali Merad , le Réformisme musulman en Algérie de **1925** à**1940** Essai d'histoire religieuse et social, Ed el Hikma, Alger **1999**.

- A. Berque, « Les Intellectuels Algériens », In : R. A, V**91**, N° **410**, **1947**, p. **1**

- BOUKECHOUR Mohammed salah BOUKECHOUR, « L'écriture de l'Histoire de l'Algérie, Période Coloniale (**1830-1962**) : Sources et Perspectives », Revue académique des études humaines et sociales, N **16**, Université Hassiba Benbouli Chlef, Algérie, juin **2016**.

- Guy Pervillé, « L'élite intellectuelle, l'avant-garde militante et le peuple algérien » , In: Vingtième Siècle, Revue d'histoire, N°**12**,Paris,octobre-décembre **1986**,pp. **51-58**.

- الهوامش

1- أنظر: مولود عويمر، علاوة عمارة، **نصف قرن من البحث العلمي في الجامعات الجزائرية 1962-2012م**، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، **2013**م. وكذلك:

- Mohammed salah BOUKECHOUR, « L'écriture de l'Histoire de l'Algérie, Période Coloniale (**1830-1962**): Sources et Perspectives », **Revue académique des études humaines et sociales,** N **16**, Université Hassiba Benbouli Chlef, Algérie, juin **2016**. p. **3-8**.

2- أحمد عبيد، "التّأريخ الجزائري: تقييم ونقد - حالة الجزائر العثمانية"، **مجلة إنسانيات**، ع **47-48**، CRASC، وهران، **2010**، ص**75**.

3- محمد بليل، " الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة الذاتية والحقيقة التاريخية"، عصور الجديدة، ع **13**، جامعة وهران، أفريل **2014**، ص **289**.

4- أحمد عبيد، **المرجع السابق**، ص **76**.

5- الطيب رحماني، "وضع المصطلح العلمي: مفهومه ومقاييسه ومواصفاته، **جسور المعرفة**، ع **4**، ص **21**.

6- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية،** ترجمة: عبد الصابور شاهين، ط**3**، دار الفكر، الجزائر **1986**م، ص**09**.

7- Nicolas BANCEl, Françoise VERGES, La Colonisation Française, Les Essentiels Milan, paris **1931**, p.**4**.

8- أنظر محاضرة المفكر مولود قاسم نايت بلقاسم في ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر.

9- Nicolas BANCEl, Françoise VERGES, **op-cit**, p. **6**.

10- أنظر: قاموس أو لسان العرب.

11- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ج**2**، ط**4**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1992**م، ص**73**.

12- Meynier Gilbert, **L' Algérie Rèvèlèe -La guerre 1914-1918 et Le premier quart du xx° siècle-**; Librairie Droz, Genève,**1980**, p.**7**.

13- أحمد مريوش، **محاضرات في تاريخ الجزائر 1900-1954م**، ج**2**، ط**1**، كنوز الحكمة، الجزائر **2013**م، ص ص**12**، **13**.

14- قيس ماضي فرّو، ثقافة النهضة العربية وخطابات الهويات الجماعية في مصر وبلاد الشّام، ط**1**، دار الفرابي، بيروت، **2017**، ص**91**.

15- محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر وثرورتها المباركة**، ج**1**، **2**، **3**، **2009**، الجزائر.

16- سعد الدين بن شنب، "النهضة العربية في الجزائر"، **مجلة الآداب**، ع**1**، الجزائر، **1964**.

17- سعد الله، **المرجع السابق**، ص **130** وما بعدها.

18- عبد المجيد بن عدة، **الخطاب النهضوي في الجزائر 1925- 1954م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة الجزائر، **2004-2005** ، ص**40**.

19- أنظر تقديم (Préface) ج. مرسي في:

- Chérif Benhabylès**, L'Algérie Française vue par un indigène**, Ed: Fontana, Alger **1914**. PP. **1-2**.

20- الجمعي خمري، **حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930م)، دراسة تاريخية وسياسية مقارنة**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)، جامعة منتوري، قسنطينة، **2002-2003**م، ص**122**.

21- فرحات عباس، **الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم، الشاب الجزائري (1930م) متبوع بتقرير إلى الماريشال بيتان (أبريل 1944)**، تر: أحمد منور، تقديم: سعد الله، د ط، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، **1007**م، ص ص**65**، **66**.

22- Ismaël Hamet, **Les Musulmans français du Nord de l'Afrique**, Librairie Armand Colin, Paris **1906**, p.**182** et suiv

23- Ageron, **Mouvement jeune algérien ,**p. **220**.

24- غي برفيي، **الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962م**، ترجمة: م. حاج مسعود وآخرون، د ط، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2007**م، ص ص**14**، **15**. ونظر دراسته كذلك:

- Pervillé Guy, « L'élite intellectuelle, l'avant-garde militante et le peuple algérien », In: **Vingtième Siècle, Revue d'histoire,** N°**12**, Paris, octobre - décembre **1986**,pp. **51-58**.

25- A. Berque, « Les Intellectuels Algériens », In : **R. A**, V**91**, N° **410**, **1947**, p. **1**.

26- Ali Merad , **le Réformisme musulman en Algérie de 1925 à1940 Essai d'histoire religieuse et social**, Ed el Hikma, Alger **1999**, p p. **44 -45**.

27- سعد الله، **المرجع السابق**، ج**2**، ص**162**.

28- مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة: حنفي بن عيسى،ط**1**، م.و.ك، الجزائر، **1983**م، ص**22**.

29- محمد مزبان، "وحدة المناهج والكتابة التاريخية"، اطلع عليه يوم **20** ماي **2024**م، محاضرات منشورة في:

www.fshs.uit.ac.ma

30- جمال قنان، أعمال الدكتور جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المجلد **04**، منشورات وزارة المجاهدين، **2009**، ص**22**.

31- كريم ولد النبية، "مسألة تحقيب التاريخ عند المؤرخ سعد الله"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد**07**، ع**02**، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر **2016**م، ص**21**.

32- قنان، المرجع السابق، ص**19**.

33- ولد النبية، المرجع السابق، ص**26**.

34- نفسه.

35- مولود قرين، "الدعاية الألمانية - العثمانية والإجراءات الفرنسية في الجزائر سنوات الحرب الأولى (**1914**- **1918**م)"، مجلة المعيار، ع**60**، **2021**.

التـاريخ والذاكرة لدى المؤرخين الجزائريين
أبو القـاسم سعد الله ونـاصر الدين سعيدوني أنموذجـا

الأستـاذ: صمـاري بوبكر
جـامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

التاريخ مرآة الشعوب والذاكرة هي الشعاع العاكس لها، إذ تتماثل الذاكرة الجماعية التي تتشبع بالموروث المادي وفق التقعيد التاريخي للذاكرة (memorialization) ناقلا إياه من السردية الجماعية التي توصلنا للتاريخ في جدلية الذاكرة والتاريخ، الذي يدون عن طريق الكتابات التاريخية الهادفة لبناء الوعي التاريخي وبناء الذاكرة الجماعية للأمة وحمايتها من التزييف الذي شابها جراء الاطروحات الفرنسية المنتهجة لغاية تشويه تاريخ الجزائر، إذ شكل التاريخ والذاكرة أحد المواضيع الهامة في كتابات المؤرخين الجزائريين على رأسهم أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني اللذان ساهما من خلال أعمالهما التاريخية في كتابة التاريخ الجزائري والحفاظ على ذاكرة الأمة الجزائرية.

أولا: مفهوم الذاكرة والتاريخ

التاريخ أحد العلوم التي كتب لها أن تظل فتية، جراء الديناميكية التي يعرفها كعلم وكعملية مستمرة التفاعل بين الوقائع التاريخية والمؤرخ الذي يعمل ويسعى لربط الماضي بالحاضر والصلة بين مختلف الجوانب الحضارية والثقافية والاجتماعية للأمم بما توفره الوثائق والمصادر وما إلى ذلك ويعرفه ابن خلدون في مقدمته: "في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال،

وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل الكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق"[1]، فالتاريخ هو الدراسة العلمية لحوادث البشر في الزمن الماضي تطور خلال الفترات القديمة في محاولات للحضارات القديمة كاليونانية لحفظ أعمالهم المجيدة من النسيان مستخدمين مصطلح (istoria) الذي اشتقت منه في العصور الحديثة كلمة (Historia) وفقا للخلفيات الفلسفية التي ولدتها التراكمات البنائية لعملية المعرفة تمثل التاريخ كعلم قائم بذاته له مجاله ومنهجه ولما كان التاريخ تجربة المؤرخ وهو نتاج ذاتي للمؤرخ يقول أوكشوت: "التاريخ هو تجربة المؤرخ، إنه ليس من صنع أحد باستثناء المؤرخ وكتابة التاريخ هي الطريقة الوحيدة لصنعه".

1/ التاريخ من منظور أبو القاسم سعد الله

يرى أبو القاسم سعد الله أن الكتابة التاريخية عملية متجددة وكان اهتمام سعد الله بالكتابة التاريخية بارزا للعلن حيث ركز على كتابة التاريخ الجزائري الذي اعتبره ذاكرة الأمة وعاملا محددا لهويتها ويؤكد على أهمية توظيف التاريخ والإفادة منه لاستشراف المستقبل وهذا بالتسلح بالمناهج العلمية وكتابة التاريخ العلمي الدقيق لا التاريخ الاستعراضي أو تاريخ المناسبات وميز سعد الله بين التاريخ والتفريق بين الكتابة التاريخية (في تاريخ الثورة) وحصرها في ثلاثة أنواع هي:

(أ)- الكتابة الرسمية: هي الكتابة التي تتبناها الدولة وفق رؤيتها الفلسفية وأيديولوجيتها وتوجهها نحو المستقبل مثل ما فعلت روسيا

(ب)- الكتابة الشعبية: هي كتابة غير المختصين مثل ما كتبه بعض الادباء الفرنسيين من كتاب الرومانتيكية والليبيرالية التي خلدت الثورة وكشفت عن وجهة النظر الشعبية لها

(ج)- الكتابة العلمية: وهي البحث الاختصاصي المجرد القائم على دراسة الوثائق والحكم من خلالها على سير الأحداث التاريخية.

تساعد الظروف على تميز المؤرخ وتتمثل في المناخ الحر، الثقافة العالية، المحفزات وبطولات الشعب لكنها ظروف لم تتوفر في الجزائر وهذا راجع إلى فقدان المركزية في الحكم وظاهرة المساس برموز التاريخ التي عادة تكون دافعا لالتفاف الحاكم بالمحكوم وهو ما سماه سعد الله "التشرذم الثقافي" في ظل تعدد العاميات التي لم توحد اللغة التي يجب تدوين التاريخ بها سواء في العهد العثماني أو الفرنسي والنتيجة صار "الخوف من التاريخ"[2].

2/ التاريخ من منظور ناصر الدين سعيدوني

في كتاب أساسيات منهجية التاريخ يعرف سعيدوني التاريخ أنه "حوار بين الماضي والحاضر، حوار بين الأجيال وحوار بين الإنسان والزمان وحوار بين المؤرخ والقارئ باعتباره ذاكرة العصور التي تناقلتها عبر الأجيال... يمكن القول أنه ليس هناك شيء خارج مجال اهتمام التاريخ، وبهذا المعنى يشكل التاريخ أخطر محصول أنتجته كيمياء العقل البشري"[3]، كما يركز على أهمية العلوم المساعدة على كتابة التاريخ من علوم رافدة ومساعدة على فهم التاريخ وضبط أدواته، وأهمية امتلاك المؤرخ ناصية منهج البحث والالتزام بخطواته.

3/ الذاكرة

يعرفها وجيه كوثراني بأنها "اختزان أحداث وتجارب وعلاقات يمر بها الانسان في مراحل حياته ويستحضرها صورا في محطات معينة بناء على محفز ما"[4].

تقسم الذاكرة إلى مستويات، الذاكرة الفردية والذاكرة المستعارة التي تتميز بالتعددية بين جيل وجيل فعدة أجيال تميز (العمل التذكاري) أي الذاكرة الاجتماعية (المرتبطة بجماعة) والذاكرة الوطنية والتي نقصد بها في هاته الأوراق البحثية هي: الذاكرة الجمعية أو الجماعية التي يركز عليها "موريس هال بواش" في كتاب "الذاكرة الجمعية" (الجماعية) قائلا: "إن كل ذاكرة فردية هي وجهة نظر تطل على الذاكرة الجمعية"[5] وأكد أن

الجماعة حينما تتمثل ماضيها فإن ذاكرتها ليس تاريخها هو ما يحتل الصدارة حيث أن الأطر الاجتماعية التي تتصف بتعدد الدلالات توفر عوامل الزمن واللغة والمجال كلها أطر تسهل عملية تحديد مواقع الذاكرة في المجتمع فالناس الذين يعيشون عيشة مشتركة تتشكل لديهم الذاكرة المشتركة المرتبطة بتلك الأطر.

يرى أبو القاسم سعد اله ان الخطاب التاريخي له مستويان الفرد والأمة لذا دعا أبو القاسم سعد الله إلى المطالبة بإحياء الذاكرة الجماعية للأجيال الجزائرية حيث يقول: "أضم صوتي إلى صوتكم وأضع يدي في يدكم وفي يد كل من يعمل على نشر الوعي بالحقوق المنسية بين المواطنين حتى لا تحاسبنا الأجيال القادمة على أننا كنا جيلا بليدا أو غبيا، أو فاقدا للذاكرة التاريخية وما ضاع حق من ورائه طالب"[6].

4/ طبيعة العلاقة بين التاريخ والذاكرة

العلاقة بين الذاكرة التي تتسم بالسردية والمخيال والذاتية والتاريخ الذي يتسم بالنقد والتفسير والموضوعية هي علاقة تجانس وتناقض في آن واحد إذ أن الذاكرة يمكن لها أن تتذكر دون لجوئها للتاريخ والتاريخ يمكنه أن يقوم بعمله دون أن يلجأ للذاكرة، الذاكرة تبقى وجهة نظر لا يعنى بها إلا صاحبها هي التي حللها بول ريكور في كتاب "الذاكرة، التاريخ، النسيان" على أن تعد الذاكرة أساس وقاعدة التاريخ ولكن حضورها الدائم يمكن أن يجعل من التحليل التاريخي أمرا صعبا، كما أن غيابها في أحيان عدة يكون قاسيا على التاريخ وعليه فإن خطاب الذاكرة يؤثر ويوجه عمل التاريخ فالذاكرة والتاريخ يتفقان على حفظ الماضي والعناية به واستحضاره ويختلفان في طريقة ووسيلة استحضاره، يعبر عن هذا المفهوم العالم الفرنسي "تيودورمونو" بقوله: "إن التاريخ يساعدنا على فهم زماننا ولعل الصحيح في الأمر أن يقال بأن زماننا هو الذي يساعدنا على فهم التاريخ "فالذاكرة هي المحرك والتاريخ هو الطريق السالك"[7].

فعلاقة الذاكرة بالتاريخ تتجلى في تحديد وظيفة الذاكرة التي تتمثل في تنمية الشعور الوطني بالانتماء من خلال تجلياتها في منظومات القيم والرموز والبطولات... الخ وهذا ما دعا إليه أبو القاسم سعد الله من خلال مناقشته لظاهرة تحطيم الرموز التاريخية وفي تناوله لدراسة شخصية الأمير عبد القادر العسكرية والسياسية والاجتماعية والعلمية حيث تمكن من المساهمة في بناء الذاكرة الجماعية للمجتمع الجزائري.

ثانيا: أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني ومنهجهما في كتابة التاريخ

(أ)- أبو القاسم سعد الله

انتقل أبو القاسم سعد الله من الدراسات الأدبية إلى الدراسات التاريخية حيث هاجر إلى تونس بعمر أربع عشر سنة وتابع راسته بالزيتونة، حصل على الشهادة الأهلية سنة **1951**م وبعدها هاجر إلى مصر وتحصل على شهادة ليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية عام **1959**م، ثم هاجر إلى أمريكا حيث كانت نقطة تحول في حياته العلمية إذ تحصل على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر عام **1965**م بأطروحة "الحركة الوطنية الجزائرية". يقول الأستاذ ناصر الدين سعيدوني عن هذا التغيير في مسار أبو القاسم سعد الله: "... إذ سوف يجد سعد الله نفسه بفعل ظروف الدراسة الجامعية في جامعة مينيسوتا، بتأثير المد التحرري والزخم الثوري الذي افرزته الثورة الجزائرية يتحول من معالجة الادب إلى بحث قضايا التاريخ فكانت دراسته حول الحركة الوطنية الجزائرية منذ **1900**م"[8].

- منهجه في كتابة التاريخ

تميزت الكتابة التاريخية عند أبو القاسم سعد الله بالجدية والصرامة العلمية[9] والدقة في التنقيب على المصادر التاريخية وتحقيقها ونقدها والاهتمام بالفهارس واعتماده على منهج التاريخ المكثف الذي وصل من خلاله إلى إثبات الحقائق التاريخية، متأثرا بالفلسفة المثالية الهيغلية وهذا

راجع إلى تكوينه العلمي الأكاديمي، كان سعد الله حريصا على وحدة الوطن الجزائري ففي مؤلفه "تاريخ الحركة الوطنية" تجلت الموضوعية في استرداد الذاكرة التاريخية للنخبة الجزائرية وتياراتها وتتبع أعلامها وإنجازاتها وابتعد عن الضغوط النفسية عند الكتابة، حيث كتب تاريخ الحركة الوطنية وهو بأمريكا وقارن بين المصادر التي عاصرت الحدث متجنبا كل أشكال الذاتية كما شهدت كتاباته تنوعا في المواضيع والبحوث إذ يتناول التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والملاحظ في كتاباته التحقيب الزمني والشمولية التاريخية إذ نجد تكامله في الكتابة بين العصور والإلمام بالأحداث في المغرب.

يقول ناصر الدين سعيدوني في هذا الصدد: "فسعد الله شأن كل أديب أصيل وباحث متقن لعمله يشعر قبل أن يفكر ويدقق قبل أن يحلل فضلا على أن الروافد الثقافية التي نهل منها وحدود الوثائق التاريخية التي استعملها والواقعية التي حاول الارتباط بها في معالجة المسائل وعدم اطمئنانه للفرضيات، كلها عوامل حدت من تكوين النظرة الفلسفية الكفيلة بإعطاء نسق للأحداث يسمح بتشكل المفهوم التاريخي الذي يربط بين المواقف والآراء الشخصية لعطاء سعد الله الادبي ومساهمته التاريخية".

تجلت نظرة ابو القاسم سعد الله لتعليم التاريخ باقتراحه أن تكون كتابة وتأليف الكتب المدرسية الجديدة التي تحبب التاريخ للناشئة وتحبب لهم الوطن والانتماء الحضاري للإسلام والعروبة من خلال المواقف والبطولات وحب الدين واللغة[10].

(ب)- ناصر الدين سعيدوني

تشابه المسار الدراسي لناصر الدين سعيدوني مع مسار أبو القاسم سعد الله حيث درس مرحلته الابتدائية في المنظومة التي أوجدتها جمعية العلماء المسلمين "التعليم الحر" ولم يلتحق بالمدرسة الفرنسية، واصل دراسته الثانوية بمعهد "عبد الحميد بن باديس" والمدرسة الكتانية، عمل كمدرس في عنابة وبجاية وبعد الاستقلال أكمل دراسته في الجزائر وتحصل

على شهادات عليا في التاريخ والجغرافيا عام **1966**م وشهادة ليسانس في الجغرافيا عام **1971**م وشهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ الحديث والمعاصر عام **1974**م، بعدها نال شهادة دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة اكس ان بروفانس الفرنسية عام **1988**م[11].

- ناصر الدين سعيدوني ومنهجه في كتابة التاريخ

تميزت كتاباته بالدقة والبحث في المواد الأرشيفية والمصادر الأولية، بهدف الوصول إلى الموضوعية والحقيقة يقول بهذا الشأن: "إن المنهجية هي الوسيلة العلمية التي تمكن دارس التاريخ من اكتساب المهارة في الحدث التاريخي وتجعله لا يقنع بالسرد بل يطمح الى الجمع بين التطور الادبي والنظرة الموضوعية والتناول العلمي في سعيه لتكوين صورة معبرة عن الماضي"[12]، حيث كتب التاريخ بنظرة علمية تحليلية مبرزا دور العلوم المساعدة لعلم التاريخ فلما كان بصدد دراسة الجانب الاقتصادي كان لابد من اللجوء إلى الدراسات في هذا الجانب، مما يتطلب أدوات بحثية توفرها العلوم المساعدة لعلم التاريخ وقد حددها في كتابه "أساسيات منهجية التاريخ العلوم المساعدة للتاريخ" وهي ثلاثة: العلوم الرافدة للتاريخ والعلوم المفسرة للتاريخ والمساعدة على فهم التاريخ، ففي كتابه "النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (**1792**/**1830**) "انتهج أسلوبا بسيطا في نقد شامل للواقع المالي الذي كانت تعيشه الجزائر خلال تلك الفترة وقدم هذه الأطروحة ردا على بعض الفرنسيين الذين حاولوا إنكار وجود أي كيان سياسي جزائري.

ثالثا: التاريخ الوطني من منظور أبي القاسم سعد الله وناصر سعيدوني

(أ)- الحقبة العثمانية

يقف كل من المؤرخين وقفة المحلل للعهد العثماني بالجزائر حيث نجد أن أبا القاسم سعد الله من خلال كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" يتساءل حول طبيعة وجدلية الوجود العثماني بالجزائر يقول:

"هل كانوا غزاة أم منقذين؟" ليشخص لهذا الوجود من عدة جوانب تباينت فيها نظرته بين "النعمة" و"النقمة " وحضي الجانب الثقافي بأكبر قدر من الاهتمام فيما يؤكد سعد الله على أن سمة "الجمود الثقافي كانت هي البارزة على العهد العثماني واصفا حالة الانحطاط والتخلف بقوله: "كانوا في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة، كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط"[13]، إذ أن الحكام نظروا إلى الجزائريين نظرة الغالب للمغلوب[14].

اتخذ ناصر الدين سعيدوني موقفا وسطا بين التوجهين المعادي والمناصر معتبرا العهد العثماني خاتمة للعهد الإسلامي وبداية للاستعمار الفرنسي، إذ يرى أن الدراسات التاريخية المتعلقة بالعهد العثماني بالجزائر تأثرت بالميول الثقافية والرؤى الفكرية والمواقف الأيديولوجية والقناعات الذاتية، كما رصد واقع الدراسات التاريخية العثمانية التي غلب عليها خلفية الذاكرة التاريخية، إذ يعتبر سعيدوني أن الفترة العثمانية في تاريخ الجزائر تعتبر في الذاكرة التاريخية حيزا زمنيا (**1517-1813**م) أكسب الجزائر خصوصيات الكيان الجزائري من حيث النظام السياسي والعلاقات الدولية[15] يتفق كل من سعيدوني وسعد الله من خلال الخطاب التاريخي في كتاباتهما حول الفترة العثمانية على أنها تحتاج إلى الدراسة العلمية المعمقة في ظل غياب المبادرة العلمية الأكاديمية لدراسة هذه الحقبة.

(ب)- المسألة البربرية

من خلال تتبع كتابات أبي القاسم سعد الله بخصوص "المسالة البربرية" فإننا نجد أن موقفه اتجاهها كان موقفا بعيد النظر في تأثيرها على الهوية الوطنية الجزائرية يقول: "لكل هذه العوامل في نظري أثار سلبية على فكرة الوحدة الوطنية والمغربية والإسلامية، ذلك أنه بقدر ما كانت الجزائر تبتعد عن هذه الفكرة بقدر ما كان أعداؤها يستغلون ذلك الشعور السلبي لأنفسهم، فكانت الاكاديمية البربرية بفرنسا تبث سمومها وسط المهاجرين والطلبة النازحين وكانت وسائلها تصل أيضا الى الجزائر بطريقة مباشرة وغير مباشرة"[16] ويرى أن القضية البربرية تم استغلالها من طرف

الاستعمار الفرنسي الذي وظف العنصر البربري وجاء بنظرية أصل البربر الذي تعيده الدراسات الفرنسية الى الأصل الآري وليس السامي وتكسبهم صفات أقرب منها للفرنسية والمسيحية وهنا حسب سعد الله تجاهل الفرنسيون الروايات الشفوية كمصدر لمعرفة الأنساب للبربر أنفسهم والعرب يقول: "و تجاهلوا الروايات الشفهية التي يرويها البربر أنفسهم"[17] بينما يرى ناصر الدين سعيدوني أن المسالة البربرية قد فرضت نفسها من خلال الظروف التاريخية والإطار التاريخي للأحداث التي جاءت في تلك الحقبة، إذ تعد المطالب البربرية احدى مكونات الشخصية الجزائرية وتعبر عن قيم وطنية لا تتعارض مع الهوية العربية الإسلامية للجزائر وقدم مجموعة من مميزات المسالة البربرية واضعا إياها في سياقها التاريخي[18] وهي:

- المسالة البربرية جزء من المشروع الاستعماري الذي خضعت له الجزائر طيلة **132** سنة (**1830-1962**م) وأن الحركة البربرية وليس كل البربر تعتبر شريحة من هذه الفئة المتشبعة بالثقافة الغربية والتي تعاني من الاغتراب ونفى كونها صدى حقيقي للضمير البربري كما ادعى الفرنسي ميشال جوبير.

- اعتبرها من النتائج الخطيرة التي تسببت فيها إهمال الحركة الوطنية للجانب الثقافي والمفاهيمي في مشروعها الوطني.

- جاءت كرد فعل على ظاهرة التعريب التي جاءت بها الجزائر في محاولة تحقيق الاستقلال الثقافي واكتساب المناعة الثقافية وتعبير عن تأزم الوضع الثقافي الاجتماعي القائم على الازدواجية الثقافية والثنائية الاجتماعية بين متفرنسين ومعربين و تعدد لغوي.

- هي تعبير عن الصراع الأيديولوجي والثقافي الذي تعيشه الجزائر من الاستقلال وإلى اليوم كنشاط ظرفي ناتج عن قناعات ثقافية ومواقف أيديولوجية لن تلبث حركة التاريخ ان تستوعبه باعتباره حصيلة لتطورات التاريخ.

(ج)- كتابة تاريخ الثورة الجزائرية

- كتابة تاريخ الثورة من منظور أبو القاسم سعد الله

كانت الثورة الجزائرية دافعا لسعد الله إلى كتابة التاريخ الجزائري "أما ثورة الجزائر فقد أرغمتني على البحث وتطبيق التاريخ، أي جعلتني أدرس تاريخ بلادي الذي لم أدرسه من قبل في أي مدرسة أو جامعة... وأتحرق إلى معرفة إنجازات الأجداد والآباء وأقارن بين ما قدموه..." لكنه تجنب الغوص في كتابة تاريخ الثورة قائلا في تصريح له لجريدة الحقائق الأسبوعية بقوله: "... إن التاريخ يجب أن يكتب من مسافة زمنية معقولة أي بعد انقراض الجيل الذي صنع أحداثه وكلما ابتعدت المسافة كلما توفر التفسير الموضوعي ومعالجة الأحداث ببرودة علمية أما اذا اقتربت المسافة فان حرارة العاطفة هي التي ستطغى وتعطي للأحداث تفسيرا غير موضوعي يكون خاضعا لنزوات الأشخاص الذين صنعوا الأحداث ومن ثم كنت أعتقد أن تاريخ الثورة غير جاهز لتناوله في الكتابات التاريخية الأكاديمية"[19]، وتفسير ذلك:

- تجنب الذاتية: إذ اعتبر نفسه معايشا للثورة وستبرز في كتابته لها آراؤه الشخصية وميولاته.

- العامل الزمني: يرى أن التاريخ لابد أن يكتب من مسافة معقولة بعد زوال الجيل الذي صنع الحدث للوصول إلى الموضوعية المطلقة والتفسير العلمي للأحداث التاريخية.

- عدم توفر الوثائق الخاصة بتاريخ الثورة: صعوبة الاطلاع على الوثائق الخاصة بتاريخ الثورة بالأرشيف وأن الشهادات الشفوية تعتريها الذاتية.

وكان لدى أبو القاسم سعد الله نظرة استشرافية لتاريخ الثورة إذ طرح التساؤل حول من سيستلم المشعل في القرن الواحد والعشرون: ورثة جبهة التحرير الأصلية أم جيل الشباب الجديد؟ وفي منظوره يمكن القيام بأمرين الأولى جمع مادة تاريخ الثورة من مختلف المصادر (الشفوية والمكتوبة) أما الثانية الشروع في وضع "تاريخ شعبي" للثورة الجزائرية

يحمل إلى القارئ الحقائق الكبرى للثورة لكن في قالب عاطفي أو سياسي وليس في قالب علمي جاف.

- كتابة تاريخ الثورة الجزائرية من منظور ناصر الدين سعيدوني

يطرح سعيدوني ثلاث تساؤلات بشأن تاريخ الثورة الجزائرية:

- أين نضع ثورة أول نوفمبر في السياق العام للتاريخ الجزائري؟ هل أن ثورة أول نوفمبر حادث عرضي أم أنها تطور حتمي يندرج ضمن مفهوم حضاري شامل؟ ما هي العبر والدروس التي يمكن أن نستخلصها من أحداث ثورة نوفمبر أو نستنتجها من الظروف التي أحاطت بها؟[20]

وقد أجاب عن هذه التساؤلات من خلال تحليله للسياق التاريخي ووضعها في منظور حضاري شامل انطلاقا من أول منعرج وهو الفتح الإسلامي الذي اوجدا المقومات الحضارية (العقيدة الموحدة وهي العقيدة الإسلامية، اللسان الموحد وهو العربية، الانتماء الحضارة معينة وهي الحضارة العربية الإسلامية) أما المنعرج الثاني فهو حركة الجهاد البحري في غرب المتوسط الذي منح الجزائر أسس دولة ذات مقومات سياسية ومناعة وطنية ضد الخطر الأجنبي (المخططات الصليبية)، فكانت الثورة هي الحادث الذي بلور تلك المقومات وأخرجها من منظورها النظري إلى المنظور العملي متجسدة في دولة وشعب فكانت الثورة حتمية تاريخية اختار من خلالها الشعب بوعي وإصرار وهو ما تتميز به الشعوب الحية والأصيلة المحصنة بالقيم الحضارية والمدعمة بالذاكرة التاريخية، والأهم من هذا هو ما يمكننا أن نستخلصه من الثورة وهذا ما يفرض علينا تناول الوقائع بالتركيز على طبيعة الاحداث وأسبابها (المباشرة والبعيدة) والابتعاد عن تناولها من منطلق الأيديولوجية أو منطلق مدارس فكرية معينة، يقول: من الضروري اليوم المحافظة على روح نوفمبر، روح التحفز في الامة، لأنها هي الشرط الأساسي للنجاح في عملية البناء الحضاري ولأنها الحالة النفسية الكفيلة بتجنيد الشعب وجعله يتخطى الحواجز ويقطع المراحل لبلوغ

الهدف ويحقق الغاية من الاستقلال"[21]. من خلال ما تم عرضه في الورقة البحثية يمكننا القول:

- جدلية التاريخ والذاكرة في التأصيل المفاهيمي للذاكرة لأي أمة يعود بنا إلى الذاكرة الجماعية التي تكمن في وظيفتها في بناء الوعي الوطني التاريخي وترسيخ قيمها وأبعادها الحضارية والثقافية.

- عمل كل من أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني على كتابة التاريخ الجزائري وتفعيل الذاكرة الوطنية الجزائرية من خلال مختلف كتاباتهما وأعمالهما.

- تميزت الكتابة التاريخية عند أبو القاسم سعد الله بالصرامة والجدية والموضوعية المطلقة، مجسدا صفات المؤرخ الحقيقي.

- أكد ناصر الدين سعيدوني على أهمية العلوم المساعدة في الكتابة التاريخية.

- دعا كل من أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني إلى دراسة الحقبة العثمانية دراسة متخصصة متعمقة أكثر، من أجل الكشف عن حيثيات هذه الفترة الزمنية التي ما زالت بحاجة إلى دراسات مجهرية لمعرفة حقائق تاريخية أعمق.

- وضع ناصر الدين سعيدوني المسألة البربرية في سياقها التاريخي وحدد الأطر التاريخية التي فرضتها الظروف معتبرا إياها صراعا أيديولوجيا أفرزه الاستعمار الفرنسي.

- كانت النظرة الاستشرافية هي النزعة الغالبة على موقف سعد الله الذي امتنع عن كتابة تاريخ الثورة الجزائرية الذي اعتبره لم ينضج بعد لكتابته في ظل تواجد النظام الذي صنع أحداثه، بينما اكتفى ناصر الدين سعيدوني باستخلاص العبر والدروس من الظروف التي أحاطت بالثورة.

- المتتبع لأعمال أبو القاسم سعد الله وناصر الدين سعيدوني والمحلل لمختلف مواقفهما ونظرتهما للتاريخ والذاكرة والمتأمل لتصوراتهما حول

تاريخ الجزائر والشعب الجزائري يجد الكثير من نقاط الاتفاق والالتقاء حول العديد من القضايا.

- قائمة المراجع:

1/ ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ط**2**، دار المعارف، بيروت، **2005**م.

2/ سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج**1**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1996**م.

3/ سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج**4**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1996**م.

4/ سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج**1**، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2005**م.

5/سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج**2**، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2005**م.

6/ سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج**6**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2005**م.

7/ سعد الله أبو القاسم: أفكار جامحة، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2005**م.

8/ سعيدوني ناصر الدين: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2000**م.

9/ سعيدوني ناصر الدين: أبو القاسم سعد الله كاتبا ومفكرا دراسات وشهادات مهداة إلى أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط**1**، بيروت، **2000**م.

10/ سعيدوني ناصر الدين: واقع وآفاق الدراسات العثمانية بالجزائر عرض تعريفي ونظرة تقييمية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد **07**، ديسمبر **2012**م.

11/ سعيدوني ناصر الدين: المسألة البربرية في الجزائر دراسة في الحدود الاثنية للمسألة المغاربية، مجلة عالم الفكر، المجلد **32**، العدد **04**، أبريل/يوليو **2004**م.

12/ سعيدوني ناصر الدين: نظرة في البعد التاريخي لثورة أول نوفمبر.

13/ سهيلة أحمد سرير: إسهامات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي خلال العهد العثماني، مجلة تاريخ العلوم، المجلد **5**، العدد **13**، شوال، السنة السادسة.

14/ موريس هال بواش: الذاكرة الجمعية، ترجمة نسرين الزهر، بين المواطن للنشر والتوزيع، د.ط، دمشق، بيروت.

15/ لبوخ بلقاسم: سعد الله ورؤيته في كتابة تاريخ الثورة:

www.arrabiaa.net

16/ بليل محمد: الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة والذاتية والحقيقة التاريخية، مجلة عصور الجديدة، العدد **13**، وهران، الجزائر، **2013**.

17/ معاوية سعيدوني: الأستاذ د. ناصر الدين سعيدوني كما أعرفه ملامح شخصيته ونظرته إلى الحياة، أعمال مهداة إلى المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مكتبة الرشاد للطبع والنشر، الجزائر، **2014**م.

18/ الكتاب الجماعي:

Bedarida; François; Histoire et le métiers d'historien enFrance **1945**/**1995**, Paris, **1955.**

Michael Oakeshoott: Experiences and its Modes; the university press; **193319**. http: //kalima,net/home/admin/rgphp(&**14**)**20**

- الهوامش

1- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ط**2**، دار مكتبة المعارف، بيروت، **2005** م، ص**15**، **16**.

2- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج**4**، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1996**م، ص**8-10**.

3- ناصر الدين سعيدوني: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، **2000**م، ص**13**.3

4- وجيه كوثراني: استحضار الذاكرة التاريخية وتشكيل الهوية، المستقبل، العدد **2393**، ص**20**.

5- موريس هال بواش: الذاكرة الجمعية، ترجمة نسرين الزهر، بيت المواطن للنشر والتوزيع، د ط، دمشق، بيروت، **2016**م، ص**6**، **7**.

6- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، "من أجل أحفادنا"، ص**21**.

7- ينظر في الكتاب الجماعي:

Bedarida; François: Histoire et le metiers d'historien en France **1945**/ **1995**, Paris, **1995**.

4 ـ ناصر الدين سعيدوني: أبو القاسم سعد الله كاتبا ومفكرا، دراسات وشهادات مهداة إلى أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط**1**، بيروت، **2000**م، ص**499**، **500**.

9- محمد بليل الكتابة التاريخية عند شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله بين العاطفة والذاتية والحقيقة التاريخية، مجلة عصور الجديدة، العدد **13**، وهران، **2013**م، ص**286**.

10- http://kalima,net/home/admin/php &(**14**)

11- سهيلة أحمد سرير: اسهامات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي خلال العهد العثماني، تاريخ العلوم، المجلد **5**، العدد **13**، السنة السادسة، ص**390**.

12- معاوية سعيدوني: الأستاذ د. ناصر الدين سعيدوني كما أعرفه ملامح شخصيته ونظرته إلى الحياة، أعمال مهداة إلى المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر، مكتبة الرشاد للطبع والنشر، الجزائر، **2014**م، ص**39**.

13- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج**1**، ج**2**، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2005**م، ص**14**.

14- نفسه، ص**140**.

15- ناصر الدين سعيدوني: واقع وآفاق الدراسات العثمانية بالجزائر عرض تعريفي ونظرة تقييمية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد **07**، ديسمبر **2012**م، ص15.

16- أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2005**م، ص**10**.

17- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج**6**، ط**2**، دار الغرب الإسلامي، **2005**م، ص**200**، **304**.

18- ناصر الدين سعيدوني: المسالة البربرية في الجزائر، دراسة للحدود الاثنية للمسالة المغاربية، مجلة عالم الفكر، المجلد **32**، العدد **4**، أبريل يوليو **2004**م، ص**185**، **186**.

19- بلقاسم لبوخ: أبو القاسم سعد الله ورؤيته في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية.

20- ناصر الدين سعيدوني: نظرة في البعد التاريخي لثورة أول نوفمبر، ص**195**.

21- المرجع نفسه، ص**205**.

الذاكرة الوطنية والذاكرة المحلية، جدلية التكـامل والتعـارض

الأستـاذ: حـاج عيسى إليـاس
المدرسة العليـا للأسـاتذة - الأغواط

- المقدمة

يحظى موضوع الذاكرة باهتمام متزايد، وربما طغى على مفاهيم تاريخية بحتة، حتّى التبس على بعض الباحثين التمييز بين الذاكرة والتاريخ، فانساق البعض منهم واعتبروهم مفهوما واحداً، وهو خلاف ذلك. ومن المفاهيم المبسّطة حول الذاكرة أنها تهدف إلى حفظ الهوية، والتي هي مجموعة خصائص مشتركة متشابهة بين أفراد مجموعة بشرية تجعلها تختلف عن مجموعة أخرى. وإذا قلنا أن الذاكرة هي لحفظ الهوية، فهل الحديث عن ذاكرة وطنية وذاكرة محلية يقضي القول بهوية وطنية وهوية محلية، أم أنه لا تعارض بينهما؛ فهناك من الباحثين من يرى أن الذاكرة الوطنية أنها تراكم للذاكرات المحلية: التعبير عن الذاكرة الوطنية هو تجميع لنماذج محلية. وفي المحطات الفارقة في تاريخ الوطن، تسهم النماذج المحلية في خدمة الفكرة الجامعة (الفكرة الوطنية).

ممّا سبق نطرح مجموعة من التساؤلات، منها ما هو متعلق بمفهوم الذاكرة نفسه ومساحة التداخل بينها وبين التاريخ، ثم تساؤل آخر عن خصوصية الذاكرة المحلية ومرتكزاتها وحدودها، ونقدّر أن خدمة الذاكرة يكون من خلال مستويات متنوعة، أبرزها مستوى التشريع وتدشين الهياكل: الجامعات، المدارس، مراكز البحث، المعاهد، المتاحف. ثمّ مستوى المحتوى والتأثير. كلّ هذا تؤطّره إرادة سياسية لحفظ الذاكرة.

نهدف من خلال هذه الورقة إلى محاولة فهم وضبط مفاهيم: الذاكرة الوطنية، الذاكرة المحلية في الحالة الجزائرية، ويبدو لنا أنّ التراكمات العلمية حول موضوع الذاكرة الجزائرية غير كافية.

وهي نقيصة في حقّ وطن صنع محطّات تاريخية رائعة، إذ المعروف أنّ بداية التفكير في الذاكرة كموضوع تاريخي انطلق منذ سنة **1978**، السنة التي أصدر فيها المؤرخ الفرنسي بيير نورا (Pierre Nora)، مبحثا نظريا بعنوان: "الذاكرة الجماعية"، ضمن الكتاب الجماعي: "التاريخ الجديد"، إشراف جاك لوغوف (Jacques Le Goff)[1].

- الذاكرة والتاريخ: أبعاد المصطلح

يتساءل البعض عن مفهوم الذاكرة، ويفترض البعض الآخر أن الذاكرة والتاريخ مفهومان مترادفان وهما ليسا كذلك، فالتاريخ هو بحث أكاديمي من حيث المبدأ، والذاكرة هي وظيفة اجتماعية من خلال استنطاق تلك المعرفة التاريخية، بهدف تلقينها للأجيال في المدارس وغيرها من مؤسّسات الدولة.[2] ومن المفاهيم المبسّطة حول هوامش الاتصال والانفصال بين الذاكرة والتاريخ، ما عبّر عنه أحد الباحثين من أنّ التاريخ هو دراسة الحدث في حين أنّ الذاكرة تهتم بذكرى ذلك الحدث، وقد ظهرت أبحاث تسعى للجمع بين الحدث وذكراه، منها دراسة عن الحالة الجزائرية من وجهة نظر فرنسية، للباحث الفرنسي جان بيار ريو (Jean-Pierre Rioux)، بعنوان: (la Guerre d'Algérie et les Français)[3].

والذاكرة الجماعية على حدّ قول أحد الباحثين هي استراتيجية استخدام الماضي[4]، فإذا كان البحث التاريخي هو عملية استرجاع للتجارب والأحداث الماضية، والعمل على تفسيرها، فإنّ عمل الذاكرة هي القدرة على التمثل الانتقائي لهذا الماضي قصد إعادة بناء وإعادة هيكلة الهوية الفردية والجماعية[5]. والانتقاء يكون للأحداث والشخصيات الكبرى والمؤثرة، بتعبير هنري روسو[6].

فالذاكرة إذاً هي استخدام إيجابي في المجمل، بشرط أن يكون استثمار في الذاكرة قبل مرحلة النسيان وليس بعده[7]، حيث يتحول الجهد حينها إلى محاولة ترميم للذاكرة.

الذاكرات هي التي تؤسّس وتصنع الهويات، والذاكرات تتغذّى من التاريخ الذي قد لا يكون دقيقا بالمفهوم العلمي للبحث، وهو مهدّد باختراق الخيال والأسطورة والقصّة الشعبية. ونستشعر من خلال المقرّرات المدرسية مثلاً غلبة الوظيفة الاجتماعية للتاريخ على حساب الوظيفة الفكرية النقدية، بحيث يراد له تلقين الذاكرة الجمعية وإنماء الهوية الوطنية. وإذا سلّمنا جدلاً بمشروعية ذلك في المقرّرات المدرسية، فإنّ السؤال الملحّ هو ما مدى استفادة المقرّرات المدرسية من تراكمات تجربة البحث التاريخي في الجزائر، منذ الاستقلال.

ومن خلال مخرجات المقررات التاريخية في مختلف المؤسّسات التعليمية، حقّ لنا الانتباه إلى شبهات، من قبيل: الذاكرة المهيمنة، الذاكرة المقصية، الذاكرة المبتورة، ذاكرة المركز، ذاكرة الهامش. والحذر من وجود مثل هذه المفاهيم والعمل على تقزيمها لصالح إشراك الذاكرات الجماعية هو أمر ضروري، تقتضيه شعارات مراحل ما بعد الاستقلال (الوئام، المصالحة، مناطق الظلّ، الجزائر العميقة، الجزائر الجديدة) ومن مقتضيات الحذر، التساؤل عن المحطّات الحرجة من تاريخ الوطن، وهي المحطّات التي قد يحكم عليها مسبقاً بالسلب، فلا تُستدعى إلاّ في نطاق بحث تاريخي ضيّق[8].

- مقتضيات التعامل مع الذاكرة المحلية

إذا كان الدرس الأول في التاريخ هو احترام السياق التاريخي، فإنّ الذاكرة هي الأخرى تطلب نفس المبدأ لتحقيق "عدالة الذاكرة"، ومن مقتضيات العدالة، التعامل مع الذاكرة المحلية.

- مرتكزات الذاكرة المحلية

✓ يمكن معالجة ما يسمى بالتاريخ المحلي، فيكتب أهل مختلف المناطق تواريخهم ويسجلون آثارهم ويحيون أبطالهم وعلماءهم، ويمجّدون

آدابهم وفنونهم، على أن يصب الجميع في نهر واحد هو نهر الوطنية الجزائرية. واستشهد أبو القاسم سعد الله بدول قوية تهتم بالتاريخ المحلي كالولايات المتحدة، لكن هذا الاهتمام لا يطغى أبدا على التاريخ القومي الأمريكي، بل يظلّ جزءاً من كل وليس هو الكل[9]. وكأنّنا بشيخ المؤرخين يحمل شعار: نعم للتاريخ الجهوي، لا لجهوية التاريخ

- ✓ **المحلية النسبية**

- ✓ يليق بنا أن نبدأ بطرح تساؤل عن حدود المحلي، وخصائصه وطابعه، وهي أمور يستمدها من ذاكرته، والافتراض المبدئي أنّ الذاكرة المحلية في عهد الدولة الوطنية نسبية من حيث محدودية مصطلح "محلي"، على خلاف حالات تكون فيها الجهة هي وطن قائم بذاته أو مدينة هي الدولة، كما كانت بعض مدن العصر الوسيط أو المدن الإيطالية الجمهورية، هي دول في نفس الوقت، عندها يمكن لنا التساؤل إن كان بالإمكان القول إن الذاكرة المحلية تعادل الذاكرة الوطنية.

- ✓ أمّا في عصر الدولة الوطنية فإنّ الذاكرة المحلية تتغذى من الذاكرة الوطنية، ويجوز العكس[10]. لذا كان من الطبيعي أن يسهم فيها أعلام ومؤثرات من خارج المجال المحلي. تجلّى ذلك بوضوح في الثورة التحريرية، وكان قادة الثورة حينها على وعي كبير بطرق المزج بين المحلي والوطني، وممّا نقل عن المجاهد العقيد لطفي قوله لرفقائه أنه إذا كانت الشهادة في بشار سيكون قبري وقبر رفقائي دليل على أن بشار أرض جزائرية. من هذا المنطلق يصبح من الطبيعي أن تتبنّى الجماعات المحلية رموزاً وطنية ضمن ذاكرتها المحلية، وهو نموذج سارت فيه دول لها تجارب راسخة في المدنية، مثل فنلندا[11]. ويكون التبنّي هنا على مستوى التذكّر بتخليد الأسماء في لافتات الشوارع والساحات والمؤسّسات، وهنا نتساءل مرّة أخرى إن كانت هذه الرموز تعيش حقّا في قلوب وعقول الناس؟

✓ الذاكرة الصحراوية "نموذجاً"

✓ شكّلت الصحراء محطّة حسّاسة في مسار اتفاقيات ايفيان، فبينما كان الجانب الفرنسي يمنّي النفس أن يشمل تطبيق تقرير المصير المناطق الشمالية، بدعوى أن الرابط الوحيد بين الجزائر والصحراء تشكّله السيادة الفرنسية، كان ردّ الوفد الجزائري حاسماً حول وحدة الأرض. وتكرّست إحدى اجتماعات ايفيان (**31** ماي) حول الأطروحة الفرنسية وادعاءاتها حول الصحراء، وارتكز الادّعاء على مراحل بسط السيطرة الاستعمارية على الصحراء بما فيها الحملات الاستكشافية، وأوحى الوفد الفرنسي أن الصحراء لم تكن تابعة لكيانٍ قبل **1830**م. ولا يخفى طبعاً أنّ من دوافع الأطروحة الاستعمارية حول الصحراء، إغراءات مصادر الطاقة المكتشفة حينها في الصحراء الجزائرية، البترول في حاسي مسعود والغاز في حاسي الرمل، وبداية الاستثمارات الفرنسية في المنطقة.

جاء الردّ الجزائري حول قضية الصحراء في **2** و**3** جوان عبر مداخلات طويلة من علي بومنجل وسعد دحلب، في أنّ الصحراء لا يمكن أن تنفصل عن الجزائر، ومن النقاط التي ركّز عليها الوفد الجزائري: تداخل السكان قبل وبعد **1830**، والنضالات المشتركة ضد الاستعمار، وصولاً إلى واقع الثورة الجزائرية التي لم تنته حينها[12]. وهنا تظهر قيمة وحدة الثورة الجزائرية بين الشمال والجنوب، ونجحت في ذلك بشكل كبير، من خلال استشهاد مجاهدين من المدن الشمالية في الصحراء، ومشاركة مجاهدين من الصحراء في المدن الشمالية، ويجسّد تاريخ الثورة هذا التداخل والتضامن الذي بلغ مداه من خلال استشهاد جزائريين في أماكن بعيدة عن مسقط رأسهم، وتكمن عبقرية الثورة أنها جسّدت هذا المبدأ على جميع فئات المجاهدين، سواء كانوا من عموم المسبّلين والمجاهدين أو كانوا من قيادات الثورة، أو كانوا من الأطباء والممرضين، وهذا البروفيسور مصطفى خياطي يذكر في كتابه "المآزر البيضاء خلال الثورة التحريرية" نماذج من أطباء استشهدوا في ساحات الشرف، منهم الطبيبان قضّي بكير وترشين إبراهيم، وهما من مواليد بني يسقن بغرداية، الأول استشهد بجبال الوارسنيس في الولاية

الرابعة المنطقة الثالثة سنة **1960**م، والثاني استشهد في نفس الولاية في معركة قرب موزاية بالمتيجة سنة **1961**م[13].

كلّها مؤشرات قوية ساهمت في تحقيق وحدة الشعور بين افراد المجتمع الجزائري. ولم يغفل الوفد الجزائري الاستثمار في الأبعاد العلمية والأكاديمية التي تخدم وحدة الجزائر، بالعودة الى التاريخ القديم والوسيط.

- ✓ كل منطقة لها مساهمة في تاريخ الجزائر، وكلها تصبّ في خدمة التاريخ الوطني، ومساهمة الصحراء معتبرة ومؤثرة، ففي الصحراء آثار علمية وفكرية وعمرانية ودينية، وفي الصحراء كتاتيب ومساجد وأربطة، في الصحراء تتجسّد ثنائية الدين الإسلامي واللغة العربية بقوّة، حتّى لدى الجماعات ذات اللسان الزناتي. أهل الصحراء أوصلوا الدين واللغة إلى بلاد جنوب الصحراء. في الصحراء مرجعيات لها امتدادات بعيدة في بلاد الساحل. في الصحراء قلاع علم وفكر وفيها مكتبات وخزائن للمخطوطات، تنتظر الكثير من التعامل الاحترافي
- ✓ تعدّ مساهمة الصحراء الإيجابية مفخرة للجزائر وتعود على الجزائر بالنفع، أو هكذا يجب أن يكون على حدّ قول أبي القاسم سعد الله[14].

- المرتكزات والمشترك بين الذاكرات المحلية

من المشتغلين بموضوع الذاكرة من يفرّق بين الذاكرة الجماعية التي قد تختصّ بجماعة معيّنة وسط المجتمع، وبين الذاكرة الجمعية التي هي ذاكرة مشتركة بين مختلف مكونات المجتمع[15]. والمجتمع الجزائري يزخر بتنوع ثقافي، كما ينعم بمكتسبات من الماضي تشمل الدين واللغة والجغرافيا.

- ✓ وحدة الجغرافيا: ساهم الاستعمار الفرنسي من خلال استصدار القوانين التي تتيح نقل الملكية من الجزائريين الى المستوطنين وخاصة قانون **1873** المشؤوم الذي تلا ثورة المقراني. زادت تلك القوانين في تمتين علاقة الجزائري بأرضه، بل هناك من الباحثين من أولى لعامل الأرض الدور الأكبر في اندلاع ثورات القرن التاسع عشر، وساهم انتشار سياسة انتزاع الأراضي في

مناطق متفرقة من الجزائر، في توحيد الشعور بالانتماء[16]. وتجسّد بالفعل الشعور بالانتماء في نموذج مشروع الأمير عبد القادر قبل **1847**م، حين سعى إلى إشراك أكبر عدد من الجزائريين في ثورته وأكثر من منطقة، ويرى مصطفى الأشرف أنها تجربة "تدل على وحدة الأهداف القومية والعواطف الوطنية التي كانت تجيش بها نفوس الجزائريين من أقصى البلاد إلى أقصاها"[17]. ويؤمن أبو القاسم سعد الله أنّ لكلّ منطقة في الجزائر مساهمة في تيار الحياة الثقافية، وهي مساهمات بتنوعها وتفرعها تصبّ في بحر الثقافة الوطنية الجزائرية[18].

- ✓ وحدة المعاناة (الاحتلال): أدّت السياسة الاحتلال إلى شعور موحّد عند عموم الجزائريين الذين يقبعون تحت سلطة الاستعمار الفرنسي، صفاته: انسداد آفاق المستقبل وفقدان أساسيات الحياة.[19] وحدة الكفاح (وصول الثورة إلى كل شبر من الأرض الجزائرية)، توّج بوحدة الاستقلال (الشمال والجنوب) وقد ساهمت التجارب المتراكمة على المجتمع الجزائري في تمتين جبهته الوطنية، ويرى مصطفى الأشرف أن المجتمع كان أحياناً فوق مستوى وعي النخب السياسية، مثلما حدث في الصراع والاستقطاب السياسي الذي أعقب حدث الاستقلال، وكانت رغبة بعض النخب جرّ القواعد الشعبية إلى جهتها، لكن الجماهير الشعبية حينها أظهرت وعيا قوميا سليما[20]. ونبّه البعض إلى أهمية حفظ الذاكرة على ما فيها من محطّات قاسية (كابوس) وهي تمثّل في الحالة الجزائرية المعاصرة، دليل إثبات على الانفصال الكلّي بين الذاكرتين الجزائرية والفرنسية، كما تمثّل محطّات مؤلمة لا يمكن القفز عليها كظاهرة الجزائريين المتعاونين مع فرنسا (الحركى)[21]. ويمثل الحفاظ على ذاكرة المعاناة تحديا آخر للأجيال الحالية، ذلك أننا نشهد واقعا متناقضا عندما نرى إقبالاً ملحاً ومتزايداً لجزائريين تحذوهم الرغبة في العيش في فرنسا لأسباب مختلفة لعلّ أهمها الفوارق الاقتصادية، واختيار فرنسا كوجهة مفضّلة للاستقرار وهي التي تعتبر المسؤولة عن قتل آباء وأجداد هؤلاء المهاجرين الجدد، لهو أمر يستوجب التوقف عنده، ومثل هؤلاء يفترض أنهم سيعانون من ذاكرة مضطربة غير مستقرّة[22].

✓ تحديات اليوم (ذاكرة الأبناء): وحدة التنمية (الفكرية، الاقتصادية، الاجتماعية)

ومن تحديات اليوم التي يجب أن تطّلع به مراكز البحث، التعبير الحقيقي عن تراث الوطن بمناطقه وجهاته ومحليته. وليس مجرد إعادة بناء المشروعية التاريخية والوطنية، كرأسمال رمزي، لفائدة الشخصيات والهيئات والمؤسّسات، ويكمن التحدي الحقيقي في بناء ذاكرة تاريخية تستوعب كل المساهمات الوطنية، وتقرّ بالتعددية الثقافية والجهوية لكل المكونات الوطنية[23]، ويبدو أن الواقع يعكس انتشار عشرات المراكز البحثية التابعة لمخابر البحث على مستوى الوطن.

- الجامعات وجدلية خدمة الذاكرة

✓ تمثل الجامعة باعتبارها مؤسسة وطنية أولا ومؤسسة أكاديمية ثانيا، نموذجاً مثاليا لخدمة الذاكرة ذات البعد الوطني. كما ساهمت الجامعات الأوروبية العريقة في برلين وبراغ وبلغراد في صناعة الشعور الوطني، ولكن النقّاد يقدّرون أن هناك هوّة بين البحث التاريخي، وتدريس التاريخ في المؤسّسات التعليمية، في البلاد العربية[24].

وربما ساهمت الجامعة الجزائرية بعد الاستقلال بنصيب متواضع في صناعة الذاكرة الوطنية، ويُعزى تواضع تجربة الجامعة الجزائرية في خدمة الذاكرة الوطنية إلى عدم مركزية موضوع التاريخ والذاكرة عند صناع القرار في مرحلة معيّنة، وحال التاريخ في الجامعة كان تبعاً لحال العلوم الإنسانية والاجتماعية التي كانت ولا تزال تستقبل سوى أصحاب المعدلات المتواضعة؛ إذ لم ترق إلى تخصّصات ذات أولوية في المنظومة الجامعية، على الرغم ممّا تكتسيه تخصّصات التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع من خطورة في الاستشراف الحسن لمستقبل الأمم والشعوب.

ثم سارت المنظومة الجامعية منذ الإصلاح الجامعي سنة **1971** إلى تحقيق "فكرة زرع جامعة في كل ولاية" وكان شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله حين سُئل سنة **1980** عن حال الجامعة قد أبدى إعجابه من حيث

المبدأ لكنه كان يرى أنّ التوقيت والتطبيق والشروط تحتاج إلى ترو كبير واستعداد كبير على جميع المستويات، ومن الشروط التي حدّدها: وجود إطارات تدرك أن دور الجامعة هو خدمة الوطن وليس خدمة جهة أو جماعة، ومنها زرع الجامعات الجديدة في أماكن لا تخضع للترضيات والضغوط السياسية والجهوية ولكن تخضع لتخصّصات علمية مدروسة وبعد جغرافي واستراتيجي محدّد بدقّة[25]. وإنّ أخطر ما يمكن أن تمارسه الجامعة والقائمين عليها، الاعتقاد أنها وسيلة لخدمة الجهة قبل الوطن، وهو ما عبّر عنه أبو القاسم سعد الله قائلاً: "وأخذ المفهوم الوطني للجامعة يترك مكانه للمفهوم القبلي"[26].

ويرافع الكثيرون إلى إنشاء جامعات متخصّصة، بدل وضع جامعة لكل ولاية بجميع التخصصات؛ فالجامعة المتخصّصة كفيلة باستقطاب طلبة من مختلف ربوع الوطن، فتحافظ الجامعة بالإضافة إلى عطائها العلمي، على ميزة دمج الطلبة من مختلف مناطق الوطن، ممّا يزيد من شعورهم الموحّد، لأنه بقدر ما يبتعدون عن مساقط رؤوسهم بقدر ما يرتفعون عن الإحساس الجهوي والقبلي وغيره من رواسب الماضي ومخلفات المدرسة الاستعمارية[27]. شأنها في ذلك شأن المؤسسة العسكرية التي لا تزال تحافظ على هذا المبدأ الفعّال.

- عوائق في طريق بناء الذاكرة

✓ مركزية الذاكرة المحلية: يشهد البحث التاريخي اليوم في الجزائر تنوعا وثراءً في الاهتمام بالتاريخ المحلي لمختلف جهات الجزائر وعبر مختلف العصور، ولكن نلحظ بالمقابل تفاوت موضوعية الباحثين ووعيهم بحجم وحدود التاريخ المحلي وهم في الغالب (الباحثون) ينتمون إلى الجهة التي يكتبون عنها.

ومن اللافت للنظر أن نرى كيف أنّ غالبية المؤرخين يختارون البحث ودراسة منطقة ميلادهم. وفي حالات نادرة نجد من يبحث في مناطق أبعد، فيكون المؤرخ نفسه يساهم في بناء الذاكرة المحلية التي يدرسها، واختيارهم

هذا لا يفسّر إلاّ في خانة الشعور بالانتماء والالتزام، والمؤرخ بموجب الموضوعية ملزم بالحذر أن يقع في فخّ الالتزام المحلي. وقد يبلغ البحث في التاريخ المحلي مستويات خطيرة عندما يبالغ في المفاضلة بينه وبين المحلي الآخر وربما انتقص منه ومال إلى تخوينه، لأنّ ما يصنع الاختلاف بين الجماعات الجهوية والمحلية هو في الأصل اختلافهم في نظرتهم إلى التاريخ[28].

✓ كما ينتهي الأمر ببعض الباحثين المهتمين بالتاريخ المحلي إلى المبالغة في الفخر والتمجيد فيقعون في "مركزية التاريخ المحلي" والمعادلة المتوازنة المطلوبة في مثل هذه الحالات هي: نعم للتاريخ الجهوي، لا لجهوية التاريخ. وهو ما عبّر عنه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني بتعمّق الإحساس بالذاتية[29]. وقد نفسّر تضخيم هذه الذاتية، بالقول أنّ أهداف الذاكرة المحلية والوطنية متنوعة ومختلفة وأنّ الطريقة التي تُبْنى بها الذاكرة تتوافق مع هذا التنوع والاختلاف، وهي قضية غاية في الحساسية والخطورة

✓ تهميش الذاكرة المحلية: هل يمكن باسم الذاكرة الوطنية الجامعة تجاهل الذاكرات المحلية ووضعها في الهامش، وتكون النتيجة تجاهلها ضمن مخرجات العملية التعليمية، كما في المقررات المدرسية، فمثل هذه الانتقادات يتم تداولها، حيث يكون العتب على واضعي المقررات المدرسية في أنهم لم يستوعبوا كل الذاكرات الجماعية، التي تمثل في الغالب المجالات الهامشية والقصيّة من الوطن، وهو ما عبّر عنه بول ريكور "الذاكرة المدبّرة"[30]، وفي سياق ذي صلة ينبّه أحد المختصّين في وضع المفاهيم، إلى أنّ الذاكرة لا تبنى فقط انطلاقاً من الأطر الحالية التي قد تشمل الأمة، الدولة، العائلة، إلخ. وإنما يجب استحضار التمثلات الجماعية للماضي[31].

- الخاتمة

✓ تنتظر الباحثين والمؤرخين الجزائريين أعمال كبيرة لصالح الذاكرة الوطنية، في مضمار البحث العلمي.

✓ توفّر بعض مراكز البحث الموجودة في الجزائر، اهتماماً بذاكرة الجزائر "القصيرة". لكننا بحاجة إلى الاطمئنان بأنّ ذاكرتنا الوطنية

والمحلية عميقة وموغلة في القدم، فيها القديم والوسيط والحديث والمعاصر، فما أحوجنا إلى مراكز تبحث في تاريخ الجزائر عبر العصور، توفّر له كل الإمكانات المادية والمالية من هياكل وترجمة ونشر وطبع، يأخذ على عاتقه حفظ ذاكرة الوطن عبر العصور، وتقديمها بشكل متقن واحترافي وجدّي، يحقّ للوطن من خلال مركز كهذا أن يباهي به وأن يمارس به ديبلوماسية ناعمة.

✓ صحيح أن الثورة التحريرية ألقت بظلالها على كلّ مناطق الجزائر واستطاعت باستراتيجيتها أن تحقّق ذاكرة جماعية اختزلت فيها الكثير من رواسب الذاكرات المحلية، ولا تزال الثورة التحريرية بعظمتها ووهجها وعدالتها تمثّل صمام الأمان في طريق حفظ الذاكرة الوطنية، لكن وجب الاعتراف إلى ظهور تناقضات بعد الاستقلال على مستوى الأفراد والجهات[32]، وكذا الانتباه إلى حقيقة وجود الفوارق التي تصل حدّ المواجهة بين الذاكرات المحلية فوجب التفكير في آليات تقليص الفجوة بين تلك الذاكرات، كما وجب الانتباه إلى تطاول الذاكرات المحلية على الذاكرة الوطنية، والبحث عن عوامل التطاول أولاً وردعه ثانيا. وتذهب إحدى الدراسات إلى أنّ غالبًا ما تبدو الصراعات بين الذاكرات المختلفة وكأنها صراعات بين الذاكرة الوطنية والذاكرات المحلية أو ذاكرة مجموعة معينة شعرت بأنها مهمّشة ضمن الذاكرة الوطنية[33].

- المصادر والمراجع

01. الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمّة والمجتمع، تر: بن عيسى حنفي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1983**م.

02. حبيدة محمد، التاريخ والذاكرة، مجلة يتفكرون، مركز مؤمنون بلا حدود، ملف العدد (الصفح والمصالحة وسياسات الذاكرة، العدد الثاني، خريف **2013**م.

03. خياطي مصطفى، المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية، تر: نسيبة غربي، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال والاشهار، ANEP، الجزائر، **2013**م.

04. سعيدوني ناصر الدين، المسألة الثقافية في الجزائر. النخب - الهوية - اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط**1**، **2021**م.

05. أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة (موسوعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله)، عالم المعرفة، الجزائر، **2015**م.

06. مالك رضا، الجزائر في إفيان. تاريخ المفاوضات السرية **1956-1962**، تر: فارس غصوب، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط**1**، **2003**م.

07. هيمة حميد، الذاكرة بين التاريخ الأكاديمي والتأليف المدرسي، مجلة أسيناگ، العدد الرابع عشر، **2019**، المملكة المغربية، ص**71-80.**

08. BATALHA MARIA CRISTINA, MÉMOIRE INDIVIDUELLE ET MÉMOIRE COLLECTIVE DANS LA FICTION DE MAÏSSA BEY, ÉTUDES ROMANES DE BRNO **33**, **1**, **2012**

09. Creyghton Camille, Mémoires locales comme usages du passé, Site internet du colloque: http: //www.ua.ac.be/main.aspx?c=.LOCALMEMORIES&n=**64446**

10. Rousso Henry. Pour une histoire de la mémoire collective, In: Les Cahiers de l'Institut d'Histoire du Temps Présent, n°**18**, juin **1991**. Histoire politique et sciences sociales. pp. **163-176**

- الهوامش

1- حبيدة محمد، التاريخ والذاكرة، مجلة يتفكرون، مركز مؤمنون بلا حدود، ملف العدد (الصفح والمصالحة وسياسات الذاكرة، العدد الثاني، خريف **2013**م، ص**52**.

2- هيمة حميد، الذاكرة بين التاريخ الأكاديمي والتأليف المدرسي، مجلة أسيناگ، العدد الرابع عشر، **2019**، ص**71**.

3- Rousso Henry. Pour une histoire de la mémoire collective, In: Les Cahiers de l'Institut d'Histoire du Temps Présent, n°**18**, juin **1991**. Histoire politique et sciences sociales. P.**166**.

4- Camille Creyghton, Mémoires locales comme usages du passé, Site internet du colloque:
http://www.ua.ac.be/main.aspx?c=.LOCALMEMORIES&n=**64446**

5- هيمة حميد، المرجع السابق، ص**72**.

6- Rousso Henry. op. cit. P.**168**.

7- BATALHA MARIA CRISTINA, MÉMOIRE INDIVIDUELLE ET MÉMOIRE COLLECTIVE DANS LA FICTION DE MAÏSSA BEY, ÉTUDES ROMANES DE BRNO **33**, **1**, **2012**, p. **168**.

8- عن استحضار ذاكرة اللحظات الحرجة، ينظر مثلا:

Rousso Henry. op. cit. pp. **163-176**.

9- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة (موسوعة أعمال الدكتور أبو القاسم سعد الله)، عالم المعرفة، الجزائر، **2015**م، ص**175**، **176**.

10 - Camille Creyghton, Mémoires locales comme usages du passé, Site internet du colloque:
http://www.ua.ac.be/main.aspx?c=.LOCALMEMORIES&n=**64446**

11 - Camille Creyghton, Mémoires locales comme usages du passé, Site internet du colloque:
http://www.ua.ac.be/main.aspx?c=.LOCALMEMORIES&n=**64446**

12- رضا مالك، الجزائر في إفيان. تاريخ المفاوضات السرية **1956-1962**، تر: فارس غصوب، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، دار الفارابي، بيروت، ط**1**، **2003**، ص**178-181**.

13- مصطفى خياطي، المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية، تر: نسيبة غربي، منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال والاشهار، ANEP، الجزائر، **2013**م، ص**124**، **125**.

14- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص**171**، **172**.

15- هيمة حميد، المرجع السابق، ص**73**.

16- الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمّة والمجتمع، تر: بن عيسى حنفي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، **1983**م، ص**94**، **95**.

17- الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص**136**.

18- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص**171**.

19- الأشرف مصطفى، المرجع السابق، ص**100**.

20- المرجع نفسه، ص**388**، **389**.

21- BATALHA MARIA CRISTINA, op. cit. p.**170**.

22- Ibid, p.**171**.

23- هيمة حميد، المرجع السابق، ص**73**.

24- المرجع نفسه، ص**71**.

25- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص**164**، **165**.

26- المرجع نفسه، ص**165**.

27- المرجع نفسه، ص**166**.

28- Camille Creyghton, Mémoires locales comme usages du passé, Site internet du colloque:
http://www.ua.ac.be/main.aspx?c=.LOCALMEMORIES&n=**64446**

29- سعيدوني ناصر الدين، المسألة الثقافية في الجزائر. النخب-الهوية-اللغة (دراسة تاريخية نقدية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط**1**، **2021**م، ص**354**.

30- هيمة حميد، المرجع السابق، ص**73**.

31- Rousso Henry. op. cit. P.**167**.

32- BATALHA MARIA CRISTINA, op. cit. p. **168**.

33- Camille Creyghton, Mémoires locales comme usages du passé, Site internet du colloque:
http://www.ua.ac.be/main.aspx?c=.LOCALMEMORIES&n=**64446**

المخزون التاريخي بمنطقة عين تموشنت ودوره في تأصيل الذاكرة الوطنية

الأستاذ: محمد قنانش
جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت

- مقدّمة

تتميز منطقة عين تموشنت بمخزونها التاريخي والحضاري، جعلها تتبوّأ مكانة مرموقة على مستوى مناطق وولايات الغرب الجزائري بشكل خاص. هذا المخزون الذي يجد أصوله وفروعه في مداشر ومشاهد ومفاخر كامل التراب الولائي بعين تموشنت. تشهد تلك القرى والبلديات بمؤسّساتها وساحاتها وجغرافيتها وعقاراتها، على ما تحتويه من معالم تاريخية بالغة الأهمية، توثق لمحطّات مؤلمة أحيانا ومشرقة أحيانا أخرى لرصيد المجتمع، وتؤصّل للذاكرة الوطنية من قديم العصور إلى الزمن الحاضر.

تنوّعت معالم المخزون التاريخي بالمنطقة، نتيجة التحوّلات التاريخية التي عرفتها الجزائر. عبر عصورها التاريخية، فأعطى ذلك المخزون المتكامل شعورا قويا مميزا، شكّل بالأساس إضاءة فاعلة أنعشت الذاكرة الوطنية وأسّست لثقافة قومية رائدة، يستمدّ منها المجتمع الجزائري اليوم روحه الوطنية ومناعته التاريخية.

1- تعريف المخزون التاريخي بمنطقة عين تموشنت

يشكّل المخزون التاريخي في حدّ ذاته، تلك الاستحقاقات التي تخدم المجتمع في قيمه ومثله ومبادئه، ويتمّ ذلك باستحضار مكوّنات الذاكرة الجماعية عن طريق قراءة متأنية فاعلة للتاريخ بكل أطوراه. تمثل منطقة عين تموشنت في هذا المجال، جزءا هاما من هذا المخزون، تنوّعت أصوله

وفروعه عبر العصور التاريخية. استمدّت منه الذاكرة موروثها التاريخي وانتماءها الحضاري، تتجسّد فعالية هذا المخزون باستحضار مجموعة التحوّلات والأحداث، من انجازات مختلفة في الزمان والمكان، بالرّجوع إلى الماضي بمجرياته وذكرياته.

تحتلّ منطقة عين تموشنت مكانة رائدة في هذا الاتجاه، بفضل رموز ومكوّنات الذاكرة المحلية التي تميزها عن بقية جهات الوطن. المخزون التاريخي الهام بالمنطقة رصيد مآثر الأمجاد والأجداد، رصيد تنبني حوله مكوّنات الذاكرة الوطنية، من أماكن أثرية وأماكن وظيفية وأماكن رمزية. نظرا لأهمية هذا المخزون، أطلق عليه عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو" اسم "الرأسمال المادي"[1]. يتجلّى هذا الرأسمال المادي في تنوّع أماكن الذاكرة بمنطقة عين تموشنت في العيّنات الآتية: خمس نماذج مختارة عن الفترة النوميدية، تؤسّس لأماكن الذاكرة بالمنطقة: جزيرة رشقون التابعة لبلدية بني صاف، ميناء سيقا النهري التابع لبلدية ولهاصة، الضريح العائلي للملك سيفاقص الموجود بأعالي قرية بني غنّام ببلدية الأمير عبد القادر، قطع نقدية رمزا لسيادة مملكة الماصيصيل والنّصب المعماري التذكاري للملك سيفاقص بمفترق الطرق عند مدخل شاطئ رشقون السياحي. معالم العمران الإسلامي بمنطقة عين تموشنت في العهد الزياني، يمثلها مسجد سيدي يعقوب العتيق الموجود بزاوية سيدي يعقوب ببلدية ولهاصة، الذي يعود تاريخه إلى سنة **1338**م.

بداية الدخول العثماني، أخذنا النصب التذكاري، الموجود عند المدخل الشرقي لمدينة عين تموشنت كنموذج عن بداية الفترة العثمانية بالجزائر وإرهاصات تشكّل النواة الأولى في تاريخ الإيالة الجزائرية.

بالنسبة لعهد الأمير عبد القادر، وقع الاختيار على **4** نماذج من أماكن الذاكرة تؤصّل للذاكرة الوطنية بالمنطقة تتجسّد في مسجد محمد البوحميدي الولهاصي ببلدية ولهاصة ومعمل غار البارود وجزيرة رشقون قاعدة الأمير العسكرية الموجودين ببلدية بني صاف والنّصب التذكاري المخلّد لمعاهدة

تافنة في **30** ماي **1837** ببلدية الأمير عبد القادر، التي تبعد عن مدينة بني صاف **20** كلم غربا.

ثورة نوفمبر المجيدة الغنية بموروثها التاريخي، البطولي التحرّري ،تمّ انتقاء على سبيل المثال لا الحصر

5 نماذج تؤسّس لأماكن الذاكرة لملحمة نوفمبر الكبرى ولبطولات وتحدّيات الشعب الجزائري المغوار الحرّ. معتقل لافيلا الموجود بمتحف المجاهد الولائي بني صاف، ومعتقل شابر بمدينة حمام بوحجر، وشهيدي المقصلة بمنطقة عين تموشنت، الشهيد البطل كبداني ميلود أول شهيد بالتراب الولائي يوم **7** فيفري **1957**، والشهيد البطل عمّور أحمد أول شهيد بمدينة عين تموشنت يوم **14** فيفري **1957**، وكلاهما من شهداء المقصلة بسجن وهران الرّهيب. مقام الشهيد ببني صاف الذي يمثل منارة شهداء الوطن الحرّ. ساحة **9** ديسمبر **1960** بمدينة عين تموشنت التي أجهضت مشروع الجزائر جزائرية الإدماجي. وأخيرا رمز الجهاد والحياد من عين تموشنت، الزعيم بلحاج بوشعيب.

بانتقاء رصين تمّ وضع الرموز والمكوّنات الخاصة بالمنطقة في ترتيب زمني دقيق، بدء من العهد النّوميدي وإلى غاية الثورة التحريرية المجيدة. الهدف من وراء ذلك، أن نتمكّن من أن نوثق للتاريخ ونؤصّل للذاكرة الوطنية بمنطقة عين تموشنت. الجدير بالذكر أننا أرفقنا عملنا بملاحق في غاية الأهمية، بصور ومشاهد حقيقية عن كل الرموز التي تؤسّس للذاكرة الوطنية متبوعة بمختصرات موضحة عن كل رمز. من هذا المنطلق، سنؤسّس للمخزون التاريخي في منطقة عين تموشنت، من خلال ما يميز المنطقة من أماكن تاريخية، ومدى أهميتها في تأصيل الذاكرة الوطنية بوجه خاص.

كل هذه الأماكن من الذاكرة المحلية التي وقع اختيارنا عليها، هي إلا بعض العيّنات أو النماذج من زخم كبير من مقوّمات الذاكرة الوطنية

المتواجدة بمنطقة عين تموشنت، التي تنتشر على ربوع **28** بلدية من بلديات ولاية عين تموشنت.

2- الأماكن الأثرية

تمثل الأماكن الأثرية الرّصيد المادي للذاكرة بما تحمله من معالم معمارية ومخلّفات تاريخية تعكس بحق التمثلات الفعلية لتأصيل الذاكرة في منطقة عين تموشنت. لذلك فالمنطقة غنية ومميزة بمخزونها التاريخي الشاهد على موروثها بكل أطواره ومراحله. تمّ ضبط المخزون التاريخي في ما يخص الأماكن الأثرية بمنطقة عين تموشنت في عدّة معالم، ابتداء من العهد النوميدي وإلى غاية ثورة التحرير المباركة. في هذا المجال ركّزنا على جزء كبير من الأماكن الأثرية المتواجدة بالمنطقة، تمّ حصر **11** عيّنة تخصّ الأماكن الأثرية المؤسّسة للذاكرة الوطنية، تعدّ اليوم في نظر ساكنة منطقة عين تموشنت مفخرة الأجيال وذاكرة الرّجال.

2-1- جزيرة رشقون المحطة الفينيقية والقاعدة النوميدية

جزيرة رشقون، معلم تاريخي بالغ الأهمية قديمة النشأة، ذات تكوين جيولوجي بركاني، مساحتها **14** هكتارا، يعود تاريخها إلى زمن ما قبل التاريخ، إلى القرن الثامن ما قبل الميلاد. استقرّ على أرضها الفينيقيون مند أزيد من **700** قبل الميلاد، اتخذوها ملجآ للاحتماء من هول البحر وتأمين مراكبهم من مخاطر أمواج البحر الأبيض المتوسط. في نفس الوقت، تحوّلت الجزيرة إلى محطة تجارية فينيقية في الحوض المتوسطي، لأن الفينيقيين شعب احترف الملاحة مند غابر التاريخ. ولذلك أضحت جزيرة رشقون نقطة وصل واتصال بين نوميديا الغربية في عهد ملكها سيفاقص وقرطاجة وبين شبه جزيرة إيبيريا. تذكر الكتابات التاريخية، أنه يوجد بها مقبرة قديمة (une nécropole)[2].

في عهد الملك سيفاقص، كانت جزيرة رشقون المعروفة محليا باسم "لايلّة" قاعدة عسكرية لحماية نوميديا من أطماع روما وحلفائها. وفي عهد الأمير، كانت من بين المطالب في معاهدة تافنة الممضاة يوم **30** ماي **1837**

بين طوماس بيجو والأمير عبد القادر الذي استرجعها وبسط سيادته عليها واتخذها قاعدة عسكرية تحت تصرّف جيشه الباسل[3].

جزيرة رشقون شامخة في عرض المتوسط، تابعة لبلدية بني صاف ولاية عين تموشنت، ما زالت قائمة اليوم، يقصدها الزوار بقوة على مدار السنة، من داخل الوطن وخارجه عموما، وبخاصة في فصل الصيف للاستمتاع بمناظرها وسحر شواطئها[4].

2-2- ميناء سيقا النهري النوميدي سيقا مدينة أثرية، عاصمة نوميديا الغربية في عهد الملك سيفاقص، وفي نفس الوقت تعد سيقا الميناء المائي الذي يصل مصب واد "تافنة" بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط على مسافة **4** كلم عن اليابسة. المعروف عنها قديما، أنها شهدت لقاء صلح تاريخي بوساطة من سيفاقص، بين قرطاجة وروما سنة **206** ق.م. فكانت أول قمة ديبلوماسية في القديم[5]. كان ذلك اللقاء الإقليمي الدولي التاريخي في تقديرنا، مبلغ الحنكة الديبلوماسية النوميدية الهادئة، في أعلى مقامها وأعظم مسارها على أرض مدينة سيقا الأمازيغية[6].

3-3- الضريح العائلي الملكي يقع على ارتفاع **222** مترا من واد تافنة في قرية بني غنّام بلدية بني صاف. عبارة، عن قبر جنائزي جماعي عائلي، يشبه شكله حرف (U)، يضمّ مجموعة من زوجات الملك سيفاقص، تمّ اكتشافه سنة **1975** من قبل الفرقة الأثرية الألمانية بالمنطقة. يسمّى محلّيا "كركار العرايس". يمثل في المخيال الشعبي بالنسبة للسكان المحليين مزارا لهم طلبا للفأل الجميل[7].

2-4- عملة مملكة نوميديا الغربية (الماصيصيل) عملة الإقليد سيفاقص في العالم القديم يظهر الملك في الصورة الأولى زعيما بتاجه المحيط برأسه[8].

ولكن في الصورة الأخرى، فالملك فارسا مغوارا[9]، فالعملة النقدية في الصورتين، دلالة واضحة على رمز السيادة النوميدية من جهة، وعظمة مملكة الماصيصيل في عهد ملكها القوي، الإقليد سيفاقص من جهة أخرى.

باتت العملة النوميدية متداولة في السوق تنشط العلاقات التجارية والاقتصادية بين دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، لا سيما بين الدولة القرطاجية والإمبراطورية الرومانية وبين منطقتي شبه جزيرة إيبيريا والبحر الإيجي[10].

2-5- مسجد سيدي يعقوب العتيق يعود تاريخ بناء المسجد إلى سنة **739**ه/**1338**م، عهد الدولة الزيانية، اسمه مستمدّ من اسم الولي الصالح "سيدي يعقوب بن الحاج التلمساني المغراوي"، ولد أواخر القرن **13**م وتوفي سنة **1410**م[11]. تروي الشهادات التاريخية، أن مسجد سيدي يعقوب، له مريدون في الزمان والمكان، من النواحي المجاورة كولهاصة، بني خلّاد، مديونة، سبع شيوخ...[12] التكوين بالمسجد، كان يقوم على برنامج تربوي هام في مقدّمته تحفيظ القرآن الكريم، والسنة النبوية الطاهرة، والفقه الإسلامي، وعلم التفسير، ومادة اللغة العربية وآدابها. تنظيم التعليم بالمسجد، يخضع للنظام الداخلي ويلتزم به المريدون طوال المرحلة الدراسية. بمحيط المسجد، وجدت أماكن أثرية، كالحصون كحصن سيدي يعقوب المسمى "الفردوس"، حصن بني زينة ومطامر للحبوب. كل حصن له منارة ساحلية. يدلّ الموروث التاريخي أن الولي الصالح أنقذ بدعائه أحد الإسبان العالقين في بحر هائج، مقابل منحه الخشب الذي وصله بكرامته عبر البحر إلى شاطئ سيدي يعقوب وتمّ استغلاله في تسقيف المسجد[13].

2-6- مرسى مصبّ واد أحمد مرسى واد أحمد، الوصف القديم لشاطئ سيدي بوسيف، حاليا بمدينة بني صاف. تشكّل الشاطئ من رواسب مصبّ واد أحمد الممتد من منخفض دار الريح باتجاه الساحل. أخذ المرسى اسم سيدي بوسيف من اسم الولي الصالح "سيدي بوسيف" الموجود بأعلى الهضبة، على ارتفاع **110** مترا .

المرسى النواة الأولى للاستيطان بالمنطقة. تحوّل الشاطئ إلى مركز استيطاني الأول من نوعه في منطقة بني صاف، كان ذلك سنة **1835** مع هجرة الصيادين الإسبان من وطنهم إلى عين المكان. تواصلت حركة الهجرة

الإسبانية إلى المنطقة على مدى أزيد من قرن من الزمن من سنة **1835** وإلى غاية **1939**م[14].

فرّ المهاجرون الإسبان من مظالم الملك فيليب الثالث عشر خلال القرن التاسع عشر ومن ديكتاتورية الملك فرانكو وخطر الحرب الأهلية الإسبانية (**1936-1939**). أصبح هؤلاء مستوطنين، فحفروا بيوتهم على جدران الساحل وامتهنوا حرفة الصيد. وللتذكير ما تزال صخور شاطئ سيدي بوسيف إلى يومنا، تحمل أسماءها باللغة الاسبانية[15].

2-7- خامات مناجم حديد دار الريح، غار البارود وسيدي صافي بعد بسط الاحتلال الفرنسي نفوذه على الأرض، شرعت شركته المنجمية "مقطع الحديد" (Mokta - el- Hadid)، وشرعت في عمليات البحث والتنقيب عن خامات الحديد غرب منطقة عين تموشنت.

تمّ اكتشاف منجم كامراطا سنة **1883** ومنجم دار الريح سنة **1899**، غار البارود سنة **1908** ومنجم سيدي صافي سنة **1926**م[16]، انصبّ اهتمام الشركة على نهب منظم ومكثف لخامات الحديد في المنطقة التي ستأخذ اسم "مناجم بني صاف" منذ سنة **1875**. ركّزت الشركة الاستعمارية على بناء الجسور وحفر الأنفاق ومدّ سكة الحديد، لنهب الحديد باتجاه الميناء المنجز سنة **1881** ونقل خامات الحديد نحو فرنسا لتأمين حاجيات الصناعة[17]. وبذلك تمّ إنشاء مدينة بني صاف سنة **1875** وميناءها سنة **1881**، وعلى إثر ذلك ، تمكّن المستعمر من إنشاء أول مدينة استيطانية منجمية في الغرب الجزائري.

كلّها دلالات دامغة على ثقافة الاستنزاف المنظم لنهب المقدّرات الوطنية[18].

2-8. مسجد البوحميدي الولهاصي مسجد أو جامع البوحميدي كما تصفه ساكنة قرية "زعار" بولهاصة، يعود تاريخه إلى ما بين أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر، ومن المحتمل العهد الزياني. الصورة الأولى تؤرخ بالأساس إلى عملية الترميم التي عرفها المسجد[19]. ما فتئت آثاره

الشاهدة اليوم دلالة على قوته وتحدّيه لنازلات التاريخ وعواقبه. الصورة الموالية، فإنّها تدلّ بوضح على المشهد الحقيقي القديم، ما يعرف بجامع البوحميدي العتيق. يبلغ طوله **16** مترا وعرضه **12** مترا. مساحته **192** متر مربع تقريبا **20**. يروى اليوم عن سكان "زغار" أن القائد البوحميدي حضر أيام بنائه، ودرس فيه، وأن المرأة الفاضلة "لالّة ستّي" كانت تقطن بجواره[21]. للعلم أن محمد البوحميدي الولهاصي (**1804-1847**) كان قائدا لجيش الأمير وخليفة بعمالة تلمسان (**1833-1847**)[22].

2-9- معمل غار البارود ببني صاف مشهد تاريخي يبرز لنا طبيعة سياسة فرنسا الاستعمارية في مجال نهب حديد منجم غار البارود الذي انطلقت مدة استغلاله يوم **8** جانفي **1908**م[23]. المنجم اليوم عبارة عن معلم أثري يعلو البحيرة ذو تكوين بركاني. تبرز لنا الصورة منظر عام لمعلم غار البارود، المكان الذي كان ذات يوم إبّان دولة الأمير عبد القادر، يشتغل معملا في صناعة البارود. الموقع عبارة عن منخفض يزيد ارتفاعه عن **350** مترا.

استعان الأمير بخبراء إسبان مسخرا خامات الحديد من عين المكان في إنتاج البارود لدعم المقاومة.

بالمقابل، تظهر لنا الصورة الأخرى، شهادة حية عن ما نسمّيه بأنفاق الموت، تلك الدهاليز الأرضية والمنافذ الجوفية التي كانت تعبرها كل لحظة عربات مشحونة بالحديد، نهبا وتصديرا نحو الصناعة الفرنسية. أنفاق حفرها الجزائريون بطاقاتهم وبدمائهم، في أجواء محفوفة بالمخاطر القاتلة[24].

2-10- معتقل لافيلا ببني صاف لافيلا (la Villa) البناية الفاخرة، يعود تاريخ إنشائها إلى سنة **1865**. تتكوّن من طابقين وطابق أرضي تبلغ مساحتها أزيد من **66** آر، ساحتها تفوق **58** آر. عند يسار المدخل الرئيسي، تتواجد **4** غرف كما هو واضح في الصورة الثانية[25]. في حين تظهر الغرف الأربعة على يسار المدخل في خط متواز، زنزانات الموت المنهج في أبشع صور

القتل المرعب والتعذيب الرهيب للأحرار الجزائريين من المجاهدين وعناصر جيش التحرير الوطني والمدنيين الثائرين على المستعمر الفرنسي البغيض. منذ سنة **1955** مورست فيه أبشع صور التعذيب في حق الأبرياء والعزّل. من أخطر جلادي المركز السفاح الجلّاد "رابو". من بين الأساليب اليومية المنتهجة داخل الزنزانات أي غرف الموت، الاستنطاق ونزع الثياب، تكبيل السجين بعمود، حرق الثياب وسلخ الجلد وتعليق السجين من القدمين[26].

2-11- معتقل شابر بحمام بوحجر المعتقل أصلا مزرعة عند مفترق الطرق تربط مدينتي حمام بوحجر وعين تموشنت بمدينة سيدي بلعبلس. في سنة **1958** تحوّلت المزرعة إلى أخطر مركز للتعذيب، طاقة استيعابه ما بين **400** إلى **500** سجين. من بين سجناء جيش التحرير المجاهد عبد الحميد زين وماوزني عبد العزيز[27] تمّت توسعته سنة **1960** تنفيذا لسياسة الترهيب للجنرال ديغول. مساحة **1000**م^2، تتوزع على قسم خاص بالمراقبة و**3** زنزانات فردية و**4** أبراج للمراقبة، مطعم ومستوصف خاص بالمعتقلين[28].

تفنّن جلادو معتقل شابر في طرق التعذيب وأساليب التنكيل لعناصر ورجال جيش التحرير الوطني وكرامة المدنيين وأرواح الأبرياء الأحرار. من أبشع أساليب التعذيب بالمعتقل، الضرب المبرح، إغراق السجين في المياه القدرة حتى الاختناق، غرز المسامير، وتعليق الشخص من رجليه.[29]

3- الأماكن الوظيفية

الأماكن الوظيفية للذاكرة، قسم من أقسام تمثلات الذاكرة، بما تحمله من رموز تاريخية تؤسّس لهوية المجتمع عبر الزمان. لهذه التمثلات وظائف في إحياء الذاكرة، تتجسّد في الألقاب، والسّير الذاتية والمذكرات والرسائل والرّوايات الشفوية المتداولة. ولكلّ تمثّل (représentation) دوره في إحياء سير الأمجاد، والحث على نهج مناقب الأجداد.

3-1- الملك سيفاقص (حكم من **230-202** ق.م) يحتفظ العهد النوميدي بعدة رموز، تعبّر عن تمثلات الذاكرة في مجالها الوظيفي. من

هذه التمثلات الوظيفية ألقاب قادة مثل الملك سيفاقص، فرمينا، وأسماء مواقع ومدن مثل سيقا عاصمة مملكة ماصيصيليا وواد تافنة وجزيرة رشقون. سنستعرض في هذا المقام بعض النماذج بشكل واضح ومقتضب. سيفاقص رمز كبير واسم ثقيل وزعيم عظيم، من كبار أمجاد نوميديا الغربية. يعرف باسم الاقليد سيفاقص، واكب زمانه وتسيّد عصره، حكم مملكته الغربية "ماصيصيليا" ما بين **230** و**202** قبل الميلاد. صان الحدود، وأنعش الاقتصاد وصكّ العملة، وشارك في الحرب البونيقية الثانية ما بين **218-202** ق.م . كقوة فاعلة في فنّ الحرب. يصنّف سيفاقص من بين عظماء العالم القديم، لأنه كان من صنّاع الصلح والأمن والاستقرار في البحر الأبيض المتوسط، بين القرطاجيين والرّومان، بين "هسدروبال" القرطاجي و"سيبيون" الرّوماني سنة **206** قبل الميلاد على أرض "سيقا" التاريخية.

توفي سيفاقص سنة **202** ق.م أسيرا في روما، مات القائد وعاش الزعيم في قلوب الناس وهو اليوم مخلّدا في ذاكرة الأجيال، على مدى تعاقب العصور وتغيّر الأحوال[30]. عند مدخل شاطئ رشقون غرب مدينة بني صاف، يقابلك الإقليد سيفاقص شامخا في نصب تذكاري، يعيد بك إلى أعماق التاريخ ، تاريخ الجزائر نوميديا العظمى.

3-2- البايلرباي عرّوج (**1474-1518**) أبرز رموز الذاكرة الوطنية في منطقة عين تموشنت، البطل العثماني المقاوم المحرّر، إنه الشهيد عرّوج، أحد بايلربايات الجزائر العثمانية. عروج سليل أخيه خير الدين، المقاوم الشجاع ، الشهيد، ولد سنة **1474** بجزيرة ليبوص اليونانية وتوفي بالجزائر سنة **1518**. مطلع القرن السادس عشر، قاوم عروج بلا هوادة الإسبان وسقط شهيدا سنة **1518** مدافعا عن مدينة تلمسان. مكان استشهاده مخلّد اليوم في نصب تذكاري عند المدخل الشرقي بمدينة عين تموشنت[31].

3-3- محمد البوحميدي الولهاصي (**1804-1847**)

من المعالم التاريخية المجسّدة لدولة الأمير عبد القادر ومكانة المقاومة التي خاضها ضد العدو الفرنسي، تعود إلينا أسماء وقيادات ما تزال تحتفظ

بوزنها ووظيفتها في إحياء الذاكرة الوطنية بمنطقة عين تموشنت. إنه القائد محمد البوحميدي الولهاصي. إذا غابت عنا الصورة والمشهد، حلّت محلّهما الوثيقة والمعلمة. البوحميدي، الملازم في جيش الأمير عبد القادر، خليفته بعمالة تلمسان، فالمسجد بولهاصة ما يزال حاملا بشغف إلى اليوم اسم القائد، وظيفته استحضار الذاكرة ومقاومة النسيان[32].

فإكراما لهذا البطل المقاوم، القائد "محمد البوحميدي الولهاصي" في جيش الأمير عبد القادر، فإنه تمّت مند سنوات تسمية المدرسة القرآنية بمدينة عين تموشنت، باسم رمز المقاومة الشعبية بالمنطقة.

3-4- مزارع الاستيطان تحت النّار (**8-11** ماي **1956**) شباب عشق الحرية ونهل من لبان الوطنية في ربيع الثلاثينيات ضحى بالنفس والنفيس لتحيى الجزائر سيدة مستقلة حرة شامخة. كانت تضحياتهم في أسمى قدسيتها، عندما سلّموا بفخر واعتزاز رقابهم الطاهرة، وبدمائهم الزكية استرجعت الجزائر كرامتها. تظهر حرب المزارع بمنطقة عين تموشنت.

بأسماء المزارع الكولونيالية التي تمّ حرقها، يتواجد أغلبها بالمواقع المحدّدة في الخريطة[33]:

(Béni-Saf) بني صاف، (Guiard) عين الطلبة، (Ain-Kia) عين الكيحل، (Ain-Arba) عين الأربعة، (Lourmel) العامرية، حمام بوحج (Hammam Bouhdjar)، (Trois Marabouts) سيدي بن عدة، المالح (Rio Salado)، (De Malherbe) اغلال، (Aou-Bellil) عقب الليل، شعبة اللحم (Laferriere)، (Saint .Maur) واد الصبّاح (Gaston Doumergue) واد برقش[34].

مشاهد عن حجم الخسائر التي ألحقتها عناصر جيش التحرير الوطني، بمزارع الكولون بإحدى نواحي منقطة عين تموشنت. عملية إتلاف المزارع كانت بين الحرق الكلّي والحرق الجزئي. بلغ عدد المزارع المستهدفة ما يلي[35]: شعبة اللحم **6** مزارع، المالح مزرعة، عين العلام **4** مزارع، عين الطلبة **3** مزارع، عين الكيحل **5** مزارع، بني طاف **20** مزرعة، حوض واد

تافنة **03** بالرمشي، مزرعة بولهاصة. حجم الخسائر باعتراف العدو، نقلته جريدة ليكو دوران بعدد **47** مزرعة تعرّضت للحرق يوم **8** ماي **1956** بمنطقة عين تموشنت وردّ الفعل الوحشي لجيش العدوّ، الظاهر في عدد شهداء حرب المزارع، يظهر في عرض الجريدة **17** شهيدا سقطوا في ميدان الشرف و**50** شهيدا قتلتهم قوات العدو في منطقتي عين تموشنت وبني صاف[24]. هؤلاء الشهداء، هم متمرّدون في نظر المستعمر الغاشم وإعلامه المضلّل.

كلّفت حرب المزارع عدة ضحايا سقطوا شهداء في ثلاثة أيام، والنتيجة استشهاد **24** شهيدا بالإعدام وإحالة عدد كبير من المجاهدين على **17** مركزا للتعذيب[36].

4- الأماكن الرّمزية

تمثل الأماكن الوظيفية القسم الثالث والأخير من معالم الذاكرة، فهي تمثّلات حية من رموز تاريخنا الوطني المجيد. لتلك الرموز تفاعلات تاريخية ولمسات حضارية تؤصّل للذاكرة المحلية بمنطقة عين تموشنت، تتجسّد الأماكن الرمزية بالمنطقة في الألقاب وأسماء الساحات العمومية والشوارع الرئيسية والنّصب التذكارية. وجداريات ومقامات الشهداء. لكل رمز دوره التاريخي في إحياء الذاكرة الوطنية في الحضور وعبر العصور على الصعيدين المحلي والوطني.

4-1- الفترة النوميدية

النّصب التذكاري للملك سيفاقص ببلدية بني صاف، القطع النقدية رمزا للسيادة النوميدية، جزيرة رشقون ببلدية بني صاف في بعدها الجيو استراتيجي بالحوض المتوسطي.

الميناء النهري (Portus Seginus) (Le port fluvial de Siga) "سيقا" (ولهاصة)، ودوره في إحياء الملاحة وتنشيط المبادلات التجارية بين نوميديا وشبه جزيرة إيبيريا (la Péninsule Ibériqu) عبر البحر الأبيض المتوسط في عهد الملك سيفاقص (**230-202** ق.م).

الضريح العائلي للملك سيفاقص بقرية بني غنّام بلدية الأمير عبد القادر (Le Mausolée de Syphax) الذي يعكس بحق، الثقافة الجنائزية عند أسلافنا النوميديين، والاهتمام بالقبور والحفاظ على الموروث البشري في نمطه الأسري العائلي.

4-2- العهد الزياني والعثماني مسجد سيدي يعقوب العتيق ببلدية ولهاصة، والنّصب التذكاري للبطل عرّوج عند مدخل مدينة عين تموشنت، رمزا من رموز استحضار مقوّمات المجتمع إبّان الحملات الصليبية التي شنّها شارلكان ملك اسبانيا بداية القرن السادس عشر ضدّ الجزائر العثمانية[37].

4-3- الفترة الفرنسية

مرسى واد أحمد (بني صاف)، شاطئ سيدي بوسيف، خامات حديد دار الريح، غار البارود وسيدي صافي بدائرة بني صاف.

4-4- عهد الأمير عبد القادر معمل غار البارود (بني صاف)، القاعدة العسكرية بجزيرة رشقون (بني صاف)، مسجد محمد البوحميدي الولهاصي (ولهاصة)، النّصب التذكاري المخلّد لمعاهدة تافنة في **30** ماي **1837** (بلدية الأمير عبد القادر).

القيمة التاريخية لمعاهدة تافنة، إنها شهادة حية على الديبلوماسية الفاعلة التي نهجها الأمير أمام عدوّ لا يفهم سوى الحرب، والعدوان والدّمار[38].

4-5- نفحات ولفحات من ثورة نوفمبر المجيدة عربون الكفاح والتضحية، بركان نوفمبر يهزّ منطقة عين تموشنت، معتقل (la Villa) "لافيلا" بمتحف المجاهد الولائي، معتقل "شابر" الرهيب (حمام بوحجر)، شهيدا المقصلة بمدينتي بني صاف وعين تموشنت: "كبداني ميلود" و"أحمد عمّور"، ساحة **9** ديسمبر **1960** (عين تموشنت)، الشباب الثائر في وجه ديغول الحائر[39].

الزعيم بلحاج بوشعيب (**1918-2012**) رمز الجهاد والحياد من مجموعة **22**. تضحيات الجسام، الحرية غالية وتضحية شعب أغلى، جامعة عين تموشنت على نهج المجاهد "بلحاج بوشعيب". تحمل اليوم اسمه بفخر واعتزاز، إنها جامعة عين تموشنت "بلحاج بوشعيب"[40].

5- خلاصة عامة

التاريخ لا يتيه، لا يموت ولا ينسى، شاهد على نفسه وعلى أهله ما دامت ذاكرة الإنسان حية مستمرة، تواجه المحن والفتن ومتاعب الدّهر والزمن. فالذاكرة الوطنية بمنطقة عين تموشنت ماضية في هذا الاتجاه، شامخة شموخ الجزائر. من هذا المنطلق، يتعين علينا أن نقول أن المخزون التاريخي بمنطقة عين تموشنت وما يحتويه من مكوّنات للذاكرة المحلية، يساهم بحق في إحياء التاريخ الوطني ويؤصّل مغزى الذاكرة الوطنية في بعديها الوطني والحضاري. كما أنه يعمل على ترسيخ ثقافة متفاعلة تسهر على حماية ثوابت الأمة وقيمها التاريخية والحضارية.

إن التمثلات المتنوّعة المتجاوبة والمتعاقبة مع الزمن والإنسان في المنطقة دلالة قوية تعمّق في وجدان المجتمع المحلي روح الانتماء والاعتزاز بالوطن. تستمدّ تلك التمثلات نفسها مند العهد النوميدي وإلى غاية ثورة نوفمبر المباركة. فاستنطاق الذاكرة، يجدّد تلك العلاقة العضوية بين الأمة وتاريخها الوطني عبر العصور.

العلاقة الجدلية بين المخزون التاريخي والذاكرة المحلية علاقة أخذ وعطاء مبنية على خدمة التاريخ الذي ينمّيها، وتأتي الذاكرة بما تحمله من تمثلات لتحافظ على المخزون عبر الحقب المتعاقبة. غنى المنطقة بموروثها التاريخي جعل من الذاكرة سلسلة متكاملة انصهرت فيها الأحداث وتفاعلت معها القيم في الزمان وفي المكان أيضا.

الحرص الشديد على حماية الذاكرة من الزّيف والنسيان مكّن المجتمع المحلّي من إحياء تلك القيم والمثل والمبادئ، بدءًا من عهد سيفاقص وعروج

والأمير عبد القادر والشهيد أحمد عمّور والمجاهد بلحاج بوشعيب، من توثيق الصلة بين الإنسان والأرض وتقوية الرابطة بين التاريخ والوطن.

لا تتحقق هذه الغايات إلا بالفهم الصحيح للتاريخ والحرص المسؤول على حماية الذاكرة المحلية والوطنية من البهتان والزّيغ والنّسيان. أي من التأويل والتضليل والتشويه. إنها الرّسالة التي تشتغل عليها منطقة عين تموشنت من خلال مؤسّساتها الاجتماعية والثقافية والأكاديمية.

- الهوامش

1- ينظر إلى بيير بورديو، النظرية البنيوية في علم الاجتماع.

2- Lithélieux Jean- Pierre, l'histoire de l'oranie occidentale, éd. C.D.E.S, Oran, **1974**, p **4**.

3- ينظر إلى كتاب اسماعيل العربي، المقاومة الشعبية تحت لواء الأمير عبد القادر، فصل معاهدة تافنة **1837**.

4- ينظر إلى الملحق رقم **1**، ص**12**.

5- الملتقى الدولي الأول حول مملكة المازيسيل: سيفاكس ومؤتمر سيقا **206** ق.م، المحافظة السامية للأمازيغية، عين تموشنت، الجزائر **22**، **23** و**24** سبتمبر **2018**. (كنت من المشاركين فيه ممثلا لجامعة عين تموشنت).

6- ينظر إلى الملحق رقم **2**.

7- روايات متداولة عن الموروث الشعبي، تتناقله أجيال المنطقة بقرية بني غنّام وبلدية الأمير عبد القادر. (ينظر إلى الملحق **3**، ص**12**).

8- ينظر إلى الملحق رقم **4**.

9- ينظر إلى الملحق **5**.

10- الملحق نفسه.

11- ينظر إلى الملحقين **6** و**7**.

12- شهادات حية منقولة عن زاوية سيدي يعقوب والقائمين على المسجد، قرية سيدي يعقوب، ولهاصة، **2011**.

13- زاوية سيدي يعقوب، المرجع نفسه.

14- المرجع السابق.

15- Marynower Claire, Béni-Saf entre Algérie, France et Espagne (**1929-1939**), Cahiers de la Méditerranée, n° **94**, Paris, France, **2017**, pp **3-4**.

(ينظر أيضا إلى الملحقين **8** و**9**).

16- Le département d'Oran et son conseil général, **1830- 1929**, Archives de la wilaya d'Oran, p **268**.

17- Ibid, p **269**.

(ينظر إلى الملحق **8** ، **14** و **16**).

18- Marynower Claire, Ibid., p **4**.

(ينظر إلى الملحق **16**).

19- ينظر إلى الملحق **15**.

20- شهادات حية من عين المنطقة، أعيان قرية زغار، ولهاصة، **2023**.

21- المرجع نفسه (ينظر إلى الملحق **7**، **12**).

22- Moussa Boudjémaa Safi, Ain - Témouchent au fil du temps, Entreprise des travaux d'impression Sidi - Bel - Abbes, Algérie, **1997**, p **62**.

23 . ينظر إلى الملحق **13** ، ص **13** .

24 . ينظر إلى الملحق **16** ، ص **13** .

25- متحف المجاهد الولائي، مصلحة الأرشيف والتوثيق، بني صاف، ولاية عين تموشنت، الجزائر. (ينظر إلى الملحق **17**).

26- بوشقيف حياة، استراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة السياسة الفرنسية بالغرب الجزائري، منطقة عين تموشنت أنموذجا (**1954**-**1962**)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، **2018**، ص ص **188**، **189**. (ينظر إلى الملحق **21**).

27- ينظر إلى الملحق **22**.

28- ينظر إلى الملحق نفسه.

29- بوشقيف حياة، المرجع نفسه، ص ص **193**، **194**.

30- Chérif Sahli Mohamed , décoloniser l'histoire, introduction à l'histoire du Maghreb, le message de Yougourtha, Quipos éditions, Alger plage, Algérie, **2014**, p **297**.

(ينظر إلى الملحق **10**).

31- ينظر إلى الملحق **11**.

32- Moussa Boudjémaa Safi, Opcit, pp **62**-**63**.

33- ينظر إلى الخريطة في الملحق **18**.

34- قنانش محمد، مايو الأحمر سنة **1956** بمنطقة عين تموشنت وموقف صحيفة لكو دوران منه، الملتقى الدولي حول دور الإعلام إبان الثورة الجزائرية، **23** أكتوبر **2017**، جامعة علي لونيسي، البليدة **2**، الجزائر.

35- Lafont Pierre, ni victime ni bourreaux, in l'Echo d'**0**ran, n° **30540**, mercredi **16** mai **1956**, p **1**.

(ينظر إلى مقال "تغطية صدى وهران للهجمات الكبرى على مزارع الكولون بعين تموشنت **8** ماي **1956**، مجلة عصور الجديدة ، جامعة أحمد بن بلة **1**، وهران، **2018**).

36- التقرير الشامل للمكتب الولائي، المنظمة الوطنية للمجاهدين، عن الملتقى الوطني الأول حول حرق مزارع الكولون وتخريب ممتلكات المعمّرين، المركب السياحي، حمام بوحجر، عين تموشنت، **17** و**18** ماي **2003**. (ينظر إلى الملحقين **19** و**20**).

37- ينظر إلى الملحق **11**.

38- ينظر إلى الملحق **12**.

39- ينظر إلى الملحق **23**.

40- ينظر إلى الملحق **24**.

- ملاحق: صور عن بعض أماكن الذاكرة بمنطقة عين تموشنت

- الملحق 01:

- الملحق 02:

- الملحق 03:

- الملحق 04:

- الملحق 05:

- الملحق 06:

- الملحق 07:

- الملحق 08:

- الملحق 09:

- الملحق 10:

- الملحق 11:

- الملحق 12:

- الملحق 13:

- الملحق 14:

- الملحق 15:

- الملحق 16:

- الملحق 17:

- الملحق 18:

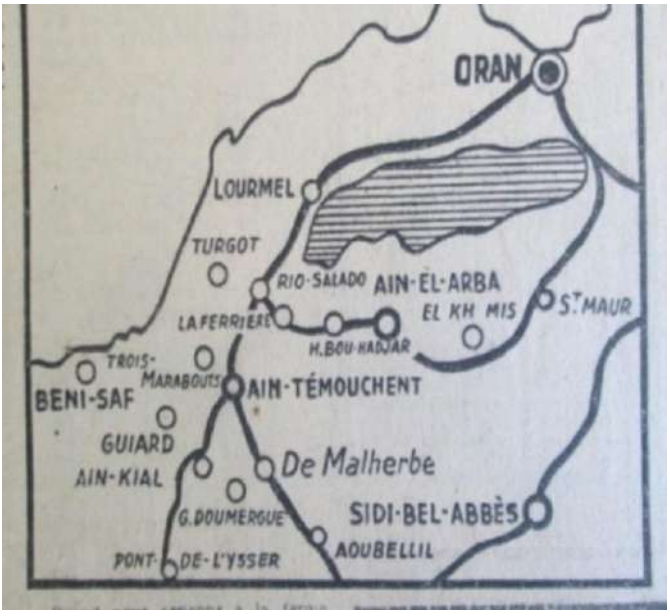

– الملحق 19:

T ENLEVÉ
OUTE
TLEMCE
être récup
st expédié
ar hélicop

LUCIEN PERRIER

MARDI 8 MAI 1956

47 FERMES INC
DANS LES RÉGIONS
D'AIN-TÉMOUCHENT
ET DE BÉNI-SAF
17 TUÉS, PLUSIEURS BLESSÉS
PLUS DE 50 REBELLES ABATTUS
PAR LES FORCES DE L'ORDRE
Les opérations se poursuivent, d'importants renforts arrivent

– الملحق 20:

Ce qui reste de l'usine à crin végétal de M. Jules Martinez. On remarque, alignées, les pièces principales des « tisseurs » mécaniques.

- الملحق 21:

- الملحق 22:

- الملحق 23:

- الملحق 24:

توظيف التـاريخ المحلي لبنة من لبنـات بنـاء التـاريخ الوطني

الأستـاذ: سمير بن سعدي

جـامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

- مقدمة

يُعد التاريخ المحلي انطلاقة بناء للتاريخ العام، وبحكم أنه الأساس فهو اللبنات التي تبني التاريخ العام للبلاد، والمشتغل على التاريخ المحلي يقدم خدمات جليلة للمشتغلين على التاريخ الوطني، فهو الذي يقرب مصادر المعلومات، ويقدم المعلومات المفصلة عن المنطقة المجهرية التي يشتغل عليها، ومن خلال هذه الورقة البحثية سنخصص منطقة اشتغلنا عليها منذ مدة وهي تابعة لبرج بوعريريج، وسنقدم مجموعة من النقاط التي تتمحور عليها دراستنا، وهي عبارة عن تساؤلات وإشكالات تبحث عن أجوبة وتفسيرات:

- هل الدراسات التاريخية المحلية إعادة تصحيحية للتاريخ الوطني؟

- ماهي صعوبات البحث في التاريخ المحلي؟

- هل البحث في التاريخ المحلي يستلزم باحث متخصص فقط؟ أم يقتضي باحثا متخصصا ومن أصول المنطقة المراد دراستها؟

- دور المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية في تصحيح التشوهات المصطلحية.

- مغالطات في المصطلح والأسماء.

- تشابه أسماء الأماكن.

- توظيف المصدر الجزائري في البناء التاريخي.

- قراءة في التنظيم الإداري للجزائر.

- هل الدراسات التاريخية المحلية إعادة تصحيحية للتاريخ الوطني؟

إن المشتغل في الدراسات المحلية بحثا وتنقيبا يقدم عملا خالصا ومتقنا يستند عليه المشتغلون في التاريخ الوطني، وقد يخطئ البعض في عدم إعطاء أهمية لما يقدمه، فهنالك من يرى أن عملية البحث تكون عكسية من العام إلى الخاص، والبعض الآخر يرى أن عملية البحث تكون من الخاص إلى العام.

- ما هي صعوبات البحث في التاريخ المحلي؟

تختلف الصعوبات التي يعترضها الباحث في التاريخ المحلي، من باحث لآخر فهنالك من تعترضه عدم توافر المصادر والمراجع، ومشاكل البيروقراطية في بعض الإدارات، وسياسة المنع وإخفاء الوثائق والمعلومات وغيرها.

- هل البحث في التاريخ المحلي يستلزم باحث متخصص فقط؟ أم يقتضي باحثا متخصصا ومن أصول المنطقة المراد دراستها؟

قد يرى البعض أن البحث في التاريخ المحلي سهل يسير، لكن الذي يتعمق ويتدرج فيه يجد صعوبات جمة من بينها المناطق وتشابهها، والتي تقتضي تقصيا وبحثا معمقا، وإذا كان الباحث الذي يتصدى للكتابة والتنقيب في منطقة ما لا يعرف المناطق المجهرية التي تنتمي للموضوع المراد دراسته سيبقى في دوامة وحلقة البحث عن مناطق يفترض التقصي عنها، وكلما وصل لمصطلح منطقة فتح عليه الباب لبحث جديد.

ونفس الشيء يفرض ذاته على مصطلحات الأعلام، فالتشابه والتقارب في الأحداث يجعلان من الباحث البعيد عن المنطقة وأحداثها يغرقانه في دوامة البحث والنتقيب، والسفر للمنطقة والاتصال بأعيان المنطقة التي تقتضي منه علاقات متينة ومعارف كثيرة من أجل بلوغ غايته، وكلما كان قريبا من

المنطقة جغرافيا، واجتماعيا تذلل له الصعوبات عكس الباحث البعيد جغرافيا واجتماعيا.

- دور المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية في تصحيح التشوهات المصطلحية

إن المدرسة التاريخية الجزائرية الوطنية أمام تحدي كبير في مواجهة الآثار المترتبة على ما خلفته السياسة الفرنسية الاحتلالية في شتى المجالات، كتسمية المناطق، ومنظومة التعليم التي حاولت تشويهها، وإحلال المفردات العامية والفرنسية محل المفردات العربية الفصيحة، وألقاب العائلات التي حاولت من خلالها إدخال مصطلحات نابية تخدش الحياء، وغيرت من منظومة الألقاب الثلاثية إلى الثنائية، ومن خلال هذا سنعطي بعض الأمثلة عن الألقاب التي كانت بالمنطقة، البعض منها انقرضت، والبعض منها هاجرت، والبعض منها قسمت إلى ألقاب عديدة، غير أنها تنتمي لأب واحد وجد واحد:

هذه الألقاب التي سنعطيها كأمثلة منقولة من وثيقة أعيان المنطقة كتبت أواخر القرن التاسع عشر ومن بين الألقاب الواردة نذكر:

- **عائلة بن السبتي:** هذه العائلة حسب بحثنا وتحرياتنا وتدقيقاتنا وجدنا أنها تسمى باسم عائلة: سماتي[1].

- **عائلة البجاوي:** تُعد عائلة البجاوي من بين العائلات التي كانت متواجدة بمنطقة زمورة وقد ورد اسمها في الوثيقة التي اعتمدناها في الدراسة، لكن هذه العائلة لم يعد لها وجود في المنطقة، وأصبحت من العائلات التي هاجرت من المنطقة[2].

- **التومي:** تُعد عائلة التومي أيضا من بين العائلات التي كانت متواجدة بمنطقة زمورة وقد ورد اسمها في الوثيقة التي اعتمدناها في الدراسة، لكن هذه العائلة لم يعد لها وجود في المنطقة، وأصبحت من العائلات التي هاجرت من المنطقة[3].

- كانت ألقاب العائلات ثلاثية: والمتتبع للمنظومة اللقبية في المنطقة يجد أنها كانت ثلاثية ، لكن بفعل الحالة المدنية التي أقرتها الإدارة الفرنسية أحدثت فيها تغييرات وتشوهات، ومن بين العائلات التي كانت متواجدة على سبيل المثال لا الحصر نذكر:

أحمد خوجة بن عبد الكريم.

الطيب بن أحمد الزروق.

حسين بن علي خوجة وغيرهم[4].

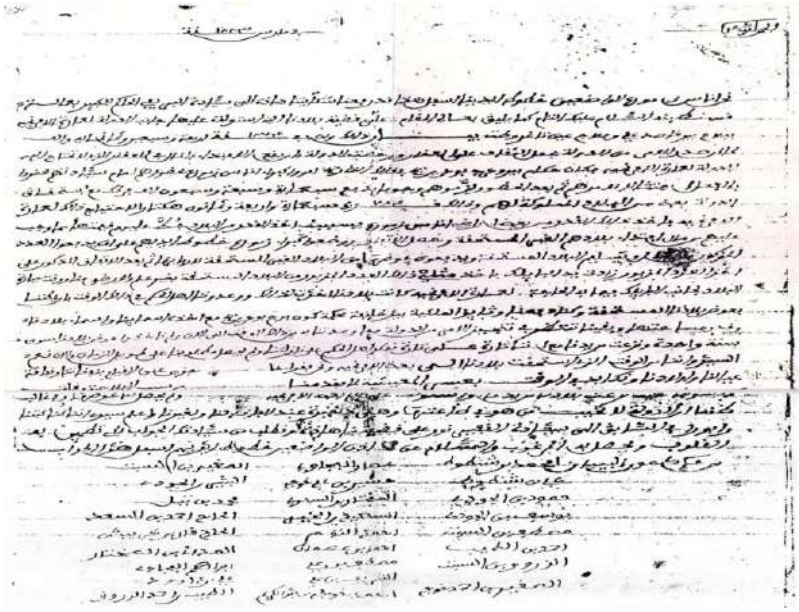

وثيقة أعيان زمورة لحاكم قسنطينة **1883**م

- مغالطات في المصطلح والأسماء: إن المتعمق في البحث، والمتخصص في منطقة معينة من المناطق كلما غاص في البحث والتنقيب، والقراءة والتحليل في الوثائق والمخطوطات وكل ما له علاقة بموضوع بحثه سيجد الكثير من الأخطاء، والمغالطات، وبحكم أنه تتبع تلك المصطلحات وأخضع ما بحث عنه للمناهج العلمية، فإنه سينبه إلى ضرورة الانتباه للأخطاء التي وقع فيها من سبقه في البحث.

ومن خلال بحثنا في منطقة من المناطق وغوصنا في تاريخها تبين لنا العديد من المغالطات التي دونت عن غير عمد، سواء نقلا أو ترجمة، ولذلك سنعطي نماذج عن تلك المغالطات في بعض المصطلحات والتي وقفنا عليها في الدراسة:

- **كمون:** هي من اللغة الفرنسية (commune) التي تعني بلدية. وقد وردت في العديد من الوثائق والمراسلات في المنطقة، من بينها رسالة أعيان منطقة زمورة لحاكم عمالة قسنطينة سنة **1883**م [5].

- **طماسير:** هذا المصطلح الذي وقفنا عليه وحققنا في صحته، نشر في كتاب عمار هلال الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام[6]، ووصل الأمر إلى أن هنالك من حاول التأسيس للمصطلح على مواقع التواصل والأنترنيت، هذ ما دفعنا للاشتغال على هذا المصطلح والتنقيب في مختلف الوثائق والقرارات الصادرة عن الإدارة الفرنسية خلال الاحتلال من **1830**م إلى **1962**م.

كما حاولنا التنقيب عن جذور هذا المصطلح قبل الاحتلال الفرنسي فلم نجد له لا جذر ولا فرع ، وبعد التحريات والتدقيق فيما كتب وجدنا أن الدكتور عمار هلال ترجم اسم المنطقة عن تقرير حاكم البيبان أنداك، والكتابة الصحيحة للمنطقة (tasameurt) تسامرت وهو الحكم الذي خرجنا به [7].

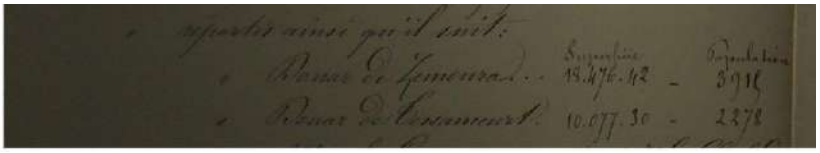

- **أولاد طيار:** وردت هذه الكلمة عن طريق الخطأ في ترجمتها عند عمار هلال في كتابه الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، نقلا عن تقرير حاكم البيبان[8] وبعد تتبعنا وبحثنا في الوثائق وجدنا أن الكلمة المقصودة هي أولاد ثاير وهو ما تبينه وثيقة من وثائق القرار المشيخي **22** أفريل **1863**م في علبة الأرشيف المحفوظة في آكس أن بروفانس[9].

أما عن الطيار فيما ورد في السير أنه كان عالما ومن ذوي الصلاح حيث يقول الورثيلاني عنه هذا العالم سيدي علي الطيار: الولي الصالح والقمر الواضح سيدي علي الطيار معظم في الصحراء والتل وأولاده كذلك إلى الآن لا سيما الشيخ سيدي محمد بن المبارك وأولاده نفعنا الله بهم آمين... ومن زمورة وأولاد بوشيبة، وهم شرفاء أهل فضل وبركة، وقد رأيت في بعض رسوم الشرفاء...[10].

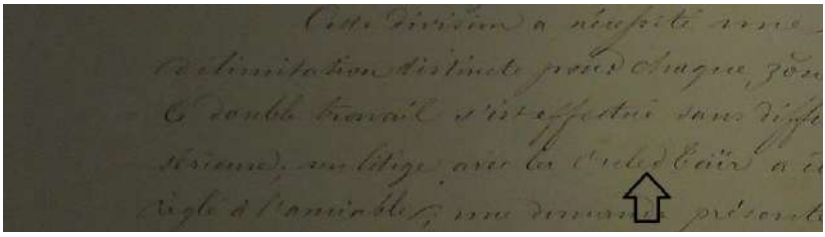

- أولاد بوناب: كتبت في تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين في التقرير السياسي والعسكري لولاية برج بوعريريج ، باسم خاطئ حيث وردت دشرة أولاد بوناب وأولاد موصلي[11]، أما الاسم الصحيح فهو أولاد البواب[12].

- أولاد موصلي: كتبت في تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين في التقرير السياسي والعسكري لولاية برج بوعريريج، باسم خاطئ حيث وردت دشرة أولاد بوناب وأولاد موصلي[13]، والاسم الصحيح للقرية أولاد مونة[14].

- بوختالة: كتب في تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين في التقرير السياسي والعسكري لولاية برج بوعريريج، باسم خاطئ بوختالة الحسين، وبعد تحقيقنا وبحثنا في الاسم وجدنا أن الاسم الصحيح بوخالفة الحسين. كتب عن طريق الخطأ في التقرير العسكري ولقبه في التقرير بوختالة، وقد قمنا بتصحيحه[15]، وبوخالفة الحسين بن عبد الله: من مواليد سنة **1928**م بتسامرت من أسرة بسيطة شب وترعرع، حيث تميز بحسن القراءة والكتابة (كان الأطفال آن ذاك يلتحقون بالكتاب في سن متقدمة حيث كانت الكتاتيب منتشرة آنذاك بزمورة، لما بلغ سن الرشد هاجر إلى فرنسا، وعند عودته إلى أرض الوطن التحق بالتنظيم المدني إلى غاية سنة **1957**م حيث وشى به الحركى للمستعمر ففر ليجند في صفوف جيش التحرير بقي على جهاده

ونضاله إلى غاية اشتباكه مع رفقائه من المجاهدين ضد قوات العدو في معركة دامية دامت من الصباح إلى المساء سقط بميدان الشرف سنة **1961**م[16]. كما وجدنا منطقة بهذا الاسم ونشبت بها معركة سميت باسمها: معركة بوختالة[17].

- **مدوح:** هذا اللقب لا يوجد بزمورة، يرجح أنه مذبوح بدل مدوح، وقد ترجمه عمار هلال عن طريق الخطأ، أنظر الحالة المدنية لبلدية برج زمورة[18].

- **مصبوح:** تم ذكر هذا اللقب لـ: مصبوح علي من زمورة في قائمة المساجين في السجون الألمانية، الذي يُعده مركز الإعلام عن المساجين، حيث لا يوجد هذا اللقب في زمورة وإنما اللقب الذي عثرنا عليه في الحالة المدنية هو مذبوح[19]، وقد قمنا بالبحث في قوائم أخرى حيث أثبت في القائمة **27** باسم مذبوح وليس مصبوح، إلا أننا وجدنا أنهم أخطأوا في كتابة المنطقة فبدل كتابة حرف الراء، كتبوا حرف النون[20].

- **الرابطة: غابة وجبل، الرابطة: بلدية:** توجد منطقتان تحملان هذا الاسم الأولى تابعة لزمورة (جبل الرابطة) بجبال البيبان، والثانية (بلدية الرابطة)، بجبل المعاضيد، من بلديات برج بوعريريج، وتذكر المراجع أن بن الأحرش لما عمت ثورته على العثمانيين الأتراك، تم القضاء عليه في الرابطة قرب سطيف ولم تتعرض المراجع بالتفصيل عن المنطقة[21].

- **تشابه أسماء الأماكن:** عديدة هي الأسماء المتشابهة التي وقفنا عليها لكننا سنخصص أنموذجاً واحدا.

- **زمورة:** خلال بحثنا وجمعنا للمصادر والمراجع التي تخص المنطقة المخصصة بالدراسة، وجدنا العديد من المناطق بهذا الاسم، ليس في الجزائر فحسب بل في مختلف دول العالم زْمُورَة، زْمُّورَة، زْمُّوراه أو زْمُّورَه، وهي التي كانت تابعة لدائرة مستغانم، عمالة وهران وكتبت بالحرف اللاتيني على الشكل التالي: (Zemourah) (Zemmoura) (Zemora)[22] وهي حاليا تابعة لولاية غليزان[23] وما يلاحظ أن هنالك اختلافات كثيرة في

كتابتها، بلغ تعداد سكانها في القرن التاسع عشر **3219** نسمة[24]، وهناك منطقة أخرى زَمُورَة أو زَامُورَة، وهي مدينة بإسبانيا، وتكتب بالحرف اللاتيني على النحو التالي: (Zamora)[25] أو (Smoura)[26] وتوجد منطقة أخرى بهذا الاسم في مصراتة بليبيا[27] كما توجد منطقة أيضا بهذا الاسم بالجزائر وبالتحديد في بلدية المزيرعة التابعة لولاية بسكرة[28].

ونبقى في الجزائر وبالتحديد في الغرب الجزائري توجد منطقة أخرى في لالة مغنية تابعة لقسمة تلمسان في القرن التاسع عشر بلغت مساحتها **3200** هكتار يسكنها **278** عربي و**119** أوربي[29] وتوجد منطقة بهذا الاسم في المكسيك بلغ عدد سكانها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين **1200** نسمة[30] ومنطقة أخرى متواجدة في فنزويلا بلغ عدد سكانها **70000** نسمة بداية القرن العشرين[31] وهنالك تسميات لمناطق بالمغرب متشابهة جدا مع الأماكن التي ذكرناها سابقا خصوصا في طريقة كتابتها بالحروف الفرنسية[32].

وما يمكن قوله أن تسمية زمورة توجد في مناطق كثيرة ، خصوصا في شمال أفريقيا من مصر إلى المغرب، حيث يقول **غابريال كامبس** في كتابه: "في أصول البربر" ما يلي: "... ومثل الاسم السامي نجد في التوبونيميا كلمة آزمور، زمورة ومجال انتشار الاسم يمتد من مصر إلى المغرب..."[33].

- توظيف المصدر الجزائري في البناء التاريخي

- قراءة في التنظيم الإداري للجزائر

المتتبع للتنظيم الإداري وحدود الأقاليم والولايات في الجزائر يجدها قد مرت بمراحل إلى غاية استقرارها على الشكل الحالي، لكن التغيرات الكبيرة التي شهدتها الحدود الإدارية تمثلت في فترة الاحتلال الفرنسي، وبحكم أن مداخلتنا، تتحدث عن دور البحث في التاريخ المحلي في بناء التاريخ الوطني، وأيضا ممثلين عن جامعة من جامعات الوطن المشاركة في ملتقى الذاكرة سنخصص منطقة برج بوعريريج كأنموذج للدراسة حول التنظيم الإداري:

- من خلال رجوعنا للخريطة الإدارية لسطيف في **28** جوان **1956**م نجدها كانت تتكون من ثلاث دوائر وهي سطيف، بجاية، برج بوعريريج[34].

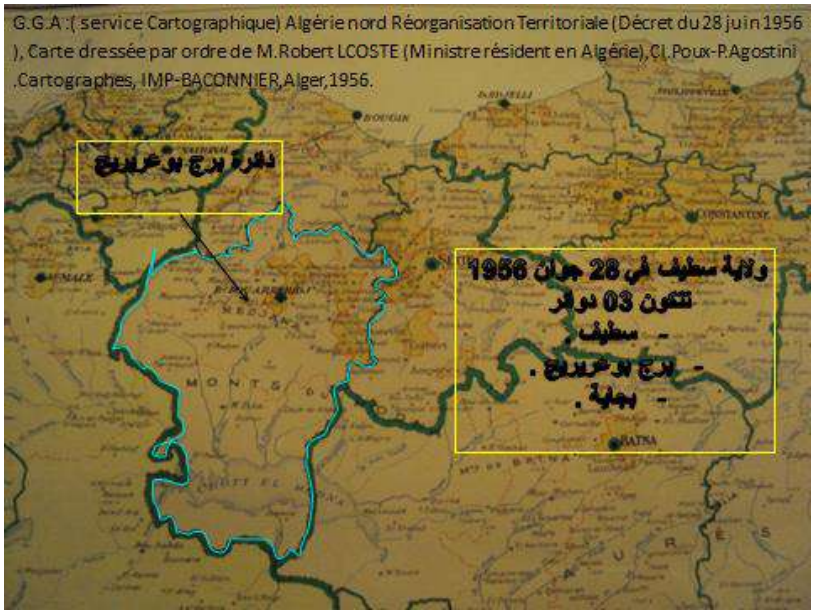

بموجب المرسوم الصادر في **7** أوت **1956**م تم تقسيم الجنوب إلى عمالتين وهما الواحات والساورة وأعطي لهما الرقمين (A**8**) و(B**8**) على التوالي.

وفي **17** مارس **1958**م تمت إضافة العديد من التقسيمات والتنظيمات الإدارية أضيفت من خلاله عمالات كل من بجاية، أومال [سور الغزلان]، وسعيدة، لكن بموجب مرسوم **7** نوفمبر **1959** تم إلغاء كل من بجاية وأومال [سور الغزلان].

ومن خلال التنظيم الإداري لسنة **1958**م أصبحت سطيف تتكون من **09** دوائر[35].

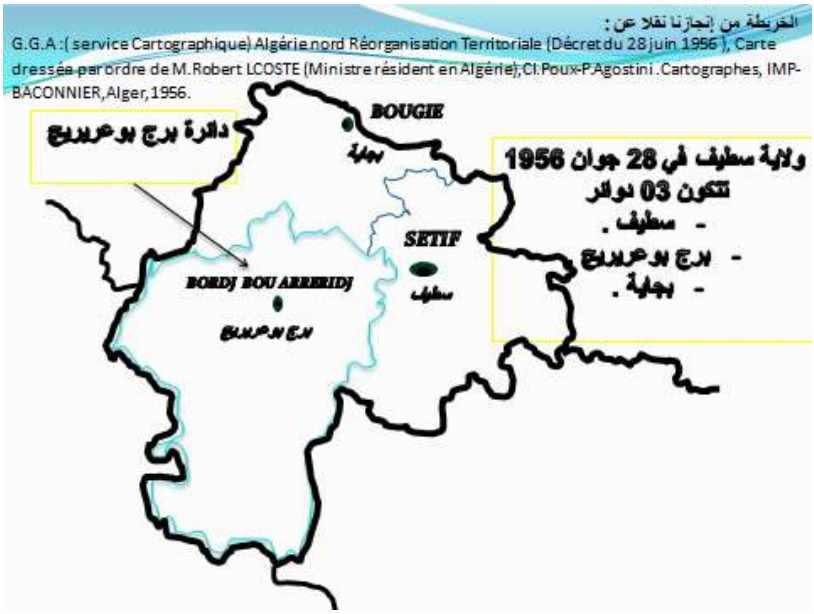

بعدما كانت برج بوعريريج الواقعة جنوب غرب سطيف، وهي الدائرة التي تحدها من الشرق سطيف والجنوب الشرقي باتنة (بريكة)، ومن الغرب والجنوب الغربي المدية (أومال "سور الغزلان"، ومن الشمال بجاية[36]، جاء تقسيم **1958**م ليتم استحداث دوائر جديدة، فأضيفت ستة دوائر جديدة.

وبذلك تم فصل المسيلة عن برج بوعريريج لتكون دائرة ، وفي حدود شمال برج بوعريريج تم إنشاء ثلاث دوائر بالإضافة إلى دائرة سطيف فأصبحت الدوائر التي تحد برج بوعريريج من ناحية الشمال والشمال الشرقي كالتالي: أقبو، سيدي عيش، لافاييت "بوقاعة"، سطيف.

ومن خلال الخريطة المرفقة يتوضح لنا بداية تشكل حدود برج بوعريريج التي ستبقى على حالها بدون تغيير كبير[37].

ومن هذا المنطلق كان لزاما علينا البحث عن البلديات المكونة لدائرة برج بوعريريج، حيث وجدنا ضالتنا في علبة الأرشيف للمصالح الإدارية المتخصصة بزمورة، وقد كانت دائرة برج بوعريريج تتكون من ثلاث وثلاثون بلدية وهي على النحو الآتي: بن داود، بني وقاق، بيبان، المهير، منصورة، اربيعة، ثنية الخميس، مزيتة، القصور، مكارتة، مجانة، بوندة، القلة، جعافرة، تفرق، تسامرت، أولاد دحمان، برج بوعريريج، لوكورب، برج الغدير، سيريز، بول دومي، زمورة، أولاد ثاير، دافوست، ماك دونال، عين تاغروت، تيكستار، لاباربيني، طوكفيل، زمالة، أولاد براهم، تقليعت[38].

- الخريطة الإدارية لبرج بوعريريج بعد استرجاع السيادة الوطنية من 1962م إلى 2015م: المطلع المتتبع للخريطة الإدارية لبرج بوعريريج لا يجد تغييرا كبيرا في الحدود الإدارية، سواء تقلصها أو توسعها على حساب ولايات أخرى، والتغيير الذي طرأ عليها هو أسماء بعض البلديات التي كانت بتسميات فرنسية، والبعض الآخر كانت بتسميات جزائرية وتم تغييرها أيضا ونجد أن البلديات بعدما كانت ثلاثة وثلاثون بلدية أصبحت أربعة ثلاثون بلدية بإضافة العناصر[39].

بموجب المرسوم **63-189**، أن برج بوعريريج دائرة من دوائر ولاية سطيف، وكانت تتكون سطيف من **09** دوائر **61** بلدية:

حيث أصبحت دائرة برج بوعريريج تتكون من **11** بلدية (عين تاغروت، برج الغدير، زمورة، طوكفيل، برج بوعريريج، المهير، مجانة، بول دومي، برج مجانة، منصورة، لوكورب)؛ **1-** عين تاغروت تتكون من البلديات القديمة (عين تاغروت، ماك دونال، تيكستار دافوست، أولاد ثاير) **2-** برج الغدير تتكون من البلديات القديمة (برج الغدير، زمالة، تقلعيت) **3-** زمورة تتكون من البلديات القديمة (زمورة، تسامرت، أولاد دحمان) **4-** طوكفيل تتكون من البلديات القديمة (طوكفيل، أولاد ابراهم) **5-** برج بوعريريج تتكون من البلدية القديمة (برج بوعريريج) **6-** المهير تتكون من البلديات القديمة (بن داود، بني وقاق، بيبان، المهير) **7-** مجانة تتكون من البلديات القديمة (مجانة، بومشادة [نواحي بوندة]، ثنية الخميس) **8-** بول دومي [سيدي مبارك] تتكون من البلديات القديمة (بول دومي، سيري، لابابيني) **9-** برج مجانة تتكون من البلديات القديمة (جعافرة، القلة، تفرق) **10-** منصورة تتكون من البلديات القديمة (منصورة، مزيتة، اربيعة) **11-** لوكورب تتكون من البلديات القديمة (لوكورب، القصور، مكارطة [مكارتة])[40].

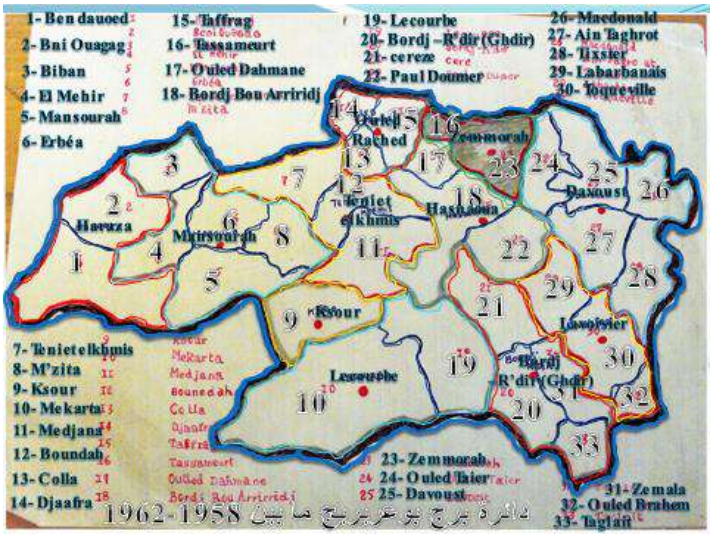

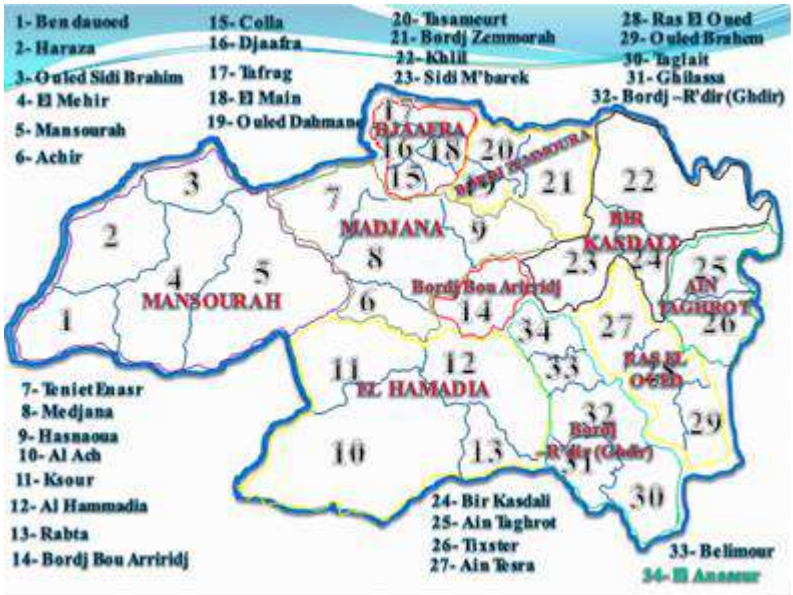

وقد تم إصدار مجموعة من المراسيم والقرارات المنظمة للولايات والدوائر والبلديات من بينها: الأمر رقم **74-69** مؤرخ في **12** جمادى الثانية عام **1394** الموافق **2** جويلية **1974**م يتعلق بإصلاح التنظيم الإقليمي للولايات، الذي أقر بتقسيم القطر الجزائري إلى إحدى وثلاثون ولاية، وجاء في المادة رقم **23**: تتكون ولاية سطيف التي يحدد مقرها بسطيف من:

1- دائرة سطيف **2**- دائرة برج بوعريريج. **3**- دائرة العلمة. **4**- دائرة العين الكبيرة (باستثناء بلدية خراطة)، **5**- دائرة بوقاعة، باستثناء بلديتي بني ورثلان وبني شبانة، **6**- بلدية جميلة المنفصلة عن دائرة ميلة[41] والمرسوم رقم **74-142** المؤرخ في **22** جمادى الثانية عام **1394**هـ الموافق لـ **12** جويلية **1974**م، الذي يتضمن تحديد الحدود الإقليمية وتكوين ولاية سطيف[42].

وقانون رقم **84-09** المؤرخ في **02** جمادى الأولى **1404**هـ الموافق لـ **04** فيفري **1984**م المتعلق بالتنظيم الإقليمي للبلاد حيث جاء في المادة **38** من أن ولاية برج بوعريريج تتكون من البلديات التالية: (رأس الوادي، برج زمورة، برج بوعريريج، المنصورة، المهير، بن داود، اليشير [الياشير]، عين

تاغروت، برج الغدير، سيدي مبارك، الحمادية، بليمور، مجانة، ثنية النصر، جعافرة، إلماين، أولاد براهيم [أولاد ابراهم]، أولاد دحمان، حسناوة، خليل، تاقليعت [تقليعت]، القصور، أولاد سيدي ابراهيم، تفرق، القلة، تيكستار، العش، العناصر، تسامرت، عين تسرة، بئر قاصد علي، غيلاسة، الرابطة، حرازة[43].

ثم جاء بعده مرسوم التقسيم والتنظيم بموجب المرسوم رقم **84-79** في **3** أفريل **1984** بتقسيم جديد للقطر الجزائري إلى **48** ولاية، وفي مادته الأولى، فأصبحت ولاية برج بوعريريج تحمل الرقم **34**، ومقر الولاية في مدينة برج بوعريريج، وتم تحديد الدوائر والبلديات والمناطق التابعة لها[44].

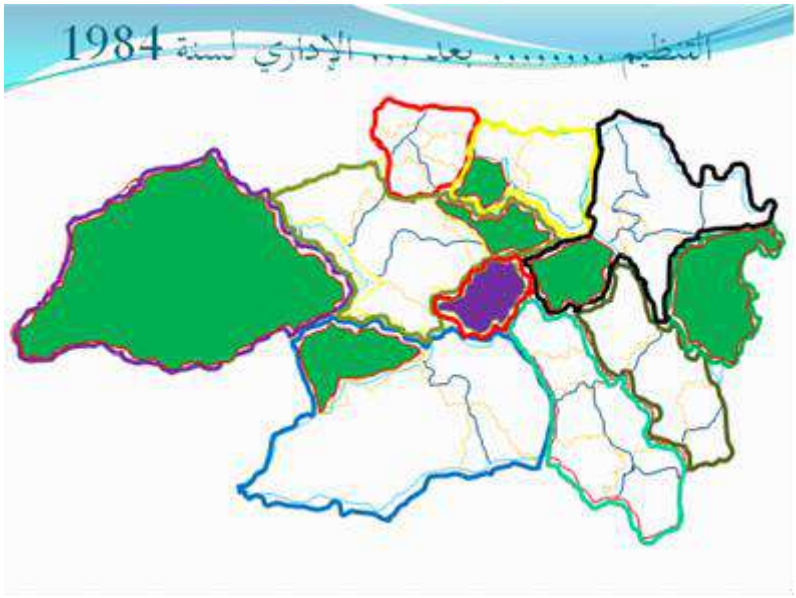

ومن خلال مقارنتا لمختلف ما جاء في التنظيمات الإدارية لاحظنا أن بعض البلديات تم دمجها مع بعضها لتشكل دائرة، والبعض الآخر تم فصله عن بلديات أخرى وأضيف لبلديات أخرى ، والبعض الآخر فصل أيضا وتمت ترقيتها إلى دوائر، وخلصنا إلى إنجاز هذه الخرائط الموضحة لأهم البلديات المدمجة والمفصولة[45].

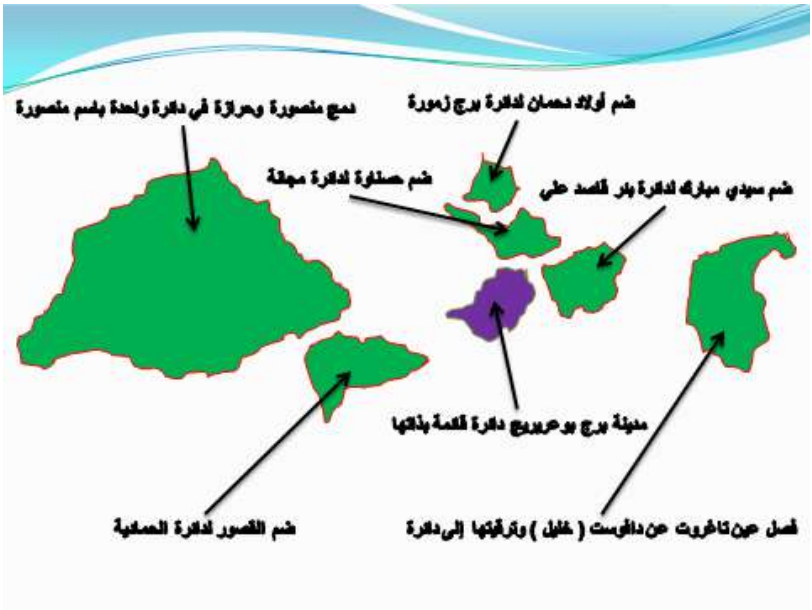

- الهوامش

(1) سمير بن سعدي: **رسالة أعيان زمورة إلى حاكم عمالة قسنطينة 1883 دراسة وثيقة، مجلة قضايا تاريخية**، العدد **15**، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة، سبتمبر **2021**، ص ص**48-61**.

(2) المرجع نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) نفسه.

(6) أنظر التقرير المترجم عن حاكم البيبان المختلطة في كتاب عمار هلال: **الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، **2007**م، ص ص **269-271**.

(7) Voir les boites d'archives en centre Aix en Provence ; C.A.O.M : SAS DE ZEMMORAH, **9** SAS **128-129**. Et C.A.O.M : **1**M**69**, Dossier, n=° :**252**.

(8) أنظر ترجمة التقرير في كتاب عمار هلال: المرجع السابق، ص ص**269-271**.

(9) C.A.O.M : **1**M**69**, Dossier, n=° :**252**.

(10) أنظر الورثيلاني: **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** (الرحلة الورثيلانية)، تعليق: بن مهنا القسنطيني، طبعة خاصة، مج**1**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، **2011**م، ص**116**؛ أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، ج**2**، موفم للنشر، الجزائر، **1991**م، ص**119**.

(11) المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية برج بوعريريج: **التقرير السياسي والعسكري الشامل لأحداث الثورة للسنوات الثلاث 1956-1957-1958**، اللجنة الولائية، د ت.

(12) سمير بن سعدي: **السياسة الفرنسية بزمورة المصالح الإدارية المتخصصة أنموذجا 1956-1962"**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، إشراف: بوضرساية بوعزة، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر **2** أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية: **2021**م، ص**113**.

(13) المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية برج بوعريريج: **التقرير السياسي والعسكري** ، المصدر السابق.

(14) بخصوص قرية موصلي وأصولها أنظر ف. أكاردو: **معجم قبائل ودواوير الجزائر**، ترجمة حمزة الأمين يحياوي ومالك بن خيرة، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، **2013**م ، ص**165، 200، 227**.

(15) المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية برج بوعريريج: **التقرير السياسي والعسكري** ، المصدر السابق.

(16) أنظر المنظمة الوطنية للمجاهدين (لولاية برج بوعريريج): **قاموس الشهيد**، ط**1**، ج**2**، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، **2002**م، ص**653**؛ سمير بن سعدي، **السياسة الفرنسية بزمورة**، المرجع السابق، ص**111**.

(17) أنظر المنظمة الوطنية للمجاهدين (لولاية برج بوعريريج): **قاموس الشهيد**، ج**2**، المصدر السابق، ص**615**.

(18) أنظر سمير بن سعدي، السياسة الفرنسية بزمورة، المرجع السابق، ص**57**.

(19) أنظر ح. م. ب. ب. ز: الحالة المدنية لبلدية برج زمورة.

(20) C.N.I.S.P.G (centre national d'information sur les prisonniers de guerre) : **Liste officielle n=° :27 de prisonniers français d'après les renseignements fournis par l'autorité militaire allemande** , Paris , **07** octobre **1940**,p **42**.

(21) سمير بن سعدي، السياسة الفرنسية بزمورة، ص ص**50، 51**.

(22) **Encyclopédie Universelle DICTIONNAIRE DES DICTONAIRES**, Sous la direction de Paul Guérin, T : VI, Librairie des Imprimeries Réunies, Paris, P **1216**.

(23) **J.O.R.A.D.P .D.P: 23ème Année, n=° 67, Décret** n=°: **84-365** du **1** décembre **1984** fixant la composition, la consistance et les limites territorial des communes), Mercredi **19** décembre **1984**, P **1580**.

أنظر أيضا بالعربية: ج.ر.ج.ج.د.ش: السنة الواحدة والعشرون، العدد **67**، **مرسوم رقم 84-365** مؤرخ في **8** ربيع الأول **1405**هـ الموافق لـ **01** ديسمبر **1984**م (يحدد تكوين البلديات ومشتملاتها وحدودها الإقليمية)، الأربعاء **26** ربيع الأول **1405**هـ/ الموافق لـ **19** ديسمبر **1984**م، الجزائر، ص**2331**.

(24) **Encyclopédie Universelle DICTIONNAIRE DES DICTONAIRES** , op. cit.,p **1216**.

(25) **LAROUSSE UNIVERSEL** EN **2** VOLUMES, Nouveau Dictionnaire encyclopédique publié sous la direction de Claude Augé , T**2** , Librairie la Rousse ,Paris ,**1923** ,p**1277**.

(26) **ARNAUD :" Voyages Extraordinaires et nouvelles agréables par Mohamed Abou Ras Ben Ahmed Ben Abd El-Kader En-Nasri Histoire De L'Afrique Septentrional "**,in **Revue Africaine** ,Volume **25**, Année **1881** ,A. Jourdan Libraire-éditeur , Alger , **1881**,p**287.** et Henri Flamarion et autres : **DICTIONAIRE USUEL ULLSTRE** , LIBRAIRIES QUELLET FLAMMARION , Paris , **1980**, P **1937**.

(27) Source : tamzgha.wordpresse.com.

(28) **J.O.R.A.D.P: Décret** n=°: **84-365** du **1** décembre **1984**, op.cit., p **1489**.

أنظر أيضا ج.ر.ج.ج.د.ش: السنة الواحدة والعشرون، العدد **67**، **مرسوم رقم 84-365**، المصدر السابق، ص**2193**.

(29) **Dictionnaire des communes de L'Algérie** Villes, Villages, Hameaux, douars, postes militaires, bordjs, oasis, Pierre Fontana Imprimeur-éditeur, Alger, **1903** ,p**204**.

(30) **LAROUSSE UNIVERSEL** EN **2** VOLUMES, op. cit, p **1277**.

(31) Ibid.

(32) **le Petit Parisien**, **37**e année, N=°: **13048**, Samedi **20** Juillet **1912**, Paris, p **3**. et Voir **le Petit Parisien**, Trente et unième année, N=°: **10996**, Jeudi **06** Décembre **1906**, Paris, p **3**.

(33) غابريال كامبس: **في أصول بلاد البربر ماسنيسا أو بدايات التاريخ**، ترجمة وتحقيق: العربي عقون، ط**2**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، **2012**م، ص**170**.

(34) أنظر بتفصيل مقالنا سمير بن سعدي: **تشكل الخريطة الإدارية لبرج بوعريريج من العهد العثماني إلى يومنا، مجلة الابراهيمي للعلوم الاجتماعية والإنسانية**، ع**08**، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد البشير الابراهيمي "برج بوعريريج"، جوان **2021**م، ص**37**.

G.G.A :(service Cartographique) **Algérie nord Réorganisation Territoriale** (Décret du **28** juin **1956**) carte dressée par ordre de: M. Robert Lacost , Echelle **1**/**1.500.000** Cartographes **1956**.

(35) سمير بن سعدي، **تشكل الخريطة الإدارية لبرج بوعريريج**، ص**37**.

D.G.G.A: (service Cartographique): Algérie Limites Administratives, Carte dressée par ordre du Général d'armée Raoul SLAN,CI. Poux - P. Agostini. Cartographes, IMP-BACONNIER, Alger, **1958**.

(36) سمير بن سعدي، **تشكل الحدود الادارية لبرج بوعريريج**، ص**37**.

(37) D.G.G.A: (service Cartographique): Algérie Limites Administratives, Carte dressée par ordre du Général d'armée Raoul SLAN, CI.Poux - P. Agostini. Cartographes, IMP - BACONNIER, Alger, **1958**.

(38) C.A.O.M : carton n=°:**9** S.A.S **128**-**129**, S.A.S DE ZEMMORAH.

(39) سمير بن سعدي، **تشكل الخريطة الإدارية لبرج بوعريريج**، ص**38** وما بعدها.

(40) journal officiel De La République Algérienne, **2**ème, Année, N°**35**, **Ordonnance n° 63-189 du 16 mai 1963**, vendredi **31** mai **1963**, Alger, pp **566**-**568**.

(41) الجريدة الرسمية الجزائرية: السنة الحادية عشر، العدد **55**، أمر رقم **74–69** مؤرخ في **12** جمادى الثانية **1394**هـ الموافق **2** جويلية **1974**م، **19** جمادى الثانية **1394** الموافق لـ **09** جويلية **1974**م، الجزائر، ص**754**.

journal officiel De La République Algérienne, **11**ème, Année, N°**06**, **Ordonnance n° 74-69 du 02 juillet 1974**, Mardi **09** Juillet **1974**, Alger, p **610**.

(42) الجريدة الرسمية الجزائرية: السنة الحادية عشر، العدد **57**، أمر رقم **74–70** مؤرخ في **21** جمادى الثانية **1394**هـ الموافق لـ **11** جويلية **1974**م، **26** جمادى الثانية **1394** الموافق لـ **16** جويلية **1974**م، الجزائر، ص**787**.

journal officiel De La République Algérienne, **11**ème, Année, N°**06**, **Décret n° 74-142 du 12 juillet 1974**, Mardi **16** Juillet **1974**, Alger, p **632**.

(43) الجريدة الرسمية الجزائرية: السنة الواحدة والعشرون، العدد **06**، **قانون رقم 84–09** مؤرخ في **2** جمادى الأولى **1404**هـ الموافق لـ **4** فيفري **1984**، الثلاثاء **05** جمادى الأولى **1404**هـ الموافق لـ **07** فيفري **1984**م، الجزائر، ص**149**.

(44) journal officiel De La République Algérienne, **23**ème, Année, N°**06**, **Loi n° 84-09 4 février 1984**, Mardi **07** Février **1984**, Alger, p**109** et journal officiel De La République Algérienne, **23**ème Année, N°**14**, **Décret n° 84-79** du **03** avril **1984**, Mardi **03** Avril **1984**, Alger, p **296**.

(45) أنظر بالتفصيل سمير بن سعدي، تشكل الخريطة الإدارية لبرج بوعريريج، ص**38–47**، **56**، **57**.

دور الرّواية الشفوية في كتـابة التـاريخ الوطني
-تـاريخ مدينة المنيعة أنموذجـا-

الأستـاذ: عبد الرحمـان نواصر
جـامعة أمين العقـال الحـاج موسى أق خموك - تـامنغست

- مقدمة

تمثل فترة الثورة التحريرية (**1954-1962**) مرحلة مهمة وحاسمة في تاريخ الصحراء الجزائرية، مما جعلها تعرف أحداثا تاريخية كثيرة تداولتها مختلف المصادر: من وثائق، وتقارير رسمية...، ولعلّ من أهم هذه المصادر التي لا يمكن للباحث الأكاديمي الإغفال عنها هي الروايات الشفوية المدونة كانت أو المسجلة (بالصوت والصورة)، ومن هنا ترتكز دراستنا على معالجة إشكالية دور الرواية الشفوية في كتابة التاريخ الوطني عامة، وفي كتابة دور مدينة المنيعة في فترة الثورة بصفة خاصة أنموذجا.

لا يمكن الاستغناء عن الرواية الشفوية كونها مكملة في عملية توضيح وتفسير تطور الأحداث، وفي بعض الأحيان نجدها هي السيدة في ظل غياب الوثائق. ومن بين التعريفات الخاصة بالرواية الشفوية نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "نعني بالخبر الوصف الشفوي للواقعة، والتاريخ بالخبر هو تاريخ الأحداث المبني على المرويات المتوارثة شفويا جيلا عن جيل، ويمثل هذا النوع جزءا كبيرا من مراجع المؤرخين إلى يومنا هذا"[1]. ويجب أن يخضع هذا الخبر لعملية التمحيص، والتي من أهم نقاطها النظر لشخصية الرّاوي، ومضمون روايته، وذلك بإخضاعها للتعديل والتجريح[2]، وبالتالي هناك منهج له قواعد يجب على الباحث الذي يعتمد على الرواية الشفوية اعتمادها[3].

ساهمت الرّواية الشفوية والمدونة والمسجلة سمعيا وبصريا في كتابة تاريخ المنيعة عامة، وكتابة تاريخ مساهمتها في الثورة التحريرية خاصة بشكل كبير، ونركز على بعض الروايات المدونة والمسجلة كنموذج في هذه الدراسة والتي تمّ تدوينها وضبطها من جهة رسمية مثل المنظمة الوطنية للمجاهدين ناحية المنيعة ونرصد ذلك بداية من سنة **1982**م، وأطلقنا على هذه المدونة "مدونة جماعة الطالب حمه بلحاج"، بالإضافة إلى الروايات التي تخصّ مجموعة من المجاهدين الذين كان لهم دور بارز في هذه الأحداث مثل: بلخير حمو بن محمد"، والمجاهد "بلكحل محمد" الذي تمّ له تسجيل على مستوى متحف المجاهد بمتليلي، وأولاد حيمودة محمد الذي كتب مذكراته والتي لم تنشر بعد.

1- الاهتمام بالرّواية الشفوية كمصدر لتاريخ المنيعة خلال الثورة التحريرية

قبل الخوض في سرد الأحداث التي وردت في هذه الروايات الشفوية نعرف بالمنيعة ضمن الولايات الثورية:

المنيعة هي ضمن الولاية السادسة المنطقة **03**، الناحية **03**، وكانت هذه الناحية في الأول تحت إشراف الملازم الأول العسكري" قرمة بوجمعة" ثم في شهر جانفي وفيفري **1961** الملازم الأول السياسي "أحمد شرودة" وبعد إلقاء القبض عليه تولى المسؤولية الملازم الأول السياسي رابح لبيض، وفي أواسط أوت **1961**م تولى المسؤولية الملازم "سعيد عبادو" والملازم الأول العابد زروال إلى أن ألقي عليهما القبض في أكتوبر**1961**، وبعد ذلك تولى المسؤولية الملازم الثاني "رشيد الصائم" إلى آخر مارس **1962**، وفي شهر أفريل **1962** تكونت المنطقة الخامسة تحت مسؤولية الضابط الثاني "علي شريف".

تكون الناحية الثالثة من **04** قسمات هي[4]:

- قسمة **59** وتضم (غرداية - الضاية - بريان - القرارة) ومن قادتها الدرام الهاشمي.

- القسمة **60** وتضم (متليلي - المنيعة - زلفانة حاسي لفحل - المنصورة - بني يسقن - بنورة والعطف) ومن قادتها أولاد حيمودة محمد.

- قسمة **61** وتضم: (عين صالح، وقراها) ومن قادتها الشهيد "مصبح بغداد.

- قسمة **62** وتضم: تمنغست وقراها ومن قادتها الشهيد بوصبيع محمد.

وخلف المجاهد الزهار يحي كل من: مصباح بغداد في عين صالح، وبوصبيع محمد في تامنغست عندما استشهدا.

ساهمت أطراف عديدة في تدوين وتسجيل الرّواية الشفوية التي تخصّ تاريخ المنيعة بشكل عام وتاريخها خلال الثورة التحريرية بشكل خاص، ومن بين هذه المساهمات نجد: الجهات الرسمية مثل المنظمة الوطنية للمجاهدين ناحية المنيعة، والتسجيلات التي تمت على مستوى متحف المجاهد متليلي، والمقابلات بين الباحثين والمجاهدين، والمبادرات الشخصية من طرف بعض المجاهدين بعد تحفيزهم كتبوا مذكراتهم مثل المجاهد أولاد حيمودة محمد[5]. ونتتبع من خلال هذه الدراسة ثلاثة نماذج للرواية الشفوية لتاريخ مدينة المنيعة حيث نجد: الرواية الشفوية المدونة، والرواية الشفوية التي أجريناها عن طريق المقابلة، والرواية الشفوية المسجلة بالصوت والصورة في متحف المجاهد بمتليلي.

2- المبادرة الرسمية لتدوين الرواية الشفوية لجماعة الطالب حمة بلحاج[6]

سميتها باسم هذه الشخصية البارزة وذلك لما كانت تتمتع به من مستوى ثقافي ووعي سياسي، والدور الكبير في الثورة التحريرية، وتتلخص هذه المبادرة التي تمّ تنظيمها من طرف هذه الجماعة والتي تتكون من

المجاهدين: (بلحاج الطالب حمه، الحاج قويدر قويدر، والزهار يحي)، وسميتها بالرسمية كونها كانت منظمة من طرف المنظمة الوطنية للمجاهدين لناحية المنيعة، ورئيس المجلس الشعبي البلدي ونائبيه سنة **1982**م[7]. وتعرضنا لهذه المدونة بالدراسة في مقال منشور وضحنا فيه حيثيات ما تضمنته هذه المدونة [8].

3- "محمد جغابة"[9] دور المنيعة في الثورة التحريرية من خلال مذكراته

يعتبر محمد جغابة من المجاهدين الذين ساهموا بشكل كبير في تقديم معلومات مهمة ودقيقة عن الثورة التحريرية، خاصة منطقة الجنوب الجزائري، وتعود هذه الأهمية كونه كان من العناصر الشابة التي تولت القيادة من خلال توليها مسؤوليات مصيرية من خلال قيامه بمهمات صعبة، وبالتالي فهو من العناصر التي ساهمت في صنع الأحداث التاريخية، وفي نفس الوقت قام بإدلاء شهادته التاريخية التي أنارت لنا الكثير من الزوايا المظلمة في تفسير الوقائع والأحداث التاريخية، خاصة تلك التي غفلت عنها التقارير والمصادر، ومن بين المناطق التي استفادت من هذه الشهادة التاريخية مدينة المنيعة التي خصها بحديثه كون مدينة المنيعة تشكل نقطة من النقاط التي تشملها مهمته، وكذلك نقطة عبور نحو الجنوب الكبير.

هذه الشهادة التاريخية المهمة عرفتنا على ما كان يحدث بمنطقة المنيعة خلال الثورة التحريرية، بل أجابتنا على أمور ظلت غامضة حتى إدلائه بمعلومات فسرت لنا كثير من الأحداث والمواقف التي خصت شخصيات من مدينة المنيعة خلال فترة الثورة، ومن بين هذه المعلومات المهمة نذكر:

ذكر بعض الأسر الثورية بمدينة المنيعة، والتي ساهمت في إنجاح مهمته منها: عائلة "بن بيتور"، وعائلة "محمد"، وعائلة "العلمي"، وعائلة "قاسم" وغيرها والتي كانت له بمثابة ملجأ يوفر له الأمن والأمان.

وأهم معلومة ثمينة قدمتها لنا شهادة "جغابة" التعريف بمواقف الشهيد "بوعمامة بوخشبة" هذه الشخصية التي تناولتها المصادر لكن لم توضح لنا موقفها من الحركة المصالية والتي عرفتها المنيعة، خاصة أنّ بوعمامة بوخشبة معروف بنضاله السياسي في صفوف حزب "حركة الانتصار للحريات الديموقراطية"[10]. ومن بين ما فصلت فيه مذكرات جغابة ما يلي:

- أكدت رواية جغابة أنّ "بوعمامة بوخشبة" حظر مؤتمر هورنو ببلجيكا الخاص بالمصاليين لمناهضة المركزيين وهذا ما أكّده بوعمامة لجغابة عندما التقى معه في المنيعة: "... وهكذا أخبرني بأنه سليل عائلة الشيخ بوعمامة...، ولقد حظر مؤتمر الحركة المصالية في مدينة هورنو ببلجيكا". وهذا الكلام أكّدته مدونة "جماعة الطالب حمه بلحاج" كما أشرنا سابقا.

لكن مدونة الطالب حمه لم تحدد لنا موقف بوعمامة من المصاليين وموقفه من عناصر الثورة التحريرية في المنيعة، فكان جواب "جغابة" بأنه قال له بوعمامة: "أنا لا أعرف السي الحواس ولكنني أعتبر بن بولعيد من كبار زعماء حرب التحرير، وعلى هذا الأساس فلن أشارك العدو لعبته بل أنا هنا لمساعدتكم على انجاز مهمتكم"، وهذا يدل على أنّ بوعمامة كان مدركا وواعيا بالانزلاق الذي وقع فيه المصاليون وهذا رغم حبه لمصالي لكنه آثر المسؤولية الوطنية واختار طريق الصواب معلنا بأنه سيعمل على إنجاح مهمة "جغابة"، بل أكثر من ذلك أظهر تأسفه عن أعمال "بلونيس".

أشار جغابة في روايته عن موقف يبرّئ بوعمامة بوخشبة من انتمائه للمصاليين حينما عرض على "الحاج بن بيتور" ما دار بينه وبين بوعمامة من حديث فقال له بن بيتور مطمئنًا إياه بقوله: "طمأنني بخصوص مصداقية وصدق ذلك الرّجل، ثمّ أوضح لي قائلا مهما يكن فكلانا (بن بيتور والشيخ بوعمامة كنا محل رقابة لصيقة ومازلنا كذلك، وأية عملية تحدث في المنطقة إلا ويكون من نتائجها لا محالة القبض علينا". ومنه نستنتج أنّ شخصية بوعمامة لم تسر على خطى المصاليين وإنما سارت على مبادئ

جبهة التحرير الوطني وهذا ما أكّده بن بيتور على صدق ومصداقية بوعمامة.

ما يؤكّد صدق بوعمامة أنّه عند اعتقال جغابة من طرف ثلاثة من عناصر الحركة المصالية في منطقة حاسي القارة ، ولم يذكر أسماءهم، وتمّ تحريره من طرف مناضلين في خلية حاسي القارة وكان على رأسهم "عبد السلام" و"بن تاسة" بطلب من بوعمامة، وجاء ذلك في صياغ كلام "ابن تاسة": "طلب منّا الشيخ بوعمامة أن نتحرى سبب غيابكم لأن الشكوك كانت تساوره بأنّ شيئًا كان يحاك في الخفاء"[11]. وهذا دليل واضح على صدق ومصداقية بوعمامة، فلولى نباهة بوعمامة وفطانته لفشلت مهمة "جغابة" حيث يقول: "كان الشيخ على علم بأن "قايد" الناحية على علم بتواجدنا في المنطقة ولئن لم تكن لدى الشيخ معلومات دقيقة إلا أنّ تجربته النضالية الطويلة أكسبته ثقافة سياسية مشبعة باليقظة التامة وبالقدرة على التصرف والتكيف مع المستجدات، ثقافة سياسية من مبادئها الأساسية الالتزام الصارم بالقوانين والقواعد التي تتحكم في العمل السري".

وبالتالي الدّور الذي قامت به عناصر الثورة في مدينة المنيعة وعلى رأسهم "بوعمامة بوخشبة" لا يقدر بثمن وربما كانت نهايته "جغابة" على يد المصاليين، لولا تدخل بوعمامة وجماعته وهذا باعتراف "محمد جغابة" الذي قال بهذا الصدد: "بعد أن تمّ تحريرنا من مخالب هؤلاء النشطاء في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية (M.N.A) -أي الحركة المصالية- تنفسنا الصعداء لأنّ الموت بمثل هذه السذاجة أمر غير مشرف البتة".

وبالتالي توضح لنا هذه الشهادة المخاطر والصعوبات التي كان يواجهها المجاهدون في المنطقة الصحراوية وخاصة في المنيعة وهي المحاربة على جبهتين جبهة فرنسا وجبهة المصاليين ومدى تغلغلهم في المنطقة.

4- المجاهد: بلخير حمو بن محمد[12]

التعريف بالمجاهد

بلخير حمو بن محمد: من مواليد **1938** بمدينة المنيعة ولاية غرداية عرف باسم "لويس **14**" منذ أيام الدراسة، التحق بالثورة في سن مبكر وكان ذلك سنة **1957**م.

ومما جاء في روايته:

اتصلت بالسياسي "زهار الحاج يحي" لأعمل معهم فأجاباني بأنني في سن صغيرة ولا أستطيع حفظ السر، وعدت مرة ثانية في ديسمبر**1956**م، فقبل بي بينهم في أول جانفي**1957**م، وعند هروب "الحاج يحـي الزهار" إلى الجبل والتحق بجيش التحرير الوطني فأصبحت اعمل رفقة الحاج أمحمد الشيخ بن علي والتحق هو الآخر بصفوف جيش التحرير سنة **1959**، فبقيت رفقة "حمزة بحوص بن الشيخ" رئيس مركز آنذاك. كما أنني في نفس السنة قمت بعملية الإحصاء السكاني لسكان مدينة المنيعة رفقـة المجاهد جبريط مصطفى.

وفي سنة **1960** التقيت بالزهار يحي بحيث كلفني بالالتحاق بالجيش في الجهة الشرقية الحدود الليبية حينها قمت بتقديم طلب منصب عمـل بشركة عن طريق السيد: غريب محمد وقبل طلبي والتحقت بعملي بمدينة "عين أمناس" (CREPS) **1960/09/20** مما سهل علي عملية التخطيط للهرب والاتصال بالجيش لمدة **19** يوما رفقة غريب محمد و"جيرافية السعيد" تقني في جهاز الراديو.

في يوم **1960/10/05** كانت السلطات الفرنسية على علم بأن هناك من يحاول الهرب من طرف حركي يدعى "بلخيصر" من مدينة ورقلة بحيث أن هذا الأخير كان يريد الهرب معنا وكان يعرف غريب فقط وعندما تناول مسكر أفشى السر وقال للفرنسيين إنه ينوي الهرب مع اثنين آخرين فشرعنا مباشرة في التحضير لتنفيذ خطة سريعة للخروج والالتحاق بالجيش

فكانت شاحنة من نوع (بيرلي) مشحونة بالمواد الغذائية وعتاد تجهيز في مهمة تموين مشروع لمدة شهر وكان المدعو غريب هو السائق.

ليلة **09/10/1960** على الساعة الحادية عشر ليلا دخلنا على حارس حظيرة السيارات منطقة "الجيني" وأخذنا منه سيارة من نوع جيب مجهزة بالراديو للاتصال وبصول تحديد اتجاه وبواسطة السيارة تمكنا من الحصول على **07** راديو للاتصال حجم كبير وثلاث أجهزة راديو للاتصال بالطائرات أرض جو وقطع غيار للراديو بكلفة إجمالية **400.000.00** فرنك فرنسي في ذلك الوقت.

في منتصف تلك الليلة اتجهنا بالشاحنة والسيارة المشحونتين بالعتاد نحو مدينة غدامس بليبيا ولما ابتعدنا بمسافة **240** كلم كانت الساعة السادسة صباحا بحيث كنا على بعد **10** كلم من منطقة "الدبداب" التي كان فيها مركز فرنسي، وفي تلك المنطقة تلقينا صعوبات في الاتفاق على الطريق التي نسلكها لأننا كنا لا نعرف الطريق وكنا نعتمد في سيرنا على الخريطة والبوصلة فقررت أن أغير الاتجاه كي نتفادى الوقوع في فخ المعمر. فوجدنا أنفسنا بين جبال يصعب تجاوزها مما جعلنا نخفي الشاحنة والسيارة بين الجبال، ومشينا على أرجلنا إلى مدينة "غدامس" حينما، وصلنا اتصلنا بالسلطات العسكرية الليبية بقيادة "الكلونيل فكيني" فوضحنا له وضعيتنا فقام بحمايتنا وقاموا بأنفسهم بجلب الشاحنة والسيارة للحفاظ على سلامتنا، وبعد يومين سلمونا إلى مركز عسكري لجيش التحرير "بسيدي المصري" بمدينة طرابلس تحت قيادة المقدم "الطيب فرحات أحميدة المدعو (زكرياء)، وبعد أيام استلمنا الشاحنة والسيارة وجميع العتاد الخاص بنا من طرف السلطات الليبية.

يوم **18/01/1961** رفقة "محمد الشعنبي" المدعو (لوش) التحقنا بطرابلس بعد افتتاح مركز الحدود الليبية الجزائرية المنطقة الشمالية، وهناك قمنا بمهمة تحويل الأسلحة من طرابلس إلى الشمال، وبعد افتتاح المنطقة الجنوبية في الحدود الليبية بمنطقة "غات" كنا نقوم بنفس المهام ولدينا رخصة لتسهيل القيام بهذه المهمة. وعدد المهام التي قمت بها في نفس

السنة تقدر بـــ: **98** مهمة تحويل من طرابلس إلى الحدود الشمالية، والجنوبية بكيلومترات يقدر بـــ: **34945** كلم سنويا بين ذهاب وإياب.

في سنة **1962** من شهر جانفي إلى غاية **23** مارس كنت بالمنطقة الشمالية بالحدود الليبية الجزائرية، وفي الفاتح من شهر أفريل التحقت بالمنطقة الجنوبية التابعة للحدود الليبية الجزائرية وهذا إلى غاية **28** جوان **1962** حيث عدت إلى المركز التابع لقوات جيش التحرير بطرابلس في اليوم الموالي، وفي السابع من شهر جويلية **1962** التحقت بالمنطقة الشمالية للحدود الليبية الجزائرية حيث كانت قيادة "بوغزالة علي"، وبعـد انسحاب القوات الفرنسية من مركز الدّبـداب رحلنا إلى المركز بجميع جنودنا وعتادنا العسكري.

- استنتاجات من خلال هذه المقابلة

- تمت المقابلة بين الباحث والمجاهد وعمره **75** سنة وفي كامل قواه الصحية والعقلية، سنة **2014** في مقر المنظمة الوطنية للمجاهدين ناحية المنيعة من الساعة **10** صباحا إلى الساعة **12** منتصف النهار.

- التحاقه المبكر بالثورة وفي عمره **19** سنة، وانتقل مباشرة إلى الحدود الشرقية بين الجزائر وليبيا، وقدم لنا الوثيقة الرسمية التي كانت تسهل له التنقل داخل الأراضي الليبية مسلمة من طرف بعثة الحكومة المؤقتة الجزائرية بليبيا مكتب طرابلس. بتاريخ **25** مارس **1961**م.

- أفادتنا شهادته في كيفية نقل السلاح من ليبيا إلى الجزائر وذلك من خلال المهمات التي قام بها المجاهد والتي فاقت **90** مهمة مجموع المسافة التي قطعها المجاهد تناهز **30** ألف كلومتر.

- تعكس لنا الدور الكبير الذي قدمته ليبيا للثورة الجزائرية، من توفير مركز لقيادة الثورة، وتأمين قوافل السلاح.

- الشهادة المسجلة للمجاهد بلكحل محمد[13].

- الشهادة المسجلة للمجاهد "بلكحل محمد" بمتحف الوطني المجاهد متليلي ضمن تسجيل الشهادات الحية لمجاهدي ولاية غرداية حصيلة الشهادات (**2003-2008**م)، من إعداد الفرقة التقنية الملحقة بالمتحف.

- التعريف بالمجاهد

"بلكحل محمد بن قويدر" الملقب بـــ: (زليط)، ولد خلال **1930** بالمنيعة، والتحق بالثورة التحريرية سنة **1959**م، بصفة جندي القسمة **60** الناحية **3** المنطقة **3** بالولاية السادسة. مهنته موّال يرعى الغنم.

- نشاطه

نشط قبل الثورة التحريرية في صفوف "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"، واكتسب خبرة سياسية على يد "الطالب حمه بلحاج"، تعرض لبطش السلطات الفرنسية التي رأت فيه مصدرا للتحريض ضدها بسبب الشعر الذي كان يردده مع جماعته في المناسبات والأعراس، وهذا الشعر الملحون السياسي في معظمه للطالب حمه بلحاج، ومن خلال التسجيل روى المجاهد القصيدة دون تعثر وهذا دلالة على أنه رددها كثيرا، وتروي هذه القصيدة كل الأعمال والمناورات التي كانت تقوم بها فرنسا، ويقول أنّ القبطان الذي ألقى عليهم القبض يسمى "موري" كان متنكرا ببرنوس وكونه يجيد اللغة العربية جيدا فهم فحوى القصائد التي كانوا يرددونها فألقي عليهم القبض في أكتوبر سنة **1952**م مع كل من: عبد الحاكم حمادي بن المختار، الذي أستشهد في الولاية الخامسة، وبلمليسة محمد بن مبارك، وسليماني علي بن حكوم)، ووجهت لهم تهمة التحريض ضد فرنسا بقصائد الشعر الشعبي ومما جاء فيه:

مقصودي فيها نشرح في السباب *** على نظام فرنسا عين الرثلة

ونقترح بفعالها في هذا الخطاب *** على شمال افريقا دي مقالة

نتكلم بلسان واحد ثلاث أشعاب *** تونس والمغرب دايرهم في رحلة

والجزاير ما تخلفهم صحاب *** ما فيهم فراق متحدة كتلة

الستعماريشير ليهم في الخلاف *** كيف شاع في النفس توقع في فشلة

وصرح ليهم في خبوراتو كذاب *** متعمد الفجور يختل في ختلة

للخارج مجموع غلطهم بحساب *** في الخلاف كيقال رانا في كتلة

رانا في الجزاير أخوة واحباب *** ردو عنه كذب هذي مقالة

سفسطه معينة ما فيهاش اللعاب *** الجزاير مفصولة بينه بحر وتراب

مفصولة منها بكل وسيلة *** في اللغة والجنس والوطن وكتاب

الاندماج لبعضهم مستحيلة والمتهني *** والمتهني محسش في المصاب

إفريقيا طالبة مستقلة *** زعامتها كلها منهم طلاب

ويسترسل المجاهد في إلقاء القصيدة دون توقف مما يوحي بحفظها عن ظهر قلب، ومما تعكسه هذه القصيدة تعرضها لنقد النظام الفرنسي، ووحدة نضال المغرب العربي (تونس الجزائر المغرب)، ووضح ادعاء فرنسا لدول الخارج بأن فرنسا والشعب الجزائري واحد، وصرح ببطلان مشروع الاندماج ووضح أسباب ذلك بالإشارة إلى مقومات الشخصية الجزائرية (اللغة - الدين - الوطن)، ومن هنا كان على فرنسا أن تضع حدا لهم بالسجن ثم تحت الرقابة بعد خروجهم منه.

عند خروجه من سجن باتنة عاد إلى المنيعة ونشط في صفوف الحركة الوطنية مع (الطالب حمه بلحاج وبن حود لبز وحمادي بلمختار وإبراهيم العيواز)، ومن هذه النشاطات حضور الدروس التي كان يلقيها الطالب حمه بلحاج موضحا فيها أفكار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وكان ذلك يتمّ كل أسبوع في دار الطاب حمه بلحاج.

- أسباب التحاقه بجيش التحرير

أكتشف أمره مع جماعته سنة **1959**م وكان السبب مقتل أحد الخونة يسمى "بن خدة" وألقت فرنسا القبض على أحد المناضلين فأقر بنشاطهم المتمثل في تموين مراكز الثورة بالغداء والبريد والسلاح، وهذه المراكز من

المنيعة (النبكة، عبازة التحتاني، الرحروحة، بوعيسى، وقيلال)، وكان ذلك تحت رئاسة الشيخ "بوجلال"، ثم بحوص بن حكوم.

هذا السبب جعلهم يلتحقون بصفوف جيش التحرير الوطني بجبل بوكحيل، ونتيجة لوجود صعوبة لتمرير السلاح القادم من الجهات الشرقية كلفهم "محمد شعباني"[14] بأن يتنقلوا إلى الجنوب الكبير لتسهيل تمرير ونقل السلاح، وانقسموا إلى مجموعتين: المجموعة الأولى تضم أربعة أفراد نحو مدينة عين صالح وهم: مصباح بغداد بن عبد الرحمان المسؤول على الأربعة، بلكحل حمو بن علية، وبخوص حيمودة استشهد، حمو بن الطاهر الزهار).

المجموعة الثانية متجهة إلى مدينة تامنغست وتضم أربعة أفراد يترأسهم محمد بوصبيع، وهم: محمد بلكحل بن محمد، وقادة بلبويض من المنيعة بالإضافة إلى التارقي الجانتي "بديدي".

لكن سرعان ما باغتتهم القوات الفرنسية، بداية من المجموعة الأولى المتجهة إلى عين صالح حيث اشتبكوا مع قوة مكونة من **24** جندي فرنسي على متن **3** سيارات[15]، بمنطقة خليج ميسى بوادي تلجام الذي يصب بوادي ميا على بعد **180** كلم في اتجاه المنيعة[16]، فقتلت الجمال وجردّوا من قوتهم وظلوا لمدة **10** أيام في الصحراء يعانون الجوع والعطش، ولّما وصلوا إلى وادي يسمى "أم الكرعان"[17] لحقت بهم الطائرة وقامت بقصفهم فاستشهد "مصباح بغداد بن عبد الرحمان" وأصيب وبحوص حيمودة إصابة بليغة في ذراعه، وحمو بن الطاهر إصابة خفيفة، حيث قبض عليهم وتحت التعذيب أباحوا بقضية المجموعة المتجهة نحو تامنغست مما جعل فرنسا تستدعي قوات إضافية من ورقلة والأغواط وتسارع للقبض على الأربعة المتوجهين إلى مدينة تامنغست. وبالفعل لحقت بهم بمنطقة تسمى "منيت" حيث دارت معركة بتاريخ أكتوبر **1960**، كانت القوات الفرنسية مكونة من: فرقة المنيعة، ورقلة، الأغواط، والمهارى، ضد الأربعة وهم: (محمد بوصبيع مسؤول القسمة، بلكحل محمد بن قويدر، قادة بن قويدر سعيدات، محمد مشاوري "بديدي"، وجرت المعركة انتهت بانسحاب المجاهدين دون ماء ومؤونة،

وتمت الوشاية بهم من طرف الرعاة الأمر الذي سهل على القوات الفرنسية محاصرتهم وانتهى بهم الأمر: باستشهاد محمد بوصبيع، وقادة بن قويدر سعيدات، وألقي القبض على بلكحل محمد وبديدي ونقلا إلى تمنراست ثم إلى ورقلة.

- استنتاجات من هذه الرواية

- أدلى بهذه الشهادة الحية وهو على دراية كبيرة بما يقول، وكان في كلامه غير متناقض، ويتمتع بذاكرة قوية استنادا لبقائه يحتفظ بحفظ قصيدة الطالب حمه بلحاج للشعر الملحون.

- قدمت لنا معلومات هامة عن أحداث تخصّ منطقة الجنوب الكبير بصفة عامة، وأبرزت الدور الكبير لمدينة المنيعة في الثورة التحريرية.

- قدمت لنا المهمة الكبيرة التي قام بها مجاهدو مدينة المنيعة في محاولتهم لنقل السلاح من ليبيا إلى الجزائر، وهذا ما يدعم رواية المجاهد، "بلخير حمو" الذي كان يعمل في مركز ليبيا للثوار الجزائريين.

- قدمت شرحا مفصلا عن المعارك الخاصة بجيش التحرير في مدينة عين صالح بمنطقة سيدي مهني، وأم الكرعان. ومعركة منيت.

- المطابقة الكبيرة لهذه الشهادة بما ورد في تقرير منظمة المجاهدين المهمات الصعبة لجيش جبهة التحرير الوطني في الصحراء الجزائرية، وتقرير الندوة الولائية لتسجيل أحداث الثورة التحريرية (**1958-1962**)[18].

- الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يتبين لنا أنّ الرّواية الشفوية لا يمكن للباحث في مجال التاريخ الإغفال عنها، خاصة في تدوين تاريخ الثورة التحريرية، خاصة الروايات التي تمّ إخضاعها لقواعد المنهج الشفوي، بل أكثر من ذلك نجدها في بعض الأحيان السيدة لغياب الوثائق في بعض الأحيان، وتقدم الرواية الشفوية في كثير من الأحيان توضيحات وتفسيرات لكثير من الوقائع في جزئياتها الدقيقة خاصة فيما يتعلق بالذاكرة المحلية التي تعتبر جزءا لا

يتجزأ من الذاكرة الوطنية، ومنه يمكن رسم صورة شاملة لما كان يدور من أحداث في ربوع الوطن من خلال تطورات أحداث الثورة التحريرية.

رغم الاهتمام بتدوين الرواية الشفوية إلا أنّ هذه العملية لم تكن بوتيرة مستمرة ومنظمة.، بل كانت متقطعة ومتعثرة ويعود ذلك لعدة أسباب منها:

تدوين وتسجيل البعض منها فقط، وعدم الحرص على نشرها حتى تكون في متناول الباحثين.

- عدم رغبة الكثير من المجاهدين تدوين شهاداتهم لما تحمله من أسرار تثير حفيظة الكثير من الأشخاص.

- تحفظ الكثير من الوراثة من نشر مذكرات ووثائق أباءهم لما تحتويه من أسرار لا تخدم مصالح بعض الأفراد.

- قائمة المصادر والمراجع

- دفتر الرسائل الواردة والصادرة لجيش وجبهة التحرير الوطني الولاية**6**، المنطقة **3**، القسمة **59**، متحف المجاهد بمتليلي.

- دفتر تسجيل المجاهدين المنخرطين في صفوف جيش التحرير خاصة ناحية غرداية الولاية **6**، المنطقة **3**، القسمة **60**.

- تقرير الندوة الولائية لتسجيل أحداث الثورة التحريرية بتراب الولاية غرداية (**1958-1962**) **9** أكتوبر **1986** بغرداية.

- الشهادة المسجلة للمجاهد "بلكحل محمد" بمتحف الوطني المجاهد متليلي ضمن تسجيل الشهادات الحية لمجاهدي ولاية غرداية حصيلة الشهادات (**2003-2008**م)، من اعداد الفرقة التقنية الملحقة بالمتحف.

- نواصر عبد الرحمان، أهمية الرواية الشفوية في كتابة تاريخ المنيعة (الرواية الشفوية المدونة لبلحاج الطالب حمه وجماعته -أنمودجا- مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ج**14**، العدد **2**، سنة **2022**، ص ص**317-328**.

- نواصر عبد الرحمان: مدينة المنيعة من القرن **9**م إلى الثلث الأول من القرن **19**م من خلال المصادر التاريخية، مجلة الموروث، جامعة تامنغست، العدد **3**، ماي **2019**م، ص**11-123**.

- العروي عبد الله: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، المغرب، **2005**م.

- مجاود محمد: أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص ديسمبر **2010**.

- أولاد حيمودة محمد بن محمد: مذكرات أولاد حيمودة محمد بن محمد، لم تنشر بعد.

- بن الساسي إبراهيم: من أعلام الجنوب الجزائري، موفم للنشر، الجزائر **2011**، ص**110-114**.

- بلحاج الطالب حمه وآخرون: تاريخ مدينة المنيعة منذ نشأتها حتى دخول الغزو الفرنسي، ج**1**، ص**6**. لم ينشر بعد.

- جغابة محمد: حوار مع الذات ومع الغير، ج**2**، دار هومة، ص**174**.

- عبد الحميد مسعود بن ولهة: الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية ومؤامرة فصل الصحراء، ج**2**، مطبعة مداد متليلي.

- الهوامش

1- عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز الثقافي العربي، المغرب، **2005**م، ص**99**.

2- نفسه، ص**106**.

3- محمد مجاود: أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، عدد خاص ديسمبر **2010، ص13.**

4- تقرير الندوة الولائية لتسجيل أحداث الثورة التحريرية بتراب الولاية غرداية (**1958-1962**) **9** أكتوبر **1986** بغرداية، ص**8، 9**.

5- أولاد حيمودة محمد بن محمد: مذكرات أولاد حيمودة محمد بن محمد، لم تنشر بعد.

6- الطالب حما بلحاج: من مواليد **1900**م بالمنيعة، حفظ القرآن، انتقل بعد ذلك إلى وقروت عند الشيخ ملاي أحمد.، حيث تعلم الفقه والسيرة وأخذ عن الشيخ باي وغيره من علماء منطقة توات، وعلماء شنقيط، عرف بثقافته الواسعة وذلك لتنقله بين دول المغرب والمشرق، كان له اتصال بجمعية العلماء المسلمين، وله علاقة خاصة بمصالي الحاج،، سجن بسجن لمبيز، لمدة سنة، من العناصر البارزة في مدينة المنيعة والمؤسسة للعمل الثوري بمدينة المنيعة حتى الاستقلال، له مؤلفات منها: الاستبداد في علم الاجتماع، تاريخ المنيعة، توفي سنة **1982**م، ينظر: إبراهيم بن الساسي: من أعلام الجنوب الجزائري، موفم للنشر، الجزائر **2011**، ص**110-114**.

7- الطالب حمه بلحاج وآخرون: المرجع السابق، ج**1**، ص**6**.

8- للطلاع على هذه الدراسة ينظر، عبد الرحمان نواصر، أهمية الرواية الشفوية في كتابة تاريخ المنيعة (الرواية الشفوية المدونة لبلحاج الطالب حمه وجماعته -أنمودجا- مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ج**14**، العدد**2**، سنة **2022**، ص**317-328**.

9- ولد محد جغابة في نوفمبر **1935** بالقنيطرة ببسكرة، التحق بصفوف الثورة سنة **1955**م في العشرينيات من عمره في معاقل الأوراس، كان له دور كبير في إنشاء خلايا مدنية في الجنوب الجزائري خلال فترة الثورة الجزائرية بتكليف من السّي الحواس. بداية من بريان حتى تمنراست والتي حددها في كتابه "حوار مع الذات" بالجنوب الكبير. ينظر محمد جغابة، المرجع السابق، ج**1**، ج**2**، ج**3**.

10- الطالب حمه بلحاج: المرجع السابق ص**3**.

11- لم يذكر محمد جغابة أي اسم من أسماء نشطاء الحركة المصالية في مدينة المنيعة، وذلك لحساسية الأمر وخطورته وتداعياته على الفترة المعاصرة.

12- أجريت معه العديد من المقابلات خلال سنة **2014**. بمقر مكتب منظمة المجاهدين بالمنيعة.

13- الشهادة المسجلة للمجاهد "بلكحل محمد" بمتحف الوطني المجاهد متليلي ضمن تسجيل الشهادات الحية لمجاهدي ولاية غرداية حصيلة الشهادات (**2003-2008**م)، من اعداد الفرقة التقنية الملحقة بالمتحف.

14- كان ذلك بعد اجتماع إطارات الولاية السادسة في مارس **1960**. ينظر: عبد الحميد مسعود بن ولهة: الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية ومؤامرة فصل الصحراء، ج**2**، مطبعة مداد متليلي، ص**89**.

15- تمت الوشاية بهم في منطقة فقارة الزوى عند تزودهم بالماء ودارت المعركة في منطقة سيدي مهني، في **10** سبتمبر **1960**م، كان عدد الجنود **12** جندي وسيارتين، وتم حرق سيارات العدو وسقوط قتلى في صفوف العدو**14** قتيل، و**3** جرحى. ينظر، بن ولهة المرجع السابق، ص**90**.

16- تقرير منظمة المجاهدين. المهمات الصعبة...، المرجع السابق. ص**2**.

17- المكان يسمى عين القصب، والاشتباك مع العدو كان في منطقة "تليجمات"، ثم جرت معركة أخرى بعد ملاحقة العدو لهم في منطقة أم الكرعان **19-09-1960**م. ينظر نفسه. المرجع السابق.

18- تقرير الندوة الولائية لتسجيل أحداث الثورة التحريرية بتراب الولاية غرداية (**1958-1962**)، **9** أكتوبر **1986** بغرداية.

صراع الذاكرات بين الجزائر وفرنسا
(صراع ذاكرة الأرشيف نموذجا)

✍ الأستاذ: أحمد شقرون

المركز الوطني للدراسات والبحث

في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954

- مقدمة

غداة استرجاع الشعب الجزائري السيادة المسلوبة والاستقلال في **05** جويلية **1962**م، خرج هذا الأخير مصدوما نفسيا ومنهوكا جسديا، كما أصبحت "ذاكرته مجروحة" من جراء عمليات الاعتقال والقمع والتنكيل والتعذيب والتقتيل... إلخ، لقد كانت الحرب التي شنّها المحتل على الجزائر طيلة سبع سنوات ونصف مأساة إنسانية حقيقية.

وفي المقابل فإنّ فرنسا التي احتلت الجزائر من **1830**م إلى **1962**م، لم تعترف بحربها في الجزائر خلال **1954-1962**م، إلا في **10** حزيران **1999**م، حيث وافق المجلس الوطني الفرنسي بالإجماع على مشروع قانون تمّ نشره في **18** أكتوبر من نفس السنة. وينصّ هذا القانون على استعمال مصطلح "حرب الجزائر" بدلا من المصطلحات المضلّلة التي كان يوظّفها ويروّج لها في خطبه وإعلامه؛ مثل "أحداث الجزائر"، "عمليات حفظ الأمن"، وذلك لاعتباره أن هذه الحرب شأنا داخليا، من جهة، ولتفادي التدويل للقضية، من جهة أخرى.

وبعد هذا الاعتراف الرسمي بهذه الحرب القذرة التي خاضها في الجزائر، حاولت فرنسا طيّ صفحة الماضي الاستعماري والتوجّه نحو بناء تعاون جديد مع الجزائر عن طريق ما أصبح يعرف في عهد الرئيس ماكرون بـــ: "مصالحة الذاكرات"[1] بين البلدين بدلا من "صراعها" غير أنّ العلاقات تظلّ متوتّرة جدّا بسبب "ملفات الذاكرة الوطنية" العالقة منذ الاستقلال، حيث ترى الجزائر أنّ "ملف الذاكرة غير قابل للتصرّف ولا للتقادم ولن يتأتّى حلّها إلا عبر معالجة موضوعية، جريئة ومنصفة للحقيقة التاريخية"[2] وللإشارة فإنّ فرنسا مازالت تمتنع عن "التعبير عن الندم أو الاعتذار"[3] عن ماضيها الاستعماري الحالك في الجزائر.

1/ الجزائر- فرنسا وحرب الذاكرة

منذ منتصف التسعينيات[(4)]، بدأ مفهوم "حرب الذاكرات" يفرض نفسه في النقاشات العامة في فرنسا، كما أن مصطلح (la repentance) (التوبة) وقوانين الذاكرة، أصبحا متداولين في الخطاب السياسي، كما أصبحت الذاكرة رهينة الساعة (enjeu du présent) فالوسائط الإعلامية، والمؤرخون، والمسؤولون السياسيون أصبحوا ملتزمين بهذا الخطاب إلى حد أن البعض خشي أن يعتري الذاكرة نوعا من (الإفراط).

وفي هذا الصدد، يقول المؤرخ غي بيفيي (Guy Pevillé). إن حرب الجزائر تظل موضوع الساعة، وهي بمثابة فرصة لحرب الذاكرات بين جماعات عدائية تسعى لانضمام الأمة لرؤيتها لهذه الحرب التي تعتبر المؤرخين كمحامين أو معارضين لرؤيتها"[(5)].

وزيادة على صراع الذاكرات داخل فرنسا، فان هناك صراعاً للذاكرة بين فرنسا والجزائر والناتج عن حرب التحرير ضد الاستعمار الغاشم وما ترتب عنه من انتهاكات ونهب وسلب وابادة في حق العباد والبلاد.

ومن أجل بناء الذاكرة الوطنية وصونها من النسيان، والشروع في تدوين تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، بادرت الجزائر، منذ الاستقلال، إلى انجاز عدة عمليات في هذين الميدانين، مثل:

جمع وتسجيل الشهادات الحية، تنظيم الملتقيات والندوات والورشات التاريخية وترجمتها، انجاز الأشرطة السمعية البصرية والأفلام الوثائقية والخيالية التاريخية من جهة، وإنشاء المعاهد التاريخية بالجامعات وإقامة المتاحف والنصب التذكارية، وترميم مقابر الشهداء والمعتقلات، وتغيير أسماء الأماكن والطرقات، من جهة أخرى.

غير أن كتابة التاريخ الوطني الخاص بالفترة الاحتلالية (**1830-1962**م)، بصفة علمية وموثقة، وبناء ذاكرة وطنية جامعة، لن يتأتى إلا باسترجاع الأرشيف الخاص بهذه الحقبة، والذي شُرع في تهريبه، منذ **1961**م، إلى مراكز الأرشيف الفرنسية، مثل اكس - أن - بروفانس، أو إلى مصالح الأرشيف الوطني لما وراء البحار (ANOM)، هذا السبب فان الجزائر تضع ملف استرجاع الأرشيف على رأس ملفات الذاكرة العالقة، منذ الاستقلال، والمتمثلة في إعادة جماجم و رفات قادة المقاومة الشعبية، إحصاء قائمة المفقودين خلال الثورة، التعويض عن الأضرار البشرية والبيئية الناتجة عن التفجيرات النووية (**1961-1966**م) وتأهيل المواقع... الخ، كما تعتبرها شرطا من شروط إعادة العلاقات الثنائية إلى طبيعتها.

2/ الذاكرة الجمعية ومفهومها

منذ نهاية السبعينيات، لم يسبق قط أن شغل التاريخ والذاكرة المجتمعات والدول المعاصرة بهذه الدرجة، لكن إلى ماذا يشير مفهوم "الذاكرة الجمعية" أو "الوطنية" والتي تهم دراستنا؟

يعود الفضل في انتشار مصطلح الذاكرة الجمعية إلى عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبفاكس (**1877-1945**م)، من خلال مؤلفيه الشهيرين: "الأُطر الاجتماعية للذاكرة" (**1925**)، و"الذاكرة الجمعية" الذي صدر في سنة **1950**م بعد وفاته بخمس سنوات.

أما كتابه الثاني بعنوان: "الذاكرة الجمعية" هو "العمل الذي شهد ولادة مفهوم "الذاكرة الجمعية" للمرة الأولى بوصفه مصطلحا يساعد على فهم الروابط والتمثلات المشتركة في مجتمع ما، والنحو الذي يستعيد من

خلاله أفراد هذا المجتمع بعض الأحداث المفصلية التي عاشوها وسمعوا عنها"[6].

هذا، وقد طرح هالفاكس في كتابه "الأطر الاجتماعية للذاكرة" عدة أطروحات حول المفاهيم ذات الصلة بالذاكرة الجمعية، حيث لاحظ "وجود علاقات قوية بين التذكر الشخصي للفرد والمجتمع الذي ينتمي اليه، بمعنى أن عملية التذكر لا يمكن أن تبقى منحصرة بين الفرد وذاته، وإنما أيضا تجري ضمن المنظومة الاجتماعية الواسعة التي يتفاعل معها الفرد، كالأسرة والأصدقاء وغير ذلك، حيث لا يمكن الفصل بين نمطي التذكر الجماعي والفردي لأن الذاكرة الجمعية ماهي الا تفاعل ذكريات فردية، والذاكرة الفردية ما هي الا تفاعل الفرد مع الجماعة"[(7)].

وبعبارة أخرى، فانه يمكن تعريف "الذاكرة الجمعية" بأنها "الطريقة التي تتذكر بها الجماعات تاريخها، أي أننا نتعامل مع الذاكرة هنا لا بكونها فعلا فرديا خاصا ومستقلا بنفسه، ولكن بكونها ظاهرة مجتمعية"[(8)].

وباختصار فانه يمكن القول "إن الذاكرة الجمعية لمجتمع ما، ولفترة من تاريخه أو لحدث ملموس تكمن في مجموع التمثلات التي يتقاسم أغلبها من يصنعون هذا التاريخ: أفراد ومجموعات. تنتظم هذه التمثلات حول محور رئيسي يمنحها معنى يسمح لها بالعمل كأساس للمجتمع المعني"[(9)].

هذا وقد أصبحت الذاكرة الجمعية موضوع واهتمام عدة علوم اجتماعية، كما لديها دور هام وحيوي في اطار تعزيز النسيج المجتمعي وانسجامه لاسيما في المجتمعات غير المتجانسة، فهي تدعم وتحافظ على اللحمة الوطنية للأمة وعلى هويتها، وذلك من خلال إحياء الذكريات المشتركة للأحداث التاريخية المؤلمة أو المحفزة:

"إن موضوع الذاكرة الجمعية، الذي يتعلق أساسا بمسألة مبدأ الانسجام الاجتماعي، يقوم بدور استثنائي ضمن السياق غير المتجانس لمجتمعاتنا المعاصرة، كما أن الوظيفة العامة للذاكرة الجمعية سواء على شكل الذكريات

أو المتاحف، كما هو الشأن بالنسبة لاستحضار الذكريات المؤلمة لمجتمع بأكمله، تثير نقاشا حادا في العديد من المجالات التحليلية، بدءا من العلوم المعرفية وعلم السياسة إلى علم الاجتماع، التاريخ واختصاصات العلوم الاجتماعية الأخرى"[10].

- نبذة تاريخية عن الأرشيف الخاص بحرب التحرير 1954-1962م

في سنة **1954**م، وفي مطلع اندلاع ثورة التحرير الجزائرية، فان الناحية العاشرة[11] التي كانت تشمل العملات الثلاث والصحراء، كانت تتمتع بنوع من الاستقلالية، حيث كانت المقاطعة العسكرية الوحيدة التي تتوفر على مكتب خاص بالأرشيف، يقع بمدينة البليدة، بالقرب من مدينة الجزائر ويتعلق هذا الأرشيف، الموسوم "بالجماعي"، بالوثائق التي تهم تسيير المستخدمين، في الوقت الذي كانت فيه، النواحي الحضرية التسع، تودع أرشيفها الجماعي في مكتب العاصمة باريس.

وفي تلك الفترة، كان جزء من الأرشيف العسكري القديم يوجد بمستودع أرشيف الحكومة العامة وبمستودعات أرشيف العملات الجزائرية الثلاث، وكانت هذه المستودعات تحتفظ بوثائق "المكاتب العربية" السابقة (Fonds des anciens bureaux arabes) ومديرية أقاليم الجنوب. وبالمقابل فإن الملفات المحفوظة بالمؤسسات العسكرية قد تعرضت في هذه الفترة لأضرار لا تعوض[12].

ومنذ بداية العمليات العسكرية في الجزائر، في عام **1954**م، ومن أجل توفير الأمكنة بسبب تزايد القيادات العسكرية، تم اتلاف كميّات هائلة من الوثائق، بحيث أنه، في عام **1959**م، أصبحت قيادات الأركان لا تحتفظ قط بالوثائق التي تعود إلى ما قبل **1950**م.

وحسب ما أفاد به في عام **1959**م الرائد جانمو (Jeanmot) بصفته مبعوثا استكشافيا، من قبل المصلحة التاريخية (Service historique)، فإنه لم يستطع أن يلفت أنظار قيادته إلى الطابع السياسي - العسكري

للأرشيف المودوع لدى الوفد العام (Délégation générale)، وإلى الفائدة التاريخية للأرشيف العملياتي.

وعقب وقف إطلاق النار في **19** مارس **1962**م، برزت قضية الأرشيف إلى الواجهة. وفي شهر يونيو **1962**م، طلب وزير الجيوش الفرنسي من القائد العام، في الجزائر، بنقل الأرشيف التاريخي إلى المصلحة التاريخية للجيش البري (SHAT)، بنقل الأرشيف الجماعي إلى المكتب المركزي للأرشيف الجماعي، الذي تم إنشاؤه في بلدية (بو) (Pau)، وكي لا تقع الوثائق ، التي قد تُعرض أصحابها للخطر، في حوزة جبهة التحرير الوطني، أجريت بعين المكان، العمليات الأولية للفرز والإتلاف، وذلك قبل نقل، أو بمعنى أصح "تهريب" الأرشيف إلى فرنسا (Métropole)، حيث تم التخلص من كميات هائلة من هذا الأخير، إلّا أن الوقت والوسائل لم تسمح بإجراء عمليتي فرز وإخفاء دقيقتين للأرشيف.

3/ نشوب الصراع الجزائري - الفرنسي حول الأرشيف

منذ أفريل **1961**م، شرع مدير أرشيف فرنسا[13]، في عملية نقل ونهب الأرشيف المتواجد بمراكز الأرشيف بالجزائر. وفي شهر ماي **1962**م، وصلت إلى فرنسا كمية معتبرة من الأرشيف (تقدر ما بين **250** إلى **300** طن)، على متن سفينة حربية ليتم إيداعها بإكس - أن - بروفانس، بالإضافة إلى أرشيف الأمن الفرنسي في الجزائر. وفي عام **1984**م، تم نقل أرشيف وزارة الشؤون الجزائرية الآيلة إلى الزوال[14].

(Ministère des Affaires Algériennes en voie de dissolution)

4/ المطالبة باسترجاع الأرشيف من طرف الجزائر

منذ الاستقلال لم تتوقف الجزائر عبر المساعي والمبادرات الدبلوماسية عن مطالبة السلطات الفرنسية باسترجاع الأرشيف الذي تعتبره "مُلكا وتراثا" خاصّا بها، وجزءًا من "ذاكرة الأمة". ومن المفارقات أنه، خلال مفاوضات إيفيان، فإن قضية الأرشيف لم تخطر كلية ببال الوفد الجزائري. وكما أكده المرحوم رضا مالك، في هذا السياق، أن القضية الأساسية، حينئذ،

كانت تتمثل أساسا في الاستقلال والوحدة الترابية[15]، أما بالنسبة للطرف الفرنسي، فإنه لم يكن من صالحه الخوض في الموضوع. ومنذ عام **1963**م، تم طرح القضية بصفة رسمية، وهي مازالت مستمرة إلى حد الآن. وفي **23** ديسمبر **1966**م، تم تبادل مذكرات بين الجزائر وفرنسا، حيث أصبحت قضية الأرشيف تعالج على صعيدين: الصعيد الثنائي، في إطار أشغال اللجنة المختلطة الجزائرية – الفرنسية. والصعيد الدولي، من خلال اللقاءات التي ينظمها المجلس الدولي للأرشيف أو اليونيسكو[16].

وللإشارة فإن الشغل الشاغل لرجال المالغ (M.A.L.G) غداة الاستقلال، في **19** مارس**1962**م، وعقب تنصيب الهيئة التنفيذية المؤقتة في بومرداس، كان استرجاع أرشيف الجيش الفرنسي[17].

وفي عام **1966**م، أصدرت فرنسا قرارا يقضي بإعادة الوثائق الخاصة بفترة ما قبل **1830**م (إعادة **500** دفتر في **1968**م و**134** صندوقا في عام **1975**م). وتتكون هذه الوثائق من عقود بيع وزواج وحبوس، وبصفة عامة، من العقود المالية الخاصة بـــ: "بيت المال"، كما تم بالمناسبة، تسليم كمية من رسائل الداي الموجهة إلى الدول الأجنبية.

في شهر جانفي **1980**م، وعقب الزيارة التي قام بها، إلى باريس، المرحوم محمد بين يحيى، وزير الخارجية الجزائري آن ذاك، تم الاتفاق على إنشاء ست لجان وفرق عمل، بحيث تتكفل إحداها بـــ: "نقل أرشيف الحقبة الاستعمارية إلى الجزائر[18]، الأمر الذي أثار غضب وحفيظة الفرنسيين العائدين من الجزائر(Les rapatriés d'Algérie).

ومما ينبغي ملاحظته أن هذه العملية لم تتم بصفة سلسلة بين البلدين، وإنما تميزت بمواقف متناقضة تحولت إلى صراعات حول أحقية امتلاك هذا الأرشيف.

5/ موقف الجانب الفرنسي الاستعماري من استرجاع الأرشيف

على إثر اجتماع اللجنة المختلطة الجزائرية – الفرنسية، يومي **9** و**10** جانفي **1980**م، استعادت الجزائر بعض الملفات الخاصة بزلزال الشلف

الذي وقع في ليلة **8-9** سبتمبر عام **1954**م، حينئذ وجّه الرئيس الفرنسي، فاليري جيسكار ديستان (Valéry Giscard d'Estaing)، رسالة إلى وزير الثقافة، جان فيليب لوكا (Jean Philippe Lecat) يوم **16** جوان **1980**م، ليوضح له (Le caractère des archives inaliénable) (الطابع غير القابل للتصرف بالأرشيف) والتي لم يعلن عنها رسميا إلاّ في يوم **25** جانفي **1980**م، وهذا ما جاء فيها:

"إنّ الرصيد الأرشيفي المحفوظ في مختلف مستودعات الأرشيف الوطني يشكل أحد العناصر الأساسية لتراثنا الوطني، ولسيادة الدولة في ذات الوقت، ويبدو أنه من الضروري التوضيح أن الوثائق التابعة لهذا الرصيد لا يمكن بحال من الأحوال ، أو لأي غرض كان، نقلها أو تسليمها إلى حكومة أجنبية أو مؤسسات تابعة لها، أو لأشخاص من العوام أو من الخواص"[(19)].

ومن جهته، فسر المؤرخ الفرنسي، بنيامين ستورا، امتناع فرنسا عن إعادة تسليم الوثائق الأرشيفية للجزائر، لأنها كانت "تعتبر الجزائر عبارة عن ثلاث عملات فرنسية وأن هذه الوثائق مرتبطة بالعمران، ومراقبة الأحزاب السياسية، وتنظيم الحياة في الأرياف، وبالعمليات العسكرية التي قام بها الجيش الفرنسي خلال حرب الجزائر"[(20)].

ويتضح مما سبق أن الطرف الفرنسي يعتبر هذا الأرشيف فرنسيا محضا وجزءًا لا يتجزّأ من السيادة الفرنسية، وهو غير قابل للتفاوض.

6/ موقف الجانب الجزائري من استرجاع الأرشيف

تعتبر الجزائر عملية "نقل الأرشيف" إلى فرنسا، "عملية سلب ونهب"، من قبل المحتل الفرنسي، كما تعتبره خرقا للسيادة الوطنية وانتقاصاً من الاستقلال، كما تعتبره "طمسا للهوية الوطنية"[(21)].

وفي هذا الصدد، فإن الجزائر ظلت ثابتة في مطالبها الخاصة باسترجاع أرشيف المرحلة الاستعمارية (**1830-1962**م)، حيث وضعته ضمن الملفات الاستراتيجية الخاصة بالذاكرة الوطنية واستكمال السيادة

الوطنية. وفي هذا المضمار، أُجبرت الحكومة الفرنسية على اتخاذ مبادرات وإجراءات متذبذبة، تخللتها تصريحات غير مسؤولة، في بعض الأحيان.

7/ أهم الخطوات والإجراءات الفرنسية في مجال فتح الأرشيف

لقد انتهجت السلطات الفرنسية، أمام الطلبات الجزائرية الملحّة لحل ومعالجة "ملفات قضايا الذاكرة العالقة"، نهج الخطوات الصغيرة.

وفي إطار "مصالحة الذاكرة" التي طرحها الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، خلال زيارته للجزائر، في **13** سبتمبر **2018**م، حيث أقر بأن اختفاء المناضل موريس أودان، في **11** جوان **1957**م، إبان "معركة مدينة الجزائر"، كان من فعل الجيش الفرنسي، كما وعد عائلته بإمكانية الوصول إلى الأرشيف الخاص به. كما تبعه الاعتراف، في **02** مارس **2021**م، بأن الشهيد علي بومنجل قد تم "تعذيبه واغتياله"، في **23** مارس **1957**م، من قبل الجيش الفرنسي، الشيء الذي اعتبرته السلطات الجزائرية خطوة ايجابية، شريطة أن يشمل الأرشيف المفقودين الجزائريين خلال **1954-1962**م.

في **09** مارس **2021**م، وفي نفس السياق، أعلن الرئيس الفرنسي عن تبسيط الوصول إلى اجراءات رفع السرية عن الوثائق السرية التي يفوق عمرها **50** عاما، مما يجعل من الممكن تقصير مدة الانتظار المتعلقة بهذا الأجراء.

غير أن تصريحات هذا الأخير الاستفزازية ضد الجزائر في **30** سبتمبر **2021**م، "حول التشكيك في وجود أمة جزائرية قبل **1962**م" والتي نقلتها جريدة "العالم"(Le Monde) تسببت في توتر شديد في العلاقات بين البلدين حيث قامت الجزائر باستدعاء سفيرها بباريس للتشاور وبمنع عبور الطائرات العسكرية الفرنسية للأجواء الجزائرية في طريقها إلى الساحل الإفريقي.

إلّا أنه، ومن أجل محاولة التهدئة وامتصاص الغضب، سارعت الوزيرة روزلين باشلو (Roseline Bachelot)، يوم **10** سبتمبر **2021**م، أي بعد يومين من زيارة وزير الخارجية الفرنسي (Jean-Yves. Le Drian)

جان ايف لودريان، في **08/12/2021**م، لتعلن أنها: ستُعجل بفتح أرشيف التحقيقات القضائية للدرك والشرطة المتعلقة بما سمته "حرب الجزائر".

وهكذا، وبين سياسة التأزم والانفراج في العلاقات الثنائية الجزائرية الفرنسية، بالنسبة "لقضايا الذاكرة". بصفة عامة، وبالنسبة لقضية" الأرشيف المسلوب"، بصفة خاصة، فإنه من الممكن استعراض أهم الخطوات التي أنجزت في إطار رفع السرية عن أرشيف الثورة التحريرية.

- الخلاصة

لم ينته الصراع الجزائري - الفرنسي حول استرجاع الأرشيف إلى حدّ الآن. لقد رأينا أن موضوع الأرشيف بين البلدين جد حسّاس ومعقّد. وباعتباره امتدادًا للصراع العسكري الذي دام لقرن ونصف، فإنّ معالجته تخضع للسيادة الوطنية والقوانين الدولية. وفضلا عن كونه جزءا لا يتجزّأ من الذاكرة الوطنية، فهو عنصر محوري وأساسي لكتابة تاريخنا الخاص بالفترة الاحتلالية (**1830-1962**م).

ومثلما تمكنت الجزائر بالأمس من طرد المحتل الفرنسي بالوحدة والعزيمة وقوة السلاح، فإنها اليوم قادرة على حل ملفات الذاكرة الوطنية بالصرامة والدبلوماسية والقرارات السيادية.

- الهوامش

1- Euronews, le: **26**/**08**/**2022**.

2- وكالة الأنباء الجزائرية، الثلاثاء،**07**ماي، **2024**.

3- Le Point du **11**/**01**/ **2023**.

4- Pascal Blanchard et Isabelle very rat-Masson, les guerres de mémoires, la France et son histoire, édition la découverte, Paris **2008**.

5- Claire l'Hoër," Guerre d'Algérie; **60** ans de mémoires antagonistes", le Monde Histoire et civilisations, **17**/**02**/**2022**.

6- موريس هالفاكس: "من أجل فهم الذاكرة الجمعية، العربي الجديد"، **07** أكتوبر **2022**

7- سارة أفتاب، "الذاكرة الجمعية وثقافة المواطنة"، **تعددية، 27**/**02**/**2019**.

8- غيداء أبوخيراق، نابوست، "الذاكرة الجمعية، كيف تتلاعب السياسة بتاريخ المجمعات وذكرياتها"، **28** مارس **2018**.

9- José Vidal –Bneyto, la construction de la mémoire collective du franquisme à la démocratie. in. Diogène n° **201**, **2003**,p :**1**

10- Geffrey Andrew Barash, qu'est- ce que la mémoire collective, Réflexions sur l'interprétation de la mémoire chez Paul Ricœur, Dans Revue de métaphysique et de morale **2006**/**2**(n°**50**), p.**1**

11- Thierry Sarment, « les archives de la guerre d'Algérie; le secret entre violence et mémoire », in Archives « secrètes »; secrets d'archives ? CNRS Edition, Paris, **17** juin **2013**, p(**103**-**110**)

12- Archives « secrètes », secret d'archives ?

Historiens et archivistes face aux archives sensibles , sous la direction de Sebastien Laurent, CNRS Editions via Open Editions, Paris, **2013**, P.**103**

13- Mehenni Akbal, « le contentieux archivistique algéro-français ». Revue d'information scientifique et technique, **1992**, vol. **2** (n°**1**), PP.**23**-**36**

14- Pierre Lucain, «La question des archives algériennes. Organisation, Méthodes et Techniques», La revue administrative, N°: **204**, novembre-décembre **1981**, P : **641**.

15- Fouad Soufi, les archives Algériennes en **1962** : héritage et spoliation, Insanyat, année**2014**,pp : **65**-**66**.

16- Ibid.

17- Ibid.

18- ibid.

19- Mehenni Akbal, , op,cit, pp :**23**-**36**.

20- Benjamin Stora, la mémoire, Archives historiques d'Algérie: La mémoire restituée, Université Sorbonne, Paris Nord.

21- Mehenni Akbal, o.p. cit.

علم التـاريخ من القوالب الموسوعية إلى البينية

الأستـاذ: توفيق بن زردة
جـامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي

- مقدمة

يحتاج علم التاريخ إلى مناهج بحثية، تتبدل وتتشكل وفق تطورات ابستيمولوجيا العلوم، لذلك تصطف وراء هذه الورقة البحثية سؤال الكتابة، التي تصبو إما إلى تشكيل قطعة فنية أم هدفها التأسيس لكتابية علمية؟ وهو ما يجعل من الوعاء القلمي عند هذا المطب تتجاذبه تعالقات الشاعري والواقعي، الرخو والصلب، المستنبط والمكيف، المستهلك والمستحدث، وغيرها من الأزواج التي تسوقنا إلى صورولوجيا (Imagologie) الكتابة التاريخية التي قد تتشكل في لوحة "مفزعة" ملمحها السردية والقصصية، من إنجاز هواة بلا تأهيل أو كتاب بلا تكوين، عندها قد تتشابك الخلفيات والنوايا فيحيل بعضهم إلى الآخر، ويعتمد هؤلاء على أولئك، فتحبك توهمات أسطورية، قد تتسلل كحقائق إذا توافرت لها البيئة، وتزحف إلى مخيال الأجيال ومدارك الأمة، في الوقت الذي يعد فيه التاريخ صناعة، وقمة وأفق، وبينية، وبين هذين التمظهرين المتناقضين سنحاول الخوض في إشكالية التاريخ بين السردية والقيمية.

- من الموسوعية إلى التخصص

اصطف علم التاريخ في أحد مراحله ضمن المعارف الموسوعية، التي كانت تعني النزعة إلى الجمع النسقي لعديد المعارف في مختلف الميادين، كمرحلة ممتدة شهدها تطور الفكر الإنساني يطبعها تمكن فرد واحد يسمى

العالم أو الفيلسوف أو الحكيم أو العلامة (Polymathe) من "السيطرة" على مجموعة من علوم زمانه، لذلك يمكن اعتبار أرسطو من أوائل الموسوعيين، كون الفيلسوف أشير إليه بالإنسان الذي يمتلك ناصية العلوم، ولقد سار الفلاسفة على هذا المنوال، حتى بدايات انفصال العلوم عن الفلسفة كعلم أم، وحصولها على استقلالية نسبية. في الوقت الذي كانت فيه الموسوعية أول من تملك فضيلة التوحيد الفلسفي للعلوم[1].

لكن يبدو أن التراكمات المعرفية وتطور النشاط الصناعي عقب الثورة الصناعية، إلى جانب ظهور الجامعات كمؤسسات موكول إليها إنتاج المعرفة العلمية وتطوريها ونشرها في الأوساط الاجتماعية إلى جانب المحاولات العديدة لأجل إخضاع التخصصات ضمن المسار العام للدراسات والأبحاث الجامعية، كلها عوامل وغيرها أدت إلى انهيار الموسوعية وظهور التخصصات العلمية (Disciplines scientifiques) التي هي في جوهرها مجموع العلاقات بين موضوعات وأشخاص، الذين يجعلون من خصوصية ميدان معرفي برنامج بحث بعدما يجري تقطيع الموضوعات الواقعية إلى تخصصات لذلك تعد أعمال أوجيست كونت بمثابة التأسيس الإبستيمولوجي لهذا الواقع العلمي، الذي أمدنا فيما بعد بفلسفة العلوم التي واكبتها أيضا ظاهرة الدول القومية وما صاحبها من مد كولونيالي اجتاح دولا ومجتمعات[2].

- مجتمعات ما بعد الكولونيالية

تمطيط التاريخ وفق مقاربات العصر هي خاصية طبعت هذا التخصص الذي شهد تحولات كبرى سايرت ظاهرة تطور العلوم، وإن كانت أغلب التوجهات اليوم قد ذهبت نحو إذابة هذا التخصص ضمن حقول العلوم الإنسانية، إلا أن مقاربة هذا التخصص يتطلب جملة من الأدوات النظرية والمنهجية، التي تستند إلى مجموعة من المفاهيم، لذلك يفترض قبل بداية أي بحث توخي تحقيق العلمية، وذلك بالوقوف وقفة نقدية وفاحصة لكل المفاهيم والتقنيات والنظريات التي ينوي الباحث استعمالها، وأن يتساءل بصرامة وموضوعية عن مدى ملاءمتها لدراسة أية حادثة تاريخية، وهكذا فإن أغلب المفاهيم والتقنيات والنظريات وكل ما تفرع منها من

أدوات يقتضي سؤال الملاءمة الذي يفرض نفسه بقوة مادامت هذه الأدوات العلمية قد أنتجت من أجل دراسة الظواهر البشرية ضمن سياق ابستيمولوجي محدد[3] كما يسمح بإعادة إنتاج المفاهيم والمقولات والخطابات التي كرستها المركزية الأوروبية والظرف الكولونيالي.

في الواقع تفرض دراسة واقع مجتمعات ما بعد الكولونيالية معرفة العوامل التي مرت بها، الأمر الذي يقتضي فحصا دقيقا للأسس التي قامت عليها المعرفة التاريخية، لذلك يجب استحضار الديناميات التي تحكمت في هذه المجتمعات، خاصة أن العامل الخارجي المتمثل في الاستعمار قد لعب دورا محوريا، كما يسمح هذا الاستحضار بالقطع مع المفاهيم، التي يستخدمها الاتجاهان الوظيفي والبنيوي المتمثلان في ثنائية الثبات والحركة، أو ثنائية التقليد والحداثة، بحيث تصبح مقاربة هذه المجتمعات تنطلق من استحضار "ديناميات الداخل" و"ديناميات الخارج" اللتين فرضتا مفهومي القطيعة والاستمرارية، وفي الوقت نفسه يجري تعويض مفهوم التثاقف (Acculturation) الذي يخفي وقائع استعمارية، أو كما صاغه جورج بالانديه (Georges Balandier) بالظرف الاستعماري[4]، وهو مفهوم ينطوي على علاقة هيمنة في ظل تمدد أوروبي أدى إلى اخضاع غالبة المجتمعات التي صنفت "متخلفة" أو "بدائية" أو "تقليدية"، لذلك يفرض هذا الواقع تفكيك الظرف الكولونيالي بوصفه موضوعا للتاريخ، يحاكي مستوى التقلبات التي عرفتها المجتمعات المستعمرة، التي لا زالت غالبيتها تعيش في مجالات الظرف الكولونيالي بوصفه علاقة هيمنة (Domination) بين مجتمعين مختلفين ومتعارضين بالماضي والايديولوجيا، بعدما فرضت أقلية أجنبية مختلفة من الناحية العرقية والثقافية منطقها على أغلبية محلية تتميز بالتخلف التقني، وجرى ذلك باسم نوع من التفوق، الذي استند إلى مبررات امريالية، بحيث لم يجر فقط اللجوء إلى القوة بل أيضا الاعتماد على الحروب الصامتة التي أخذت طابع النعومة التي تسللت إلى مشهد مجتمعات ودول ما بعد الكولونيالية التي ترتبت عنها أنساق نقدية تسعى إلى فك الارتباط بالإرث الكولونيالي، من خلال التأسيس لسوسيولوجيا وطنية تداوي

الذات وتحاول تفكيك الآخر من خلال تحليل الخطابات والمعارف التي أنتجها، مع السعي للتحرر من ماضوية سودوية عمت المشهد العام، وذلك من خلال تعزيز التفكير النقدي الجذري ضد الايديولوجيا الامبريالية ونزعة مركزية أوروبا وتفوق الرجل الأبيض، وهي المخرجات التي أمدتنا بخصوصية معالجة التاريخ في دول ما بعد الكولونيالية[5].

- براديم التجديد داخل التقليد

في الواقع تأثرت الكتابة التاريخية بالكل الامبراطوري والجزء الوطني، لأنه بعد خروج التجربة الإنسانية من الترابيات الواسعة التي يحكمها "القيصر"، اتجهت نحو حبيبات وطنية يحكمها الصف القومي والعصبية المحلية، خاصة خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي انبنت عليها ثقافة الحدود المقدسة والهوية الملفوفة بالحس الوطني الذي تراكم كمشاعر لمجموعة بشرية اتفقت على المصير المشترك، والتحد الموجب للانسجام والتعايش، ورسم الأفق، الذي استوجب -أيضا- لملمة بطولات الماضي ورموزهم في شكل مراجعات "أوتاد" تشد من صلابة الكل الوطني عندما تهب عليه رياح الشدائد، التي عادة ما تتشكل في براغماتية عالمية لا تؤمن بالحدود بقدر ايمانها بمصالحها الجيواستراتيجية، لذلك اجتاحت "الرمزيات والبطولات" كأنساق معرفية يتغذى منها الفرد الوطني، الذي يكون قد هيء تراتبيا على تلقي هذه الأنساق التي تربي فيه الذوق القومي، واحساس بالانتماء إلى الكيلومترات مربع حيث ولد وشب، لذلك تتحول الكتابة التاريخية إلى مبتغى قومي وغاية حمائية لما بعد الكولونيالية[6].

طبعا هذه الغائية تباينت تشكلاتها في البقاع الوطنية، لأن التجربة البشرية اختلفت، لذلك تجد التاريخ القومي في اليابان الذي لا زال بدفع امبراطوري، يختلف ملمحه عما يجاوره في الصين الذي هو بملمح جمهوري شعبي، وما هو موجود في جنوب افريقيا الذي غزاها الأبيض البريطاني يختلف عما يوجد في أثيوبيا التي غزاها الأبيض الايطالي، كما تتراءى الزمنية على هذا الخط المعرفي، فما يرجح أنه قديم عند بعض الدول، لا يعدو أن يكون ماضٍ قريب عند أخرى، فالولايات المتحدة الأمريكية التي تتغذى

شعوبها التي هاجر أغلبها من أوربا، على المتشكل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هو عند العراقيين والسوريين واللبنانيين، فحجة زمن[7].

لذلك تحول المجد التاريخي إلى صناعة محلية يجري استهلاكها وفق الخط القومي، الذي جعل من العناصر البشرية تختلف ذوقا ومزاجا، خاصة في تفسيرها للقضايا الكونية المشتركة، فالحرب العالمية الأولى (**1914-1918**م) والحرب العالمية الثانية (**1939-1945**م) والحرب الباردة (**1945-1989**م) تجري معالجتها وفق قوالب وطنية جاهزة، لذلك ما يفسر بطولة عند الأول قد يفسر خيبة عند الآخر، وما يبدو تعايشا عند الأول قد يظهر تجنيا عند الآخر، لذلك لا يمكن الحديث عن المشترك الحدثي بقدر الحديث عن البراديم القابع في أذهان تتملكها الرغبة الوطنية التي غدت فيها الكتابة التاريخية إلى تجديد داخل تقليد لأنها لم تختلف في ملمحها عما كان شائعا زمن الامبراطوريات، حيث يتدفق مجد القيصر[8].

- سيكولوجيا التنفيس

لا شك أن الحالة البسيكولوجية للشعوب تتمظهر في شكل سلوكات وأفكار جمعوية، تكون فيها الأحداث الماضية بوصلة في رسم الملمح الاجتماعي، الذي عادة ما تجده يتعصر حسرة لدى المجموعات التي عانت من هزات عنيفة جرت في شكل حروب مدمرة أو جائحة، أو غصب أبقاها مسكونة بالجلاد الذي حرم عليها سكينتها وراحتها، لتصطف هذه الهزات ضمن سوسيولوجيا القهر عند هذه المجتمعات، التي لا شك تبقى مصدومة من مرحلة عصيبة، وتحاول أن تداوي ذاتها بالحديث والافصاح الذي يتحول في الكثير من الأحيان إلى تنفيس وتخفيف من الغصب الذي مورس ضدها[9].

طبعا عندما تجتاح سيكولوجيا التنفيس مجتمعات ما بعد الهزات العنيفة، تتحول الكتابة التاريخية إلى سردية وشحنات عاطفية مليئة بالمعاني الإنسانية "المختطفة"، التي هي تحصيل دلالات "الواقع - الماضي" الذي عادة ما يكون استمرارية لتشكلات الأمس، وبالتالي في اعتقادنا هناك

فروق واضحة لما يتملك شعوب المعمورة من ماضوية ستأثر بشكل مباشر في نظرتها للماضي وطريقة تدوينه، الذي سيتغذى من قوالب الحرية واملاءات الشخص الذي يتملكه الاحساس بالمجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، لذلك تبقى الماضوية شحنات إنسانية عليها أن تتدفق ضمن أطرها الطبيعية التي حددت لها، ضمن قنوات بسيكولوجيا التنفيس التي لا شك ستزداد تركيزا عندما تسقط أدوات البحث ونواميس المنهج[10].

- قَيمية البينية

كثيرا ما أخذ التاريخ نصيبه ضمن سوق العلوم الإنسانية المشتركة، التي تحولت إلى مصوغ لرسم الملمح الطلابي في الوسط الجامعي، حيث أصبحت أقسام العلوم الإنسانية هياكل قائمة بذاتها، ويجري فيها التأسيس للملمح العلمي، الذي عليه أن يلبسه الطالب المتخصص، لكن يبدو أن الفصل والعزل والتضييق، خدمة لمجال معرفي معين، قد أنتج مساحات معرفية متباينة يتنكر بعضها إلى بعض، بل ويتزاحمون في سوق المعرفة على أساس أن كل واحد يملك انتاجا " مبهرا" أو حلولا لما يعيشه المجتمع من خضات وهزات، لذلك تجد حتى داخل البيت الإنساني (العلوم الإنسانية) حالة جفاء تعم المشهد العلائقي، الذي هو تحصيل تقوقع معرفي، يكون فيه – مثلا - طالب التاريخ محمولا على تلقن –فقط- المادة التاريخية دون أن تكون له دراية أو إطلاع على العلوم الأخرى المساعدة في تشكيل وعي كامل وعميق بالحدث التاريخي ومخرجاته الزمنية التي قد تظهر في شكل هزات ارتدادية تحتاج إلى جراحة بينية وليست إلى جراحة تخصصية. لكن ما المقصود بذلك؟

في الواقع يقودنا الجواب على هذا السؤال إلى تاريخية الاتفاق الضمني، الذي جرى بين مختلف العلوم والمعارف، بعدما أفضت حضارة أوروبا المبنية على التقنية، إلى تشكل مساحات بحثية للعلوم، تحول فيها التخصص إلى حفرية علمية لها أدواتها ومنهجها، الذي يختلف "ذوقا ومزاجا" عن العلوم الأخرى، لذلك تحولت المعرفة العالمية نتيجة هذه المقاربة التخصصية إلى شبه مساحات "ترابية" تحكمها الحدود المشتركة التي تراعي خصوصية

كل معرفة، لكن هذا الوضع الذي استمر تقريبا منذ القرن الثامن عشر، أخذى يتلاشى بفعل توسع آفاق المعرفة الأوروبية في الميادين الفيزيائية والرياضية وعلوم الأحياء والكيمياء وغيرها من العلوم، حيث تدفقت مصائر ابستيمولوجية كانت فيها الفيزياء بحاجة إلى الرياضيات والرياضيات بحاجة إلى الفيزياء، والكيمياء بحاجة إليهما، وهكذا تشكلت "عُقد" علمية مُندمجة يستحيل فصلها عن بعضها البعض، أو عزلها عن مساراتها التي تنبش في المعرفة، لذلك وقعت حالة انصهار لما كان يصطلح عليه بالتخصصات، التي تجاوزت مرحلة "التحالفات" التي تحفظ لكل تخصص ملمحه، إلى مرحلة "التداخلات" التي تذوب فيها التخصصات وتصبح هيكلا معرفيا واحدا[11].

اتسعت دائرة هذا المستحدث القيمي الذي طبع خاصة الدول الأنجلو ساكسونية، على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث زحف هذا الوافد على التخصصات الأخرى التي أصبح فيها التخصص أيقونة ضمن برنامج متكامل غرضه تحقيق المعرفة وفق المنهج البيني، الذي تتداخل فيه مختلف العلوم[12]. لكن قد تتماهى الفروق البحثية بين البينية والتداخلية والتعددية والعابرة وأيضا المساعدة؟

في الواقع هناك فروق شاسعة بينهما فالبينية (interdisciplinarité) هي مرحلة متقدمة من التكامل المعرفي، الذي بقي يتداخل كتخصصات منذ أحداث الثورة الصناعية وحركة النهضة الأوروبية وما صاحبها من حركة تنوير، حيث كانت هذه الكتلة النهضوية هي تحصيل تشبك مختلف العلوم، التي كانت فيها المعرفة ركن معهود إلى علم بعينه، يستند إلى علوم مساعدة في حل بعض قضاياه التي يلفها الغموض. وهو ما جعل من العلوم المساعدة كخطوط خلفية تقدم الدعم "المعرفي" دون أن تكون في "المواجهة" المباشرة، التي يتحملها التخصص بعينه. لكن البينية هي مرحلة متطورة من التشبك الإبستيمولوجي الذي لا يوجد فيه تخصص بقدر وجود اشكالية علمية أو معرفية "تجيش" لها مختلف العلوم التي تتحول إلى "جنود ميدان"

تصطف ضد المجاهيل، التي تختفي معها المساحات التخصصية، ومدلولاتها المشحونة بالقوالب الجاهزة التي تتغذى من المنهج المتخصص[13].

إن البينية التي هي تحصيل تداخلية المعرفة وتكاملها، حيث تحولت سياقاتها إلى معول في ثقافة المنهج ضمن العلوم الدقيقة والطبيعية، وهي القيمية التي تحتاج بدورها أن تكتسح العلوم الاجتماعية والإنسانية، التي لا زالت في أغلب مجتمعاتنا منزوية في مضامين لا تخرج عن المدركات التقليدية، حيث تسود الرؤى الأحادية و المقاصد الموجهة إلى تحقيق الغائية المتخصصة، لذلك مفهوم البينية كقيمية أصبح ضرورة تفرضها الأطر الإبستيمولوجية لقضايا العصر الذي لاحت فيه التشعبية وما تقتضيه من تلاحمية وتكاملية لمختلف العلوم[14].

إن علم التاريخ الذي يتملكه السؤال الأزلي وهو أفعال الإنسان ستكون البينية قدره المحتوم في عالم ما بعد العولمة، خاصة وأن البينية يمكن أن تتحقق من خلال تجسير المسافات المتوهمة بين سائر التخصصات، وتحقيق الوعي بضرورة الاندماج والتداخل والتقاطع بين الحقول المعرفية المتعددة، لذلك لا شك أن القيمية التاريخية المبتكرة ستختلف عما كان قائما منذ عهود، لأن طبيعة العلوم ومناهجها وهاجة في كل زمان، وهو ما يجعل من المعرفة تتشكل وتتكوم وفق رؤى بحثية متجددة، تساير المشهد العالمي باعتباره تشكيلا متنوعا من القوى والإرادات والانتماءات والثقافات والتطلعات[15]، التي سيكون فيها علم التاريخ دائرة معرفية تساير عالم ما بعد العولمة.

- الخاتمة

لماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟ وكيف نكتب؟ أعتقد هي أسئلة متحركة تلازم المناهج التاريخية وتطلعاتها في كل ظرفية، يمر بها الإنسان الذي تشتت بين قوالب حضارية، جعلت من التاريخ مادة يجري عجنها وفق مذاق الحضارة ومزاج العهود التي يعيش فيها ذلك الإنسان، الذي يبقى دائما رهان ماضوية تتدفق في شكل أنساق حدثية تتمظهر في سلوكات أو نفسيات

تسكن الشعوب والمجتمعات على غرار الشعوب التي عانت من مرحلة كولونيالية عصيبة، كادت تأتي على تنبتها الأممي الذي كان يبقيها كبنية إنسانية متشبكة ضمن الإنسانية العالمية، حيث جرى ضعضعة وزعزعة هذه المجتمعات التي تدفقت إليها تعنيفات بذوق القهر والبطش، والتهميش، والميز والركن، وغيرها من الممارسات التي تحولت إلى صدمات اجتاحت مجتمعات ما بعد الكولونيالية، التي تحول لديها التاريخ الكولونيالي إلى ماضوية سودوية يجري التخلص منها وفق سايكولوجيا التوصيف لأمس حالك يسوده ظلام دامس. لذلك تمطيط التاريخ وفق الحاجة الاجتماعية والإنسانية، هي ظاهرة سايرت المشهد الأممي وتمظهراته التي تتقطع -عند الأحداث العالمية الكبرى- إلى ورقات سوسيولوجية تتكوم فيها السلوكات والبسيكولوجيات التي تجد لنفسها تموضعا معرفيا، ضمن الأطر العامة، التي ترسمها الشعوب لنفسها، لذلك وحدة الرؤى نحو التاريخ في اعتقادنا هي أسطورة إغريقية يصعب تصديقها أو تحقيقها.

أما القيمية فيبدو أنها صورة متحركة على المشهد الإبستيمولوجي، الذي تكون فيه المناهج العلمية دينامية متغيرة وبشحنات متفاوتة يجري تعديلها وفق الحاجة المعرفية، التي تعيد تشكيل نفسها في كل مرحلة إنسانية وتجربة بشرية، لذلك تعد البينية في التاريخ أحد المظاهر التي ستتشكل حول هذا العلم الذي مر بعدة مراحل من حيث المفهوم والمنهج والغاية، وإن كانت المجتمعات التي توصف بالمتقدمة قد قطعت أشواطا في هذا المنهج، إلا أن المجتمعات الأخرى لا زال الكثير منها يتعاطى مع التاريخ بمناهج غير مُحينة وهو ما يفقده في اعتقادنا صفة القيمية الأممية.

- بيبليوغرافيا

- بن زردة توفيق، تطور علم التاريخ في العالم الإسلامي، من المقدس إلى الوطنية، بين القرنين **01/07**م-**15**ه/**21**م، كتاب المؤتمر الدولي للتكامل المعرفي وتاريخ العلوم، أنقرة، **2022**.

- بن رابح أحمد، "البينية في العلوم الإنسانية، التأسيس والضرورة"، مجلة تطوير، مجلد.**09**، ع.**02**، **2022**.

- سعيدوني ناصر الدين، المسألة الثقافية في الجزائر، النخب، الهوية، اللغة - دراسة تاريخية نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **2021**.

- محمد مزيان، "مشروعية الغزو والإلحاق في الأدبيات الكولونيالية الفرنسية"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مج **05**، ع.**17**، **2016**.

- مكاكي محمد، "الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية"، جسور المعرفة، مج **7**، ع.**05**.

- عبد الحليم مهورباشة وآخرون، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ج**02**، مقاربات اجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **2022**.

- العروي عبد الله، مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، ط.**5**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، **2005**.

- الهوامش

1- أحمد بن رابح، "البينية في العلوم الإنسانية، التأسيس والضرورة"، مجلة تطوير، مجلد.**09**، ع.**02**، **2022**، ص**177**، **178**.

2- أحمد بن رابح، المرجع السابق.

3- عبد القادر بوطالب، علم الاجتماع بين الكوني والمحلي: إشكالية المفاهيم وسياقاتها في البحث السوسيولوجي بالمغرب، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ج**2**. مقاربات اجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ص**413**

4 -Georges Balandier, Sens et puissance, Paris, PUF, **1971**, pp.**13-16**.

5- خصص ناصر الدين سعيدوني، في هذا المنحى دراسة شاملة عالج فيها المعضلة الثقافية في الجزائر بامتداداتها التاريخية وارهاصاتها الآنية، يرجى الرجوع إلى:

ناصر الدين سعيدوني، المسألة الثقافية في الجزائر، النخب، الهوية، اللغة - دراسة تاريخية نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، **2021**.

6- توفيق بن زردة، "تطور علم التاريخ في العالم الإسلامي، من المقدس إلى الوطنية، بين القرنين **01**/**07**م-**15**ه/**21**م"، كتاب المؤتمر الدولي للتكامل المعرفي وتاريخ العلوم، أنقرة، **2022**، ص، **238-240**.

7- المرجع نفسه.

8- خصص عبد الله العروي دراسة حول مفهوم التاريخ وتشكلاته كمعرفة. يرجى الرجوع إلى:

عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، ط.**5**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، **2005**.

9- خصصت مثلا مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية التي تصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، عددا خاصا عن سوسيولوجيا إنتاج المعرفة الكولونيالة يرجى الرجوع إلى: "سوسيولوجيا إنتاج المعرفة الكولونيالية - حالة المغرب"، مجلة عمران، مج**05**، ع**17**، **2016**.

10- توفيق بن زردة، المذكرات بين الأوعية الاخبارية والحقيقة التاريخية، ورقة بحثية مقدمة ضمن أشغال الملتقى الدولي حول العربي بن مهيدي والتاريخ، جامعة العربي بن مهيدي، **02**،**03** مارس **2021**، ص**05**، **06**.

11- اجتاحت البنية دوائر الاهتمامات المعرفية في الجامعات العربية التي نظمت ندوات وملتقيات في هذا الموضوع، أنظر مثلا:

المؤتمر الدولي الثالث "مستقبل الدراسات البينية في العلوم الإنسانية والاجتماعية" **15-16** مارس **2016**، جامعة حلوان مؤتمر "علم التاريخ والدراسات البينية: أسلوب قديم في سياق عالمي جديد"، في الفترة من **5- 6** مارس **2014**، جامعة قطر.

12- في زيارة قادتني نهاية سنة **2023** إلى مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة قطر، حدثني الأستاذ الدكتور التيجاني عبد القادر حامد رئيس قسم العلوم الاجتماعية أن تخصص التاريخ يوجد ضمن كلية متخصصة في العلوم الدقيقة كمقاربة مأخوذة من النموذج الأمريكي.

13- أحمد بن رابح، المرجع السابق، ص**180**، **181**.

14- محمد مكاكي، "الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية"، جسور المعرفة، المجلد **7**، ع.**05**، ص**276-278**.

15- المرجع نفسه.

البيـان الختـامي للملتقى مع التوصيـات

✍ الدكتور: حسين عبد الستار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ضيوفنا الأكارم، الحضور الكريم، أزف إليكم تحية إنسانية عطرة في هذا الحفل المبارك لتكريم المؤرخين الجزائريين.

أتشرف بتلاوة البيان الختامي للملتقى الوطني الأول الموسوم: (الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني)، وهذا نصه:

تجسيدا للالتزامات رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون وانطلاقا من الاهتمام بالتاريخ والذاكرة الوطنية المعزَّز برؤية استراتيجية وإجراءات عملية، ترمي إلى الوفاء برسالة الشهداء وتضحيات ومآثر الشعب الجزائري، وتثمين الموروث التاريخي والثقافي، وصون الهوية الوطنية، وتعزيز اللحمة المجتمعية.

انعقدت هذه الفعالية الوطنية الموسومة: (الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني) يومي **06** و**07** مارس **2024** بالنادي الوطني للجيش – بني مسوس، تحت إشراف وزارة المجاهدين وذوي الحقوق، وبالتنسيق مع قطاعي التعليم العالي والبحث العلمي والتربية الوطنية، وبمشاركة اللجنة الجزائرية للتاريخ والذاكرة، في جو من التكامل.

وقد جرت أشغال هذا الملتقى في أجواء سادها التنظيم المحكم، والنقاش العلمي المعمق، والرؤية المستقبلية المستشرِفة، أدلى خلالها بدلوه أكثر من مائة وخمسة وعشرين أستاذًا وباحثًا، وبمشاركة أزيد من عشرين مخبر علمي متخصص، تدارسوا كل الموضوعات المرتبطة بمحاور الملتقى، لتتوج مخرجاته بالتوصيات الآتي ذكرها:

1- تحويل الملتقى إلى فعالية دورية، تناقش فيها مختلف الإشكاليات والقضايا المرتبطة بالتاريخ والذاكرة الوطنية.

2- تأسيس منتدى وطني للتاريخ والذاكرة الوطنية يهتم بصونهما وتعزيزهما، وكذا بنشر المعرفة التاريخية.

3 - إنشاء مدرسة وطنية عليا للتاريخ.

4- تأسيس جمعية وطنية للمؤرخين الجزائريين.

5- تشكيل فوجي عمل، أولهما يتكفل بإعداد مشروع تأسيس (الجمعية الوطنية للمؤرخين الجزائريين)، وثانيهما يعمل على إعداد مشروع إنشاء (المدرسة الوطنية العليا للتاريخ).

6- تحيين الاتفاقيات وتفعيلها بين وزارتي المجاهدين وذوي الحقوق والتعليم العالي والبحث العلمي في مجال التاريخ.

7- الدعوة إلى فتح التكوين في الدكتوراه تخصص التاريخ الوطني وقضايا الذاكرة، بالتنسيق أيضا بين وزارة المجاهدين وذوي الحقوق ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

8- تعزيز التاريخ الوطني ودعمه في المنظومة التربوية الوطنية.

9- نشر أعمال الملتقى في كتاب جماعي، وتوزيعه على أوسع نطاق.

وفي الختام، أجمع المشاركون في هذا الملتقى على توجيه أسمى عبارات الشكر والامتنان لرئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون لإيلائه اهتمامًا خاصا بتهيئة أجواء محفزة على تطوير البحث التاريخي، وتعميق العمل على الذاكرة الوطنية، وترقية الخطاب التاريخي الوطني.

كما ثمن المشاركون الجهود الحثيثة لوزير المجاهدين وذوي الحقوق السيد العيد ربيقة لمرافقته الدائمة للملتقيات والتظاهرات التاريخية الوطنية.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة السيد وزير المجاهدين وذوي الحقوق والإعلان عن اختتام أعمال الملتقى الوطني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نلتقي في اختتام هذا الملتقى والمحفل العلمي، الذي يضم ثلة من الباحثين الأكاديميين من خيرة المؤرخين من مختلف الأجيال، والذين يمثلون عديد المؤسسات الجامعية عبر التراب الوطني.

إنها لفرصة سانحة أن يجتمع في هذا الملتقى الوطني هذا العدد الكبير من المهتمين بالمجال التاريخي والبحث فيه، وخاصة ما كان له علاقة بالذاكرة الوطنية وكتابة تاريخ الجزائر.

إن الحفاظ على الذاكرة الوطنية وكتابة التاريخ الوطني لا يتحقق بالرغبات والتمني، ولكنه يخضع للعلمية والمصداقية، وكثير من الأخلاقية، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال فتح ورشات وقنوات اتصال دائمة، وجسور تواصل بين كل الباحثين والمشتغلين في الحقل التاريخي، والذين يتقسمون نفس الهموم المعرفية.

إن الدولة الجزائرية ممثلة في شخص رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون تقف حاضرة لمرافقة المؤرخين في جهودهم بما يخدم الصالح العام، ويعزز الوحدة الوطنية، والتاريخ لها هو الاسمنت الروحي الحافظ لكينونة الجزائر في الماضي والحاضر، نفكر في الماضي وأعيننا على المستقبل.

إن تنظيم وزارة المجاهدين وذوي الحقوق ورعايتها لمثل هكذا ملتقى، إنما لتضع كل هيئاتها ومؤسساتها العلمية تحت تصرف الباحثين والمشتغلين بالمجال التاريخي والذاكرة، وتمدهم بكل ما يسمح لها بالقيام بواجبهم الوطني في تحرير تاريخنا، وسرد سير أبطالنا، والحفاظ على ذاكرتنا الجمعية.

إن الجهود التي تبذل في نشر قيمنا الحضارية والتاريخية من خلال ما ينتج من أفلام وثائقية وسينمائية، وطبع ونشر الأعمال العلمية، ليعزز مكانة التاريخ الوطني ويحقق المانعة الضرورية لأجيالنا حاضرا ومستقبلا.

إن وزارة المجاهدين وذوي الحقوق تثمن مخرجات هذا الملتقى وستسهر على بلورتها ووضع استراتيجية إجرائية لتجسيد هذه المخرجات.

أيها السيدات الفضليات، أيها السادة الأفاضل، الحضور الكريم

في ختام فعاليات هذا الملتقى الوطني الموسوم: (الذاكرة وإشكالية كتابة التاريخ الوطني) والذي أتقدم من خلاله بجزيل الشكر لجميع القائمين على هذا الحدث العلمي، ولجميع المشاركين من أكاديميين وباحثين من مختلف ولايات الوطن، وجميع الفاعلين في الحقل التاريخي، كما ننوه بمشاركة اللجنة الجزائرية للتاريخ والذاكرة، وهذا ما يؤكد تضافر الجهود لتجسيد توجيهات رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون الهادفة إلى صون الذاكرة الوطنية وتحصين الأجيال بالوعي التاريخي.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

*** ألبوم الصور ***

جميل بكريم
المورجين الجزائريين

تم بحمد الله

ISBN: 978-9947-60-450-2

مِنْ مَنْشُورَاتِ
المَرْكَزِ الوَطَنِيِّ لِلدِّرَاسَاتِ وَالبَحْثِ فِي المُقَاوَمَةِ الشَّعْبِيَّةِ
وَالحَرَكَةِ الوَطَنِيَّةِ وَثَوْرَةِ أَوَّلِ نُوفمبر 1954